الفصل الأول

الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما منذ ولادته حتى خلافته

المبحث الأول

اسمه ونسبه وكنيته وصفته وأسرته في عهد النبوة

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته:

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي[1]، المدني الشهيد[2]، فهو سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا وهو سيد شباب أهل الجنة، فهو ابن السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأبوه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وحفيد أم المؤمنين خديجة، وخامس الخلفاء الراشدين.

ثانياً: مولده وتسميته ولقبه وفقه النبي ﷺ في تسمية المواليد:

ولد - رضي الله عنه وأرضاه - في رمضان سنة ثلاث من الهجرة النبوية على الصحيح، وقيل: ولد في شعبان، وقيل: ولد بعد ذلك؛ قال الليث بن سعد: ولدت فاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن علي في شهر رمضان من ثلاث، وولَدَت الحسينَ في ليال خلون من شعبان سنة أربع[3]، وقال البرقي أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم: ولد الحسن في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة النبوية[4]، ومثله قاله ابن سعد في طبقاته[5].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما ولد الحسن سميته حرباً، فجاء النبي ﷺ فقال:

---

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 246).

(2) المصدر السابق نفسه (3/ 246).

(3) نسب قريش (1/ 23) الدوحة النبوية، ص 71.

(4) الذرية الطاهرة للدولابي، ص 69.

(5) الطبقات (1/ 226).

«أروني ابني ما سميتموه؟» قلنا: حرباً، قال: «لا، بل هو حسن»، فلما ولد الحسين سميته حرباً، فجاء النبي ﷺ فقال: «أروني ابني ما سميتموه؟» قلنا: حرباً قال: «بل هو حسين». فلما ولد الثالث سميته حرباً، فقال: «بل هو محسّن»، ثم قال: «إني سميتهم بولد هارون: شبر وشبير ومشبّر»[1].

وقد فرح رسول الله ﷺ بهذا المولود الجديد وسارع الناس بتهنئة الأبوين بهذا السبط المبارك، وقد كان السلف الصالح ﷺ يسرعون في زف البشرى لأهل المولود الجديد، وقد ثبت عن الحسن البصري تهنئة لطيفة يقول فيها: بورك لك في الموهوب وشكرت الواهب ورزقت برّه وبلغ أشده. ونلاحظ أن رسول الله ﷺ عندما سمى الحسن والحسين رضي الله عنهما عدل بهما عن مسميات قبل الإسلام وما تدل عليه أسماؤها من القتال وسفك الدماء فاختار لهما أكرم الأسماء وأجل المعاني[2].

وقد وصف الحسن رضي الله عنه بالسيد ولقبه بهذا اللقب جده الرسول الكريم محمد ﷺ كما جاء في الحديث الصحيح: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[3] ونتعلم من هدي النبي ﷺ قيمة مهمة في حياتنا وهي الحرص على اختيار أجمل وأحسن الأسماء لأبنائنا، وهذا توجيه للآباء والأمهات على اختيار الاسم الحسن في اللفظ والمعنى في قالب النظر الشرعي واللسان العربي، فيكون: حسناً، عذباً على اللسان، مقبولاً للأسماع، يحمل معنى شريفاً كريماً، ووصفاً صادقاً، خالياً مما دلت عليه الشريعة على تحريمه أو كراهته، مثل: شوائب التشبه والمعاني الرّخوة، ومعنى هذا: أن لا يختار الأب المسلم اسماً إلا وقد قلب النظر في سلامة لفظه ومعناه على علم ووعي وإدراك، وأن يستشير بصيراً في سلامته ممّا يُحذَرُ، فهو أسلم وأحكم، ومن الجاري قولهم: حق الولد على والده أن يختار له أماً كريمة وأن يسميه اسماً حسناً، وأن يورثه أدباً حسناً، وقد بين العلماء أن للأسماء المشروعة رتب ومنازل وهي مستحبة وجائزة وهي على الترتيب كالآتي:

1 - استحباب التسمية بهذين الاسمين: عبد الله وعبد الرحمٰن وهما أحب الأسماء إلى الله تعالى، كما ثبت الحديث بذلك عن النبي ﷺ من الأسماء المتضمنة العبودية لله في معانيها، وميزة هذه الأسماء: أنها أصدق تعبير على حقيقة عبودية الإنسان لربه وفقره وذله له، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، حيث قال: إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن[4]، وذلك لاشتمالهما على وصف العبودية. وقد خصّهما الله في القرآن، بإضافة العبودية إليهما

(1) مسند أحمد (1/ 98، 118) صحيح ابن حبان (15/ 410) إسناد الحديث صحيح.
(2) الحسن بن علي ودوره السياسي، فيخان كردي، ص 16.
(3) البخاري (2/ 306). (4) مسلم رقم: (2132).

دون سائر أسمائه الحسنى، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[الجن: 19] وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾[الفرقان: 63]، وجمع بينهما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[الإسراء: 110] وقد سمّى النبي ﷺ ابن عمّه العباس: عبد الله رضي الله عنه وفي الصحابة رضي الله عنهم نحو ثلاثمائة رجل كل منهم اسمه عبد الله، وبه سُمي أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة إلى المدينة، عبد الله بن الزبير[1].

2 - التسمية بأسماء أنبياء الله ورسله: لأنهم سادات بني آدم وأخلاقهم أشرف الأخلاق، وأعمالهم أزكى الأعمال، فالتسمية بأسمائهم تذكّر بهم وبأوصافهم وأحوالهم وقد أجمع العلماء على جواز التسمية بهم، ولنا في رسول الله أسوة حسنة حيث سمى ابنه إبراهيم، وأفضل أسماء الأنبياء: اسم نبينا ورسولنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين أجمعين[2].

3 - التسمية بأسماء الصالحين من المسلمين: وصحابة رسول الله إلى يوم الدين، وقد كان لصحابة رسول الله نظر لطيف في ذلك، فهذا الصحابي الزبير بن العوام رضي الله عنه يسمي أولاده - وهم تسعة - بأسماء بعض شهداء بدر رضي الله عنهم، وهم: عبد الله، المنذر، عروة، حمزة، جعفر، مصعب، عبيدة وخالد.

4 - ثم يأتي من الأسماء ما كان وصفاً صادقاً للإنسان: بشروطه وآدابه، واسم المولود يكتسب الصفة الشرعية متى توفرت فيه، وهذه شروط منه:

أن يكون حسن المبنى والمعنى لغة وشرعاً، ويخرج بهذا كل اسم محرم أو مكروه إما في لفظه أو معناه أو فيهما كليهما وإن كان جارياً في نظام العربية، كالتسمي بما معناه التزكية، أو المذمة أو السبُّ، بل يسمى بما كان صدقاً وحقاً[3] وقد قام رسول الله ﷺ بذلك.

وقد دلت الشريعة على تحريم تسمية المولود في واحد من الوجوه الآتية:

1 - اتفق المسلمون على أنّه يحرم كل اسم معبد لغير الله مثل عبد الرسول، عبد النبي، عبد عليٍّ، عبد الحسين، عبد الأمير - يعني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه - عبد الصاحب، فالخلق كلهم مهما علوا فهم عباد خاضعون ذليلون فقراء لله، والله تعالى هو المستحق وحده للعبادة، فلا ينبغي التسمية بالتعبيد لغير الله من خلقه.

2 - التسمية بالأسماء الأعجمية المولّدة للكافرين الخاصة بهم، والمسلم المطمئن بدينه

(1) تسمية المولود، بكر عبد الله أبو زيد، ص 33.
(2) المصدر السابق نفسه، ص 35، 36.
(3) المصدر السابق نفسه، ص 39.

يبتعد عنها وينفر منها ولا يحوم حولها وقد عظمت الفتنة بها في زماننا، فيلتقط اسم الكافر من أوروبا، وأمريكا وغيرها، وهذا من أشد مواطن الإثم وأسباب الخذلان، ومنها: بطرس، جرجس، جورج، ديانا.. وغيرها. وهذا التقليد للكافرين في التسمّي بأسمائهم، إن كان مجرّد هوى وبلادة ذهن، فهو معصية كبيرة وإثم[1]، وقد فصل الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه (تسمية المولود) فمن أراد الزيادة والتوسع فليراجعه[2].

ثالثاً: تأذين رسول الله ﷺ في أذن الحسن:

لما ولد الحسن أذن رسول ﷺ في أذنيه بالصلاة كما روي ذلك عن أبو رافع[3]، والسر في ذلك وحكمته كما قال الدهلوي رحمه الله:

1 - الأذان من شعائر الإسلام.

2 - إعلام الدين الإسلامي.

3 - ثم لا بد من تخصيص المولود بذلك الأذان بأن يصوت في أذنه.

4 - علمت أن من خاصية الأذان أن يفر منه الشيطان، والشيطان يؤذي الولد في أول نشأته، فقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «**ما من مولد يولد إلا والشيطان يمسه فيستهل صارخاً من مس الشيطان[4] إلا مريم وابنها**»[5]، وثبت قوله ﷺ: «**إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين**»[6]. وأضاف ابن القيم رحمه الله أسراراً أخرى للتأذين فقال:

5 - أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله الدنيا، كما يلقن التوحيد عند خروجه منها.

6 - وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثيره به، وإن لم يشعر مع ما في ذلك فائدة أخرى وهي:

---

(1) تسمية المولود، بكر بن عبد الله أبو زيد، ص 47.

(2) المصدر السابق نفسه، ص 47.

(3) سنن أبي داود (5105) إسناده ضعيف فيه عاصم بن عبيد الله، ضعفه ابن معين وقال البخاري: منكر الحديث كما في الكاشف (2530).

(4) حجة الله البالغة (2/ 385).

(5) البخاري (5/ 196) رقم: 4548.

(6) البخاري (1/ 170) رقم: 608.

7 - هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به.

8 - وفيه معنى آخر وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته، سابقة على دعوة الشيطان كما كانت فطرة الله التي فطر عليها على تغيير الشيطان لها ونقله عنها، ولغير ذلك من الحكم[1].

وهكذا نتعلم من هدي النبي ﷺ، استحباب الأذان في أذن المولود اليمنى ثم تقام الصلاة في الأذن اليسرى، وبذلك يكون أول ما يلامس أذنيه الدعوة إلى الركن الركين في هذا الدين بعد توحيد رب العالمين[2].

رابعاً: تحنيك المولود:

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يؤتى بالصبيان، فيبرك عليهم ويحنكهم[3]، فمن باب أولى أن يكون ﷺ برك على الحسن وحنكه، يقول النووي - رحمه الله - معلقاً على قول عائشة رضي الله عنها: فيبرك عليهم أي يدعو لهم ويمسح عليهم، وأصل البركة: ثبوت الخير وكثرته، وقولها: فيحنكهم: قال أهل اللغة: التحنيك أن يمضغ التمر أو نحوه ثم يدلك به حنك الصغير[4].

والتحنك يكون عقب التأذين إن أمكن ذلك، ويفضل إن أمكن أن يقوم بالتحنيك رجل صالح، وفي ذلك تأسٍّ بالصحابة الكرام حيث حرصوا على إرسال أبنائهم إلى النبي ﷺ ليحنكهم، ويستخدم في التحنيك التمر، فإن لم يوجد فشيء حلو، وسبب ذلك:

1 - لأن التمر مثل حليب الأم، يحمل جميع الفيتامينات التي يحتاجها جسم الغلام.

2 - الغلام الصغير يولد بحاسة التذوق، فإذا استخدمت معه التمر تنبهت هذه الحاسة وحرك لسانه وفمه، فكان بذلك أقدر على التقام ثدي أمه عند الرضاع.

3 - المعدة تمتص السكريات بسرعة فائقة، وبذلك لا يشكل التحنيك أي معاناة معوية للغلام[5].

---

(1) منهج التربية النبوية للطفل، محمد سويد، نقلاً عن تحفة المودود لابن القيم، ص 54، تحقيق نوّاز أحمد زمرلي.

(2) موسوعة تربية الأجيال المسلمة، نصر العنقري، ص 66.

(3) مسلم (1/ 237) رقم: 286.

(4) شرح النووي على صحيح مسلم.

(5) موسوعة تربية الأجيال المسلمة، ص 68.

يقول الدكتور فاروق مساهل - مجلة الأمة القطرية عدد (50) في مقالة تحت عنوان: اهتمام الإسلام بتغذية الطفل، معلقاً على حديث التحنيك ما نصه -: والتحنيك بكل المقاييس معجزة نبوية طبية مكثت البشرية أربعة عشر قرناً من الزمان لكي تعرف الهدف والحكمة من ورائها، فلقد تبين للأطباء أن كل الأطفال الصغار وخاصة حديثي الولادة والرضع معرضون للموت لو حدث أحد أمرين:

- إذا نقصت كمية السكر في الدم بالجوع.
- إذا انخفضت درجة حرارة أجسامهم عند التعرض للجو البارد المحيط بهم[1].

خامساً: حلق شعر رأس الحسن ﷺ:

عن جعفر بن محمد، عن أبيه: أن فاطمة حلقت حسناً وحسيناً يوم سابعهما فوزنت شعرهما فتصدقت بوزنه فضة[2]، والأحاديث في هذا الباب صحيحة بمجموع طرقها[3]. وقال الشيخ الدهلوي رحمه الله معلقاً على الحديث: السبب في التصدق بالفضة، أن الولد لما انتقل من الجنينية إلى الطفلية كان ذلك نعمة يجب شكرها وأحسن ما يقع به الشكر ما يؤذن[4] أنه عوضه... وأما تخصيص الفضة فلأن الذهب أغلى ولا يجده إلا غني، وسائر المتاع ليس له بال بزنة شعر المولود[5].

سادساً: العقيقة:

عن ابن عباس ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ عَقَّ عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً[6]، وفي رواية: كبشين كبشين[7]، وعن أبي رافع: أن حسن بن عليّ لمّا ولد أرادت أمُّه أن تَعُقَّ عنه بكبشين، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تُعُقي عنه، ولكن احْلِقي شعر رأسه فتصدقي بوزنه من الورق**»، ثم ولد الحسين، فصنعت مثل ذلك[8] وإنما صرفها ﷺ عن العقيقة لتحمُّله عنها ذلك لا تركاً بالأصالة. يدل عليه حديث عليٍّ ﷺ: عقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن (بشاة) وقال:

---

(1) منهج التربية النبوية، ص 64.
(2) الطبقات، الطبقة الخامسة (1/ 231) إسناده مرسل.
(3) موسوعة تربية الأجيال ص 72.
(4) يؤذن: يشعر.
(5) حجة الله البالغة (2/ 385).
(6) سنن أبي داود في الأضاحي رقم: 2841 في إسناده ضعف.
(7) سنن النسائي (7/ 166) باب كم يعق عن الجارية إسناده صحيح.
(8) مسند أحمد (6/ 392) في إسناده ضعف.

«يا فاطمة احْلقي رأسه وتصدَّقي بزنة شعره فضَّة»، فوزنّاه فكان وزنُه درهماً أو بعض درهم، خرَّجه الترمذي[1].

وقد روي عن فاطمة أنَّها عقَّت عنهما وأعطت القابلة فخذ شاة وديناراً واحداً[2]، ولعل فاطمة باشرت الإعطاء، وكان ممّا عق به ﷺ عن الحسن يوم سابعه بكبشين أمْلَحَين، وأعطى القابلة الفخذ، وحلق رأسه وتصدَّق بزنة الشعر، ثم طلى رأسه بيده المباركة بالخَلُوق[3] ثم قال: «يا أسماء، الدم مِنْ فعل الجاهلية». فلمّا كان بعد حول ولد الحسين[4].

إن للعقيقة فوائد جمة منها: أنها قربان عن المولود يقدم إلى الله مع خروج الغلام إلى الدنيا، وبذلك تقدم الشكر على ما أنعم الله عليك، وغير ذلك من الفوائد، وقد قال الشيخ الدهلوي رحمه الله: يستحب لمن وجد الشاتين أن ينسك بهما عن الغلام وذلك لما عندهم أن الذكران أنفع لهم من الإناث فتناسب زيادة الشكر وزيادة التنويه، أما سبب الأمر بالعقيقة فهو أن العرب كانوا يعقون عن أولادهم، وكانت العقيقة أمراً لازماً عندهم وسنة مؤكدة وكان فيها مصالح كثيرة راجعة إليه المصلحة المالية والمدنية والنفسية، فأبقاها الرسول ﷺ وعمل بها ورغب الناس فيها، إلا أن رسول الله ﷺ غيّر في تقاليدها، فعن بريدة رضي الله عنه قال: كنا في الجاهلية إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة ولطخنا رأسه بدمها، فلما كان الإسلام كنا إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة وحلقنا رأسه، ولطخنا رأسه بزعفران[5]. وهذا من الفقه النبوي فإنه لما رأى عادة فيها منفعة للناس مشوبة ببعض الانحراف - تلطيخ رأس المولود بالدم - فلم يبحها مطلقاً بدعوى حاجة الناس إليها، وفي نفس الوقت لم يمنعها مطلقاً بسبب ما فيها من انحراف وإنما حافظ على ما يحقق المنفعة للناس في هذه العادة وأكده، ونهى عن العادة الجاهلية وحرمها، وهذه حكمة نبوية جديرة بالاهتمام والتأمل.

سابعاً: ختان[6] الحسن بن علي رضي الله عنهما:

عن جابر رضي الله عنه: أنّ النبي ﷺ عقَّ عن الحسن والحسين، وختنهما لسبعة أيام[7]، وعن

---

(1) سنن الترمذي رقم: 1519 حسن غريب إسناده ليس متصلاً.

(2) تحفة المودود لابن القيم، ص 55.

(3) الخلوق: ضرب من الطيب.

(4) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، لأبي العباس الطبري، ص 207.

(5) المستدرك للحاكم (4/ 238) صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي.

(6) الختان: لغة قطع القلفة أي الجلدة التي على رأس الذكر.

(7) سنن البيهقي (8/ 324) إسناده ضعيف.

محمد بن المنكدر أن النبي ﷺ ختن الحسين لسبعة أيام[1]، والختان من أمور الفطرة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الأبط**»[2].

والختان صبغة الحنيفية، فهو للحنفاء بمنزلة الصبغ والتعميد عند عباد الصليب، فهم يطهرون أولادهم بزعمهم حين يصبغونهم في ماء المعمودية، ويقولون: الآن صار نصرانياً، فشرع الله سبحانه للحنفاء صبغة الحنيفية، وجعل ميسمها الختان[3]، فقال عز من قائل: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: 138] والمقصود أن صبغة الله هي الحنيفية التي صبغت القلوب بمعرفته ومحبته والإخلاص له وعبادته وحده لا شريك له، وصبغة الأبدان بخصال الفطرة من الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط والمضمضة والاستنشاق والسواك والاستنجاء، فظهرت فطرة الله على قلوب الحنفاء وأبدانهم[4]، ومن اللطائف الفقهية في أمر الختان ما ذكره الخطابي: أما الختان فإنه وإن كان مذكوراً في جملة السنن فإنه عند كثير من العلماء على الوجوب، وذلك أنه شعار الدين، وبه يعرف المسلم من الكافر إذا وجد المختون بين جماعة قتلى غير مختونين صلي عليه ودفن في مقابر المسلمين[5].

ثامناً: مرضعة الحسن بن علي أم الفضل ﷺ:

عن أم الفضل قالت: قلت يا رسول الله، رأيت في المنام كأن عضواً من أعضائك في بيتي أو قالت في حجرتي - فقال: «**تلد فاطمة غلاماً إن شاء الله فتكفليه**» قالت: فجئت به يوماً إلى النبي ﷺ، فبال على ظهره فدحيت[6] في ظهره، فقال النبي ﷺ: «**مهلاً يرحمك الله أوجعت ابني**» فقلت: ادفع إليّ إزارك فأغسله، فقال: «**لا، صُبِّي عليه الماء فإنَّه يُصَبُّ على بوْل الغلام ويغسل بول الجارية**»[7].

وأم الفضل هي امرأة العباس بن عبد المطلب اسمها لُبَابَة بنت الحارث الهلالية، وهي لبابة الكبرى، أسلمت قبل الهجرة[8]، وقال ابن سعد: أم الفضل أوّلُ امرأة آمنت بعد خديجة[9]. وروت عن النبي ﷺ، وروى عنها ابنَاهَا عبد الله وتمام، وعُمير بن الحارث مولاها، وكُريب مولى ابنها، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الحارث بن نوفل وآخرون.

---

(1) البخاري (7/ 184) رقم: 6297.
(2) مسلم رقم: 257.
(3) تحفة المودود، ص 153.
(4) موسوعة تربية الأجيال ص 75.
(5) منهج التربية النبوية للطفل 69.
(6) في رواية أخرى: لطمته بيدها.
(7) المستدرك (1/ 166) وصححه ووافقه الذهبي، وهناك من ضعفه.
(8) الطبقات لابن سعد (8/ 277).
(9) المصدر السابق نفسه (8/ 277).

وأخرج الزبير بن بكار وغيره، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: «الأخوات الأربع مؤمنات»: أم الفضل، وميمونة، وهي شقيقة أم الفضل، وأما أسماء وسلمى فأختاهما من أبيهما وهما بنتا عُميس الخثعمية[1] وأم الفضل خالة خالد بن الوليد ﷺ [2]، فأم خالد هي لبابة الصغرى بنت الحارث الهلالية[3]. وكان يقال عن والدة أم الفضل بأنها أكرم الناس أصهاراً: ميمونة زوج النبي ﷺ، والعبّاس تزوج أختها شقيقتها لُبابة أم الفضل، وحمزة تزوج أختها سلمى، وجعفر بن أبي طالب شقيقتها أسماء، ثم تزوجها بعده أبو بكر الصديق ثم تزوجها بعده علي بن أبي طالب[4] ﷺ جميعاً. وقد قال ابن عمر: كانت من المنجبات وكان النبي ﷺ يزورها[5].

وفي الصحيح أن الناس شكُّوا في صيام النبي ﷺ يوم عرفة، فأرسلت إليه أم الفضل بقدح لبن فشرب وهو بالموقف فعرفوا أنه لم يكن صائماً[6]، وتحكى لنا أم الفضل ﷺ عن آخر ما سمعت من رسول الله ﷺ - فعن ابن عباس ﷺ أنه قال: إن أمّ الفضل سمعته وهو يقرأ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: 1]. فقالت: يا بني لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها آخر ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بها المغرب[7].

وعاشت أم الفضل إلى خلافة أبي بكر الصديق وخلافة الفاروق من بعده وفي أثناء خلافة عثمان ابن عفان رضي الله عنهم جميعاً توفيت قبل زوجها العباس[8] ﷺ وقد ولدت للعباس ستة رجال لم تلد امرأة مثلهم وهم: الفضل وبه كانت تُكنى ويُكنى زوجها العباس أيضاً - أبو الفضل - وعبد الله الفقيه، وعبيد الله الفقيه، ومعبد، وقُثم، وعبد الرحمٰن وأم حبيبة سابعة.

وفي أم الفضل هذه يقول عبد الله بن يزيد الهلالي:

ما ولدت نجيبة مِن فحل ... بَجَبلٍ نعلمه وسَهل
كستةٍ من بطن أمّ الفضل ... أكرِمْ بها من كهلة وكَهل
عم النبي المصطفى ذي الفضل ... وخاتم الرسل وخير الرسل[9]

تاسعاً: زواج الحسن وزوجاته والروايات التي حولهن:

وقد ذكر المؤرخون أن من زوجاته، خولة الفزارية، وجعدة بنت الأشعث، وعائشة

(1) موسوعة عظماء حول الرسول، خالد العك (3/ 2162).
(2) سيرة آل بيت النبي ﷺ الأطهار، مجدي فتحي، ص 31.
(3) الاستيعاب رقم الترجمة: 610.
(4) الإصابة في تمييز الصحابة (8/ 450).
(5) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (4/ 1908).
(6) البخاري، كتاب: الحج، رقم: 1661.
(7) البخاري رقم: 767.
(8) الإصابة في تمييز الصحابة (8/ 451).
(9) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (4/ 1908).

الخثعمية، وأم إسحاق بنت طلحة بنت عبيد الله التيمي، أم بشير بنت أبي مسعود الأنصاري، وهند بنت عبد الرحمٰن بن أبي بكر، وأم عبد الله وهي بنت الشليل بن عبد الله أخو جرير البجلي وامرأة من بني ثقيف وامرأة من بني عمرو بن أهيم المنقري، وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة، وربما تجاوز هذا العدد بقليل، وهو كما ترى لا يمت إلى الكثرة المزعومة بصلة بعرف ذلك العصر وأما ما رواه رواة الأثر، في كونه تزوج سبعين وفي بعض الروايات تسعين والبعض الآخر مائتين وخمسين والبعض الآخر ثلاثمائة. . . ! وروي غير هذا، إلا أنه من الشذوذ بمكان وهذه الكثرة المزعومة موضوعة:

وأما الروايات فهي كالتالي:

1 - الرواية الأولى: فقد ذكرها ابن أبي الحديد وغيره[1]، وقد أخذوها عن علي بن عبد الله البصري الشهير بالمدائني المتوفى 225هـ وهو من الضعفاء الذين لا يعول على أحاديثهم، فقد امتنع مسلم من الرواية عنه في صحيحه[2]، وضعفه ابن عدي في الكامل فقال فيه ليس بالقوي الحديث وهو صاحب الأخبار، قل ما له من الروايات المسندة[3].

2 - الرواية الثانية فهي مرسلة: والمرسل من أنواع الضعيف.

3 - وأما الرواية الثالثة والرابعة: فقد ذكرها صاحب قوت القلوب لأبي طالب المكي وهو لا يعول على مؤلفه، وعلى كل حال فالرقم القياسي لكثرة أزواج أمير المؤمنين الحسن مستندة إليه ومأخوذة عنه، وقد اشتهر أبو طالب المكي بالزهد والوعظ وذكر في (القوت) أشياء منكرة[4]، وذكر في كتابه أحاديث لا أصل لها[5]، فقد جاء في كتابه (قوت القلوب): وتزوج الحسن بن علي مائتين وخمسين، وقيل ثلاثمائة، وكان علي يضجر من ذلك ويكره حياة من أهلهن إذا طلقهن، وكان يقول: إن حسناً مطلق فلا تنكحوه، فقال له رجل من همدان: والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء، فمن أحب أمسك، ومن كره فارق، فسرّ علي بذلك وأنشأ يقول:

لو كنت بواباً على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

. . . وكان الحسن ربما عقد له أربعة وربما طلق أربعة[6]، فهذه روايات لا تصح ولا تثبت وبالتالي لا يعول عليها.

---

(1) حياة الإمام الحسن بن علي (2/ 445 إلى 460).
(2) ميزان الاعتدال (3/ 138).
(3) لسان الميزان (4/ 252).
(4) لسان الميزان (5/ 339).
(5) البداية والنهاية (11/ 341).
(6) قوت القلوب (1/ 246).

وقد جاءت قصص في أسانيدها ضعف شديد تتعلق بزواج الحسن منها:

1 - عن الهذلي، عن ابن سيرين قال: كانت هند بنت سهيل بن عمرو[1] عند عبد الرحمٰن بن عتاب بن أسيد[2] وكان أبا عُذرتها[3]، فطلقها فتزوجها عبد الله بن عامر بن كريز[4]، ثم طلقها، فكتب معاوية إلى أبي هريرة أن يخطبها على يزيد بن معاوية، فلقيه الحسن ابن علي فقال: أين تريد؟ قال: أخطب هند بنت سهيل بن عمرو على يزيد بن معاوية، قال: اذكرني لها، فأتاها أبو هريرة، فأخبرها الخبر فقالت: خِرْ لي، قال: أختار لك الحسن. فتزوجها، فقدم عبد الله بن عامر المدينة، فقال للحسن: إن لي عندها وديعة فدخل إليها والحسن معه وجلست بين يديه فَرَقّ ابن عامر فقال الحسن: ألا أنزل لك عنها، فلا أراك تجد محللاً[5] خيراً لكما مني فقال: وديعتي، فأخرجت سفطين فيهما جواهر ففتحهما، فأخذ من واحد قبضة وترك الباقي فكانت تقول: سيدهم جميعاً الحسن، وأسخاهم ابن عامر، وأحبهم إليّ عبد الرحمٰن بن عتاب[6]، وهذه القصة في إسنادها الهذلي وهو أخباري متروك الحديث وقال الذهبي مجمع على ضعفه[7].

2 - عن سحيم بن حفص الأنصاري، عن عيسى بن أبي هارون المزني، قال تزوج الحسن بن علي حفصة بنت عبد الرحمٰن بن أبي بكر[8]، وكان المنذر بن الزبير هَوِيَها، فأبلغ الحسن عنها فطلقها الحسن فخطبها المنذر فأبت أن تزوجه وقالت: شهرني، فخطبها عاصم ابن عمر ابن الخطاب[9] فتزوجها فرقى إليه المنذر أيضاً شيئاً فطلقها، ثم خطبها المنذر فقيل

---

(1) هند بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس، أسلم أبوها عام الفتح وكانت عند حفص بن عبد زمعة وولدت له ثم خلف عليها عبد الرحمن بن عتاب ثم عبد الله بن عامر، ثم خلف عليها حسين بن علي، هكذا في نسب قريش، ص 420.

(2) عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، كان والده والي مكة لرسول الله ﷺ وكان عبد الرحمن مع علي يوم الجمل وقتل في المعركة، انظر أنساب قريش، ص 193.

(3) العُذرة: البكارة، وقال ابن الأثير: العذرة ما للبكر من الالتحام قبل الافتضاض وجارية عذراء بكر لم يمسها رجل، ويقال: فلان أبو عذرتها إذا كان أول من افترعها وافتضها، لسان العرب مادة عذر (4/ 551).

(4) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة من بني عبد شمس، ابن خال عثمان بن عفان ولد على عهد النبي ﷺ وجزم ابن حبان أن له رؤية للنبي ﷺ، وقد ذكرت سيرته في كتابي عثمان بن عفان ص 319.

(5) المحلل هو: الذي يتزوج امرأة قد بانت من زوجها الأول بقصد تحليلها للزوج الأول، وقد جاء النهي عن ذلك كما في الحديث: «لعن الله المحلل والمحلل له» انظر: الإرواء رقم: 1897.

(6) الطبقات الكبرى، الطبعة الخامسة من الصحابة (1/ 303).

(7) ديوان المتروكين والضعفاء ص 352.

(8) حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، روت عن عمتها عائشة، وخالتها أم سلمة.

(9) عاصم بن عمر بن الخطاب من تابعي أهل المدينة توفي 70 هـ - تقريب التهذيب (1/ 385).

لها: تزوجيه، فيعلم الناس أنه كان يعضهك[1]، فتزوجته فعلم الناس أنه كذب عليها، فقال الحسن لعاصم بن عمر: انطلق بنا حتى نستأذن المنذر فندخل عليها، فدخل فكانت إلى عاصم أكثر نظراً منها إلى الحسن وكانت إليه أبسط في الحديث، فقال الحسن للمنذر خذ بيدها فأخذ بيدها، وقام الحسن وعاصم فخرجا وكان الحسن يهواها وإنما طلقها لما رقا إليه المنذر، فقال الحسن يوماً لابن أبي عتيق وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن[2]، وحفصة عمته، هل لك في العقيق[3]؟ قال: نعم، فخرجا فمرا على منزل حفصة، فدخل إليها الحسن فتحدثا طويلاً ثم خرج، ثم قال الحسن مرة أخرى لابن أبي عتيق: هل لك في العقيق؟ فقال: يا ابن أم ألا تقول هل لك في حفصة[4]؟، وفي إسناد هذا الحديث رجال لا توجد لهم ترجمة في كتب الجرح والتعديل ويكفي في ضعفه نكارة متنه[5].

3 - حدثنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قال علي: ما زال الحسن يتزوج ويطلق حتى خشيت أن يورثنا عداوة القبائل[6]، وهذا الأثر مرسل ضعيف[7].

إن الروايات التاريخية التي تشير إلى الأعداد الخيالية في زواج الحسن بن علي ﷺ لا تثبت من حيث الإسناد وبالتالي لا تصلح للاعتماد عليها نظراً للشبه والطعون التي حامت حولها، ونؤيد افتعال تلكم الكثرة أمور منها:

1 - إنها لو صحت لكان للحسن بن علي ﷺ من الأولاد جمع غفير يتناسب معها والحال الذي ذكر له اثنان وعشرون ولداً ما بين ذكر وأنثى، وهذا العدد يعتبر طبيعياً بالنسبة لذلك العصر ويتناقض كلياً مع تلك الكثرة ولا يلتقي معها بصلة.

2 - ومما يدل على وضع ذلك وعدم صحته ما روي أن أمير المؤمنين ﷺ كان يصعد المنبر ويقول: لا تزوجوا الحسن فإنه مطلاق، كما ذكر ذلك صاحب (قوت القلوب)[8]، فنهي أمير المؤمنين الناس عن تزويج ولده على المنبر لا يخلو إما أن يكون قد نهى ولده عن ذلك فلم يستجب له حتى اضطر إلى الجهر به وإلى نهي الناس عن تزويجه، وإما أن يكون ذلك

(1) العَضَهُ والعِضَةُ والعضهية: البهتة وهي: الإفك والبهتان.
(2) والنميمة، وأن يقول في المرء ما لم يكن فيه، لسان العرب (13/ 515).
(3) العقيق: وادي بناحية المدينة فيه مزارع وبساتين.
(4) الطبقات الكبرى: الطبقة الخامسة من الصحابة (1/ 307).
(5) المصدر السابق نفسه (1/ 305).
(6) المصدر السابق نفسه (1/ 301).
(7) المصدر السابق نفسه (1/ 301).
(8) قوت القلوب (2/ 246).

النهي ابتداء من دون أن يعرف ولده الحسن بغض والده وكراهية أبيه لذلك، وكلا الأمرين بعيدان كل البعد، أما الأول، فهو بعيد لأن الحسن ﷺ كان باراً بأبيه ولا يخالفه ولا يعصي أمره، وأما الثاني، فبعيد أيضاً لأن الأولى بأمير المؤمنين أن يعرّف ولده ببغضه وكراهته لذلك ولا يعلن ذلك على المنبر أمام الجماهير الحاشدة، مما يسبب اضطراباً في العلاقات الأسرية بين الوالد وولده، ومضافاً إلى ذلك أن الأمر إما أن يكون سائغاً شرعاً أو ليس بسائغ فإن كان سائغاً فما معنى نهي أمير المؤمنين علي ﷺ ، وإن لم يكن سائغاً، فكيف يرتكبه الحسن؟ إنا لا شك في افتعال هذا الحديث ووضعه من خصوم الحسن بن علي ﷺ ليشوهوا بذلك سيرته العاطرة[1]، والتي توجت بمساعيه في وحدة الأمة، وهذه عادة الرواة الكذبة في تشويه سيرة المصلحين وتاريخ الأمة ومن هنا تتضح أهمية علم الجرح والتعديل والحكم على الروايات والدور العظيم الذي قام به علماء الحديث في بيان زيف مثل هذه الأخبار ولذلك ننصح الباحثين في تاريخ صدر الإسلام الاهتمام بنقد مثل هذه الروايات حتى يميزوا صحيحها من سقيمها فيقدموا للأمة خدمة جليلة ولا يتورطوا مثل ما تورط فيه بعض السادة الذين لا نشك في نواياهم بسبب اعتمادهم في بحوثهم على الروايات الضعيفة والموضوعة.

3 - ومما يؤيد افتعال تلك الكثرة لأزواجه ما روي: أن الحسن بن علي ﷺ لما وافاه الأجل المحتوم خرجت جمهرة من النسوة حافيات حاسرات خلف جنازته وهن يقلن: نحن أزواج الإمام الحسن. إن افتعال ذلك صريح واضح، فإنّا لا نتصور ما يبرر خروج تلك الكوكبة من النسوة حافيات حاسرات، وهن يهتفن أمام الجماهير بأنهن زوجات الحسن، فإن كان الموجب لخروجهن إظهار الأسى والحزن، فما الموجب لهذا التعريف والسير في الموكب المزدحم بالرجال مع أنهن قد أمرن بالتستر وعدم الخروج من بيوتهن إن هذا الأثر وأمثاله لا يصح ولا يثبت من حيث الإسناد.

ومن الأخبار الموضوعة التي تشابه تلك الأخبار ما رواه محمد ابن سيرين: أن الحسن ﷺ تزوج بامرأة فبعث لها صداقاً مائة جارية مع كل جارية ألف درهم[2]. ويستبعد أن يعطي الحسن بن علي ﷺ هذه الأموال الضخمة مهراً لإحدى زوجاته، فإن ذلك لون من ألوان الإسراف والتبذير وهو منهي عنه في الإسلام، فقد أمر بالاقتصار على مهر السنة، وسبب ذلك تسهيل أمر الزواج لئلا يكون فيه إرهاق وعسر على الناس، ومن المؤكد أن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ لا يخالف سنة جده ﷺ ولا يسلك أي مسلك يتنافى مع شريعته، إن هذا الحديث وأمثاله من الموضوعات تؤيد وضع كثرة الأزواج، وتزيد في الافتعال وضوحاً وجلاءً.

---

(1) حياة الإمام الحسن (2/ 451).

(2) البداية والنهاية (11/ 197).

وعلى أي حال، فليس هناك دليل يثبت كثرة أزواج الحسن بن علي ﷺ سوى تلكم الروايات، ونظراً لما ورد عليها من الطعون فلا تصلح دليلاً للإثبات[1]، ولمعرفة كيف يستفيد الأعداء من الروايات الضعيفة والباطلة نتقل ما قاله المستشرق لامنس عن زواج الحسن بن علي ﷺ، وألصق به التهم وطعن برجاله وحماته وقد كتب عن أزواج الحسن بن علي ﷺ ما نصه: ولما تجاوز - يعني الحسن - الشباب، وقد أنفق خير سني شبابه في الزواج والطلاق فأحصي له حوالي المائة زوجة، وألصقت به هذه الأخلاق السائبة لقب المطلاق، وأوقعت علياً في خصومات عنيفة. وأثبت الحسن كذلك أنه مبذر كثير السرف، وقد خصص لكل من زوجاته مسكناً ذا خدم وحشم، وهكذا نرى كيف يبعثر المال أيام خلافة علي التي اشتد فيها الفقر[2].

لقد اعتمد المستشرق الإنجليزي لامنس في قوله: إن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ كان كثير الزواج والطلاق على روايات موضوعة وآثار واهية وزاد عليها لامنس، فذكر من البهتان والأكاذيب بما لم يقل به أحد غيره فقد قال:

1 - إنه ألقى أباه في خصومات عنيفة بسبب كثرة زواجه وطلاقه، ولم يشر أحد ممن ترجم لأمير المؤمنين علي أو الحسن ﷺ إلى تلك الخصومات العنيفة التي زعمها المستشرق لامنس.

2 - وذكر أن أمير المؤمنين الحسن بن علي ﷺ خصص لكل من زوجاته مسكناً ذا خدم وحشم، مع أن جميع المؤرخين الذين اطلعت عليهم لم ينقلوا ذلك، وهذا من الكذب السافر والافتراء المحض.

إن لجان التنصير المسيحي التي حاربت الإسلام وبغت عليه هي التي تدفع هذه الأقلام المأجورة وتزج بها للنيل من الإسلام، وإلى تشويه واقعه والحط من قيم رجاله وأعلامه الذين أناروا الطريق للركب الإنساني، ورفعوا منار الحضارة في العالم[3].

عاشراً: أولاده:

وأما ذريته الشريفة، فهم: الحسن، وزيد، وطلحة، والقاسم، وأبو بكر، وعبد الله، وقد قتل هؤلاء مع عمهم الحسين الشهيد بكربلاء، وعمرو، وعبد الرحمن، والحسين، ومحمد، ويعقوب، وإسماعيل، وحمزة، وجعفر، وعقيل، وأم الحسين، ولم يعقب من ذريته إلا

(1) حياة الإمام الحسن بن علي (2/ 452).
(2) دائرة المعارف (7/ 400).
(3) حياة الإمام الحسن بن علي (2/ 455).

الحسن، وزيد، فللحسن المثنى خمسة أولاد أعقبوا وفيه العدد والبيت، وأمه خولة بنت منظور الفزارية، ولزيد ابن هو الحسن بن زيد، فلا عقب له إلا منه، وأم زيد أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري البدري. وقد ولي إمرة المدينة لأبي جعفر المنصور وهو والد السيدة نفيسة، وله: القاسم، وإسماعيل، وعبد الله، وإبراهيم، وزيد، وإسحاق، وعلي، رضي الله عنهم أجمعين[1]، وهذه سيرة مختصرة لبعض أولاد الحسن.

1 - زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ : أمه أم بشير بنت أبي مسعود وهو عقبة ابن عمرو بن ثعلبة، الخزرجية، فولد زيد بن حسن محمداً هلك لا بقية له وأمه أم ولد، وحسن ابن زيد ولي المدينة لأبي جعفر المنصور وأمه أم ولد، ونفيسة بنت زيد تزوجها الوليد بن عبد الملك بن مروان فتوفيت عنده وأمها لُبابة بنت عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم.

وأخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا عبد الرحمٰن بن أبي الموال قال: رأيت الناس ينظرون إليه ويعجبون من عُظْم خلقه ويقولون: جده رسول الله ﷺ.

وأخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرني عبد الله بن أبي عُبيدة قال: ردفت أبي يوم مات زيد ابن حسن، ومات ببطحاء ابن أزهر على أميال من المدينة فحُمل إلى المدينة، فما أوقينا على رأس الثنية بين المنارتين طُلع بزيد بن حسن في قبة على بعير ميتاً، وعبد الله بن حسن يمشي أمامه قد حزم وسطه بردائه ليس على ظهره شيء فقال لي أبي: يا بُني انزل وأمسك بالركاب، فوالله لئن ركبت وعبد الله يمشي لا تُبلني عنده بالة أبداً، فركبت الحمار ونزل أبي فمشى فما زال يمشي حتى أدخل زيداً داره ببني حُديلة، فغسل ثم أخرج به على السرير إلى البقيع[2].

2 - حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب: وأمه خولة بنت منظور الفزارية، وولد حسن ابن حسن محمداً وأمه رملة بنت سعيد بن زيد ابن عمرو بن نُفيل بن عبد العُزى، وعبد الله بن حسن مات في سجن أبي جعفر، وإبراهيم بن حسن مات في السجن أيضاً مع أخيه، وزينب بنت حسن تزوجها الوليد بن عبد الملك بن مروان ثم فارقها، وأم كلثوم بنت الحسن وأمهم فاطمة بنت حسين بن علي بن أبي طالب، وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله بن تيم، وجعفر بن حسن، وداود، وفاطمة، وأم القاسم وهي نسيمة، ومُليكة وأمهم أم ولد تُدعى حبيبة فارسية كانت لآل أبي أبس من جديلة، وأم كلثوم بنت حسن لأم ولد[3].

---

(1) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص 98، 39، وسير أعلام النبلاء (3/ 279) الدوحة النبوية الشريفة، ص 100.

(2) طبقات ابن سعد (5/ 318، 319).

(3) سيرة آل بيت النبي ﷺ الأطهار، مجدي فتحي السيد، ص 312.

ومن مواقف الحسن بن الحسن قوله لرجل ممن غلوا في أهل البيت: ويحكم أحبونا لله فإن أطعنا الله فأحبونا وإن عصينا الله، فأبغضونا. قال: فقال له رجل: إنكم قرابة رسول الله ﷺ وأهل بيته. فقال: ويحك لو كان الله مانعاً بقرابة من رسول الله أحداً بغير طاعة الله لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أباً وأماً، والله إني لأخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين وإني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين. ويلكم اتقوا الله وقولوا فينا الحق فإنه أبلغ فيما تريدون ونحن نرضى به منكم. ثم قال: لقد أساء بنا آباؤنا إن كان هذا الذي تقولون من دين الله ثم لم يُطلعونا عليه ولم يُرغبونا فيه. قال: فقال له الرافضي: ألم يقل رسول الله ﷺ لعلي: «من كنت مولاه فعلي مولاه؟» فقال: أما والله لو يعني بذلك الإمرة والسلطان لأفصح لهم بذلك كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت ولقال لهم الناس: هذا وليكم من بعدي، فإن أفصح الناس كان للناس رسول الله ﷺ ولو كان الأمر كما تقولون إن الله ورسوله اختارا علياً لهذا الأمر والقيام بعد النبي ﷺ إن كان لأعظم الناس في ذلك خطأً وجُرماً إذ ترك ما أمره به رسول الله ﷺ أن يقوم فيه كما أمره أو يعذر فيه إلى الناس[1]. وهكذا يتبين موقف أهل البيت في محاربتهم للغلو.

الحادي عشر: إخوانه وأخواته:

ونتحدث عن ترجمة مختصرة عن أشقائه من أولاد السيدة فاطمة رضي الله عنها:

1 - الحسين بن علي رضي الله عنه:

هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب، سبط رسول الله ﷺ، وريحانته ومحبوبه، وابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، وقيل غير ذلك، ومات رضي الله عنه قتيلاً شهيداً، في يوم عاشوراء من شهر المحرم سنة إحدى وستين هجرية بكربلاء من أرض العراق فرضي الله عنه وأرضاه[2]، وقد وردت في مناقبه وفضائله أحاديث كثيرة منها:

أ - ما رواه أحمد بإسناده إلى يعلى العامري رضي الله عنه أنه خرج مع رسول الله ﷺ يعني إلى طعام دعوا له قال: فاستمثل رسول الله أمام القوم، وحسين مع غلمان يلعب، فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه فطفق الصبي يفر هنا مرة وهاهنا مرة، فجعل النبي ﷺ يضاحكه حتى أخذه قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه ووضع فاه وقبله وقال: «حسين مني وأنا من حسين، اللهم أحب من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»[3]، وفي ذلك منقبة ظاهرة

(1) طبقات ابن سعد (5/ 319، 320).

(2) البداية والنهاية (8/ 152) الإصابة (1/ 331، 334).

(3) فضائل الصحابة رقم: 1361 إسناده حسن.

للحسين ﷺ إذ حث على محبته وكأنه ﷺ علم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر وأكد على وجوب المحبة وحرمة التعرض له ومحاربته وأكد ذلك بقوله: «أحب الله من أحب حسيناً»، فإن محبته تؤدي لمحبة رسول الله ومحبة الرسول تؤدي إلى محبة الله[1].

ب - ومنها ما رواه البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك ﷺ قال: أتى عبيد الله بن زياد[2]، برأس الحسين عليه السلام فجعل في طست فجعل ينكث وقال في حسنه شيئاً فقال أنس كان أشبههم برسول الله ﷺ، وكان مخضوباً بالوسمة[3].

ت - وفي رواية أخرى عن أنس أيضاً قال: لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكث بالقضيب ثناياه يقول لقد كان أحسنه قال جميلاً، فقلت والله لأسوءنك إني رأيت رسول الله يلثم حيث يقع قضيبك، قال: فانقبض[4].

2 - مُحَسَّن بن علي بن أبي طالب:

لا نعرفه إلا في الحديث الذي يرويه هاني بن هاني عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: لمَّا ولد الحسن جاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني ابني ما سميتموه؟» قلت: سمّيته حرباً، قال: «بل هو حسن»، فلما ولد الحسين قال: «أروني ابني ما سميتموه؟» قلت: سميته حرباً، قال: «بل هو حسين». فلما ولد الثالث جاء النبي ﷺ فقال: «أروني ابني ما سميتموه؟» قلت: حرباً، قال: «بل هو محسَّن» ثم قال: «إني سمّيتهم بأسماء ولد هارون شبر وشُبَيّر ومشبّر»[5]. والظاهر أنه مات طفلاً[6]، ويتبين لنا من هذه الرواية الصحيحة أن محسن مات في عهد النبي ﷺ، وهذا يبطل مزاعم الغلاة والكذابين في رواياتهم الكاذبة الذين يزعمون أن عمر ضرب فاطمة وأسقط ابنها.

3 - أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ﷺ:

زوّج علي بن أبي طالب ﷺ ابنته من فاطمة بنت النبي ﷺ من الفاروق حينما سأله زواجها منه ﷺ رضاً بما يطلب، وثقة فيه وإقراراً لفضله ومناقبه، واعترافاً بمحاسنه وجمال سيرته وإظهاراً بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة والصلات المحكمة المباركة ما يحرق

(1) تحفة الأحوذي (10/ 279).
(2) قتل عبيد الله عام 76 هـ - الأعلام (4/ 193).
(3) الوسمة: شجر باليمن يخضب بورقه الشجر، البخاري رقم: 3748.
(4) فضائل الصحابة (2/ 985) رقم: 1197 إسناده حسن.
(5) مسند أحمد (1/ 98) إسناده صحيح.
(6) التبيين في أنساب القرشيين لابن قدامة المقدسي، ص 133.

قلوب الحساد من أعداء الأمة المجيدة، ويرغم أنوفهم[1]، وقد ولدت أم كلثوم بنت علي من عمر ﷺ ابنة سميت «رقية» وولداً سمته زيداً، وقد روي أن زيد بن عمر حضر مشاجرة في قوم من بني عدي بن كعب ليلاً فخرج إليهم زيد بن عمر ليصلحهم فأصابته ضربة شجت رأسه ومات من فوره، وحزنت أمه لقتله ووقعت مغشياً عليها من الحزن، فماتت من ساعتها، ودفنت أم كلثوم وابنها زيد بن عمر في وقت واحد، وصلى عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، قدمه الحسن بن علي بن أبي طالب وصلّى خلفه[2]، وقد فصلت سيرتها في كتابي عن عمر بن الخطاب ﷺ .

4 - زينب بنت علي بن أبي طالب ﷺ :

ولدت في حياة النبيﷺ وكانت عاقلة لبيبة جزلة زوَّجها أبوها ابن أخيه عبد الله بن جعفر، فولدت له أولاداً، وكانت مع أخيها لما قتل، فحملت إلى دمشق[3] .

ومن أشهر إخوانه من أبيه:

5 - محمد ابن الحنفية:

وكانت أمه من سبي بني حنيفة، اسمها خولة بنت جعفر، وكان فاضلاً عالماً ذا علم ودين وعبادة، وكان حامل راية أبيه يوم الجمل، وكان قوياً، وحكيماً، ومما روي من كلامه أنه قال: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بُداً حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً، وقال: إن الله تعالى جعل الجنة ثمناً لأنفسكم، فلا تبيعوها بغيرها. وقال: من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر. وقال: كل ما لا يبتغى به وجه الله يضمحل. توفي سنة ثلاث وتسعين هجرية[4] .

الثاني عشر: أعمامه وعماته:

وهذه نبذة مختصرة عن أعمامه وعماته:

1 - طالب بن أبي طالب: هلك مشركاً بعد غزوة بدر، وقيل: إنه ذهب فلم يرجع، ولم يُدْرَ له موضع ولا خبر، وهو أحد الذين تاهوا في الأرض، وكان محباً لرسول اللهﷺ، وله فيه مدائح وكان خرج إلى بدر كرهاً، وجرت بينه وبين قريش حين خرجوا إلى بدر محاورة فقالوا: والله يا بني هاشم لقد عرفنا - وإن خرجتم معنا - أن هواكم مع محمد، فرجع طالب إلى مكة

(1) الشيعة وأهل البيت ص 105.
(2) أسد الغابة (7/ 425) ونساء أهل البيت، منصور عبد الحكيم، ص 185.
(3) الإصابة في تمييز الصحابة (8/ 167).
(4) التبيين في أنساب القرشيين، ص 136.

مع من رجع، وقال شعراً وقصيدة ثناء على النبي ﷺ وبكى فيها أصحاب قليب بدر[1].

2 - عقيل بن أبي طالب: كان يكنى أبا يزيد، تأخر إسلامه إلى عام الفتح، وقيل: أسلم بعد الحديبية، وهاجر في أول سنة ثمان، وكان أسر يوم بدر ففداه عمّه العباس، ووقع ذكره في الصحيح في مواضع كثيرة وشهد غزوة مؤتة ولم يسمع له ذكر في الفتح وحنين، كأنه كان مريضاً، أشار إلى ذلك ابن سعد، لكن روى الزبير بن بكار بسنده إلى الحسين بن علي، أن عقيلاً كان ممن ثبت يوم حنين، ومات في خلافة معاوية وفي تاريخ البخاري الأصغر بسند صحيح: أنه مات في أول خلافة يزيد قبل الحرة[2]، وعمره ست وتسعون سنة[3].

3 - جعفر بن أبي طالب: فهو أحد السابقين إلى الإسلام، وكان يحب المساكين ويجالس إليهم ويخدمونه ويحدثهم ويحدثونه، وهاجر إلى الحبشة، فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه، ولقد تحدثت عنه في كتابي: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - واستشهد بمؤتة من أرض الشام مقبلاً غير مدبر[4].

4 - أم هاني بنت أبي طالب: ابنة عم النبي ﷺ فقيل: اسمها فاختة، وقيل: اسمها فاطمة وقيل: هند، والأول أشهر وكانت زوج هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي، وكان له منها عمرو، وبه كان يكنى وفي فتح مكة أجارت أم هاني رجلين من بني مخزوم، وقال لها رسول الله ﷺ: «أجرنا من أجرت يا أم هاني» وروت أم هاني عن النبي ﷺ في الكتب الستة وغيرها[5]، قال الترمذي وغيره: عاشت بعد علي رضي الله عنه[6].

5 - جُمانة بنت أبي طالب: هي أم عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ذكرها ابن سعد في ترجمة أمها فاطمة بنت أسد وأفردها في باب بنات عم النبي ﷺ وقال: ولدت لأبي سفيان بن الحارث ابنة جعفر بن أبي سفيان بن أبي طالب، وأطعمها رسول الله ﷺ من خيبر ثلاثين وسقاً[7].

الثالث عشر: أخواله وخالاته:

أم أخواله فقد ماتوا وهم صغار ولم يبلغ أحد منهم إلى سن البلوغ، وهم القاسم، وإبراهيم وزاد الزبير بن بكار عبد الله - وسمي بالطيّب والطاهر - لأنه ولد بعد النبوة[8] وعليه أكثر علماء النسب، وقيل: إن الطيّب، والطاهر ولدان آخران. ولكن عبد الله والطيب والطاهر

---

(1) الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه من المرتضى للندوي ص 23.
(2) الإصابة في تمييز الصحابة (2/ 494).
(3) المرتضى للندوي، ص 24.
(4) المرتضى، ص 24.
(5) المصدر السابق نفسه، ص 25.
(6) الإصابة في تمييز الصحابة (9/ 317 - 318).
(7) الإصابة (4/ 259/ 260) المرتضى، ص 27.
(8) الدوحة النبوية الشريفة، ص 31.

قد ماتوا بمكة بإجماع العلماء[1]، وجميع أولاده صلوات الله وسلامه عليه من خديجة بنت خويلد، إلا إبراهيم فإنه من ماريا القبطية التي أهداها له مقوقس مصر، عندما أرسل له الدعوة إلى الإسلام في السنة السادسة من الهجرة، وكان ﷺ يكنّى عليه الصلاة والسلام بأبي القاسم، وقد قيل: أنه أكبر أولاده وأول من مات منهم، ولد بمكة قبل النبوة، ومات صغيراً، وقيل: بل عاش حتى بلغ سن التمييز، فقيل: إنه بلغ المشي[2]، وقيل: بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيبة[3]، وأما خالاته فزينب، ورقية، وأم كلثوم رضي الله عنهن.

1 - زينب بنت رسول الله ﷺ:

أكبر خالات الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ زينب، وأدركت الإسلام، وهاجرت، وكان رسول الله ﷺ محباً لها، وقد كانت أول بناته زواجاً، فعن عائشة ﷺ قالت: كان أبو العاص بن الربيع من رجال مكة المعدودين - مالاً وتجارة وأمانة - وهو ابن أخت خديجة، أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة لأمها وأبيها فقالت خديجة لرسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ لا يخالفها وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي، وكانت خديجة تعده بمنزلة ولدها، فلما أكرم الله تعالى نبيه بنبوته آمنت خديجة وبناتها رضي الله عنهن، فلما بادى رسول الله ﷺ قريشاً بأمر الله تعالى، أتوا العاص بن الربيع، فقالوا: إنكم قد فرّغتم محمداً من همّه، فرُدّوا عليه بناته، فاشغلوه بهنّ، وقالوا لأبي العاص بن الربيع: فارق صاحبتك، ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت، فقال: لاها الله إذا، لا أفارق صاحبتي، ولا أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش. وكان رسول الله ﷺ يثني على صهره خيراً[4]. وجاء عنه أنه تذكر زينب وهو في تجارته في الشام فقال[5]:

ذكرت زينب لما وركت[6] إرما[7] فقلت: سقيا لشخص يسكن الحرما
بنت الأمين جزاها الله صالحة وكلُّ بعلٍ سيثني بالذي علما[8]

أ - وفاء زينب لزوجها:

وكما كان أبو العاص بن الربيع وفياً لزوجه زينب، كانت هذه كذلك له، فقد أبى أبو

(1) الاستيعاب (4/ 281).
(2) الدوحة النبوية الشريفة، ص 31، الذرية الطاهرة للدولابي، ص 42.
(3) الدوحة النبوية الشريفة، ص 31. (4) سيرة ابن هشام (2/ 296).
(5) طبقات ابن سعد (8/ 32)، مستدرك الحاكم (4/ 44).
(6) ووركت: أي اضطجعت، يقال: ورك يرك وروكاً: إذا اضطجع، أي كأنه وضع وركه في الأرض.
(7) الإرم: الأحجار التي تنصب علامات في الطرق والمفاوز، والجمع أرم وإرم.
(8) الدوحة النبوية الشريفة، ص 31.

العاص أن يسلم بمكة، وأقامت زوجه معه على إسلامها، حتى كانت معركة بدر، فحضرها أبو العاص في صفّ كفار قريش، فأسر فيمن أسر منهم، فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال، وكانت فيه قلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها، قالت عائشة أم المؤمنين: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة، وقال للمسلمين: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردّوا عليها مالها، فافعلوا**»، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردّوا عليه الذي له[1]. ويجدر بنا أن نقف وقفة تأمل في خطابه لأصحابه وما تضمنه من سمو العبارة والأدب الرفيع مما ينبغي أن نتحلى به في حياتنا. وكان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه عهداً، بأن يخلي زينب لتلحق به، وكانت من المستضعفين بمكة من النساء واستكتمه رسول الله ﷺ ذلك وصدق في عهده وأرسل زينب وتعرضت لابتلاء شديد في طريقها إلى المدينة[2].

ب - إسلام زوجها وأمانته:

وأقام أبو العاص بن الربيع بمكة، وأقامت زينب عند رسول الله ﷺ بالمدينة حين فرق بينهما الإسلام، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام، وكان رجلاً مأموناً، بمال له، وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً، لقيته سرية لرسول الله ﷺ، فأصابوا ما معه، وأعجزهم هارباً، فلما قدمت السرية بماله، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ، فاستجار بها فأجارته، وجاء في طلب ماله، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح، فكبّر الناس وراءه صرخت زينب من صُفّة النساء: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال: «**أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟**» قالوا: نعم: قال: «**أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أدناهم**». ثم انصرف، فدخل على ابنته، فقال: «**أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص إليك، فإنك لا تحلّين له**». وبعث رسول الله ﷺ إلى السرية الذين أصابوا المال، فقال: «**إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه ماله الذي له فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به**»، قالوا: يا رسول الله بل نرده عليه فردّوه، حتى إن الرجل ليأتي بالدلو، والرجل يأتي بالشنّة[3] والإداوة[4] حتى أن أحدهم ليأتي بالشطاط، ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذي مالٍ من قريش ماله، ومن كان أبضع معه. ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: كلا،

(1) سير أعلام النبلاء (472).
(2) تاريخ الإسلام للذهبي، المغازي، ص 69.
(3) الشنة هي: السقاء البالي.
(4) الإداوة: مطهرة يتوضأ منها.

فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفياً كريماً، قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوُّف أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أدَّاها الله إليكم، وفرغت منها أسلمت، ثم خرج فقدم على رسول الله ﷺ[1].

وجاء عن عامر الشعبي وغيره: أن أبا العاص بن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين، قيل له: هل لك أن تُسلِم وتأخذ هذه الأموال، فإنها أموال المشركين؟ فقال أبو العاص: بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي[2]. ومن أقوال أبو العاص ﷺ: تعلم قيمة عظيمة وهي الأمانة والتحلي بمكارم الأخلاق حتى مع غير المسلمين، فلا ينبغي للمسلم أن يخون أمانته لأي سبب كان.

ولما قدم أبو العاص بن الربيع على رسول الله ﷺ مسلماً ردّ عليه زوجته زينب بالنكاح الأول، ولم يحدث نكاحاً جديداً[3]، وقد جاء في التحاقهما بالنبي ﷺ بالمدينة روايات أخرى إلا أنها تتفق على وفاء أبي العاص بن الربيع لرسول الله ﷺ، وتتفق على إيذاء المشركين لها في خروجها من مكة[4].

جـ - وفاتها وذريّتها:

فقد جاء عن عروة بن الزبير: أن رجلاً أقبل بزينب بنت رسول الله فلحقه رجلان من قريش، فقاتلاه حتى غلباه عليها، فدفعاها حتى وقعت على صخرة، فأسقطت وأهريقت دماً، وذهبوا بها إلى أبي سفيان، فجاءته نساء بني هاشم فدفعها إليهن ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة، فلم تزل وجعة حتى ماتت من ذلك الوجع، فكانوا يرون أنها شهيدة، وكانت وفاتها في أول سنة ثمان من الهجرة النبوية[5].

ووقف رسول الله ﷺ على تجهيزها، فعن أم عطية ﷺ قالت: لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ قال لنا: «**اغسلنها وتراً، ثلاثاً أو خمساً، واجعلن في الخامسة كافوراً، أو شيئاً من كافور، فإذا غسلتنها فأعلمنني**»، قالت: فأعطانا حِقْوة، وقال: «**أشعرنها إياه**»[6]. وهكذا نرى حجم المصائب التي تحملها الرسول ﷺ حتى وصلت إلى بناته وقد استمر على طريق الدعوة صابراً محتسباً، ومنه نتعلم أن طريق إعزاز الإسلام يحتاج إلى صبر واستعداد للتضحية.

---

(1) التاريخ الإسلامي للذهبي، المغازي، ص 70.
(2) دلائل النبوة للبيهقي (1/ 154).
(3) الدوحة النبوية الشريفة، ص 41.
(4) المصدر السابق نفسه، ص 41.
(5) مجمع الزوائد للهيثمي (9/ 216).
(6) مسلم، كتاب: الجنائز (2/ 648)، طبقات ابن سعد (8/ 34).

وقد أنجبت زينب ﷺ من أبي العاص بن الربيع، أمامة، وعلياً، أما علي فقد مات وهو صغير، وقيل: مات في حياة الرسول ﷺ، وقد ناهز الحلم ودخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، وهو مردفه على ناقته. وكانت أمامة عند رسول الله ﷺ بالموقع الكريم، والمحل العظيم، فقد كان يحملها على عاتقه وهو يؤم الناس في الصلاة، فعن أبي قتادة الأنصاري قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي وهو يحمل أمامة بنت أبي العاص ابنة ابنته على عاتقه، فإذا ركع وضعها وإذا قام حملها[1]، وعن عائشة ﷺ: أن النجاشي أهدى للنبي ﷺ حِلْية فيها خاتم من ذهب فصُّه حبشي فأخذه وإنه لمعرض عنه، فأرسله إلى ابنة ابنته زينب، وقال: «تَحلّي بهذا يا بنية»[2]، وفي رواية: أن رسول الله ﷺ دخل على أهله ومعه قلادة جزع[3]، فقال: «لأعطينَّها إلى أحبكنّ إلي» فقلن: يدفعها إلى ابنة أبي بكر، فدعا بابنة أبي العاص من زينب فعقدها بيده[4]، وكان على عينها رَمَص، فمسحه بيده ﷺ.

وأما أمامة فقد عاشت، وتزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة خالتها فاطمة الزهراء، وكان أبو العاص بن الربيع قد أوصى بابنته أمامة إلى الزبير بن العوام، فزوجها من علي بن أبي طالب، واستشهد علي ﷺ وهي عنده، ثم تزوجت بعده المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وماتت عنده، ولم تنجب أمامة لعلي بن أبي طالب، ولا للمغيرة بن نوفل، وقيل: ولدت للمغيرة ولداً سماه يحيى ومات، فانقطع بذلك نسل السيدة زينب عليها السلام.

2 - رقيّة بنت رسول الله ﷺ:

وقد ولدت على الأصح بعد زينب سنة ثلاث وثلاثين من عمر النبي ﷺ، وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة وبايعت حين بايعه الناس، وكانت قد خطبها عتبة بن أبي لهب، فلما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1] قال له أبوه: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنة محمد، وسأل رسول الله ﷺ عتبة طلاقها وسألته هي ذلك. ولم يكن قد دخل بها - فقالت له أمه أم جميل - وهي حمّالة الحطب -: طلّقها يا بُنيّ، فإنها قد صبأت، ففارقها، فأخرجها الله من يده كرامة لها، وهواناً له، فتزوجت عثمان بن عفان بمكة، وهاجر بها إلى الحبشة، ثم إلى المدينة المنورة فهي ممن هاجر الهجرتين[5].

هذا وقد توفيت بالمدينة بعد انتهاء غزوة بدر، فعن ابن شهاب الزهري قال: تخلّف

(1) مسلم رقم: 543.
(2) مسند أحمد (6/ 101، 261) سنده ضعيف، الدوحة النبوية الشريفة، ص 43.
(3) الجزع: هو الخرز اليماني، واحدته جزعة.
(4) طبقات ابن سعد (8/ 40)، الاستيعاب لابن عبد البر (4/ 245)، الدوحة النبوية الشريفة، ص 43.
(5) الدوحة النبوية الشريفة، ص 44، تفسير القرطبي (4/ 242).

عثمان بن عفان عن غزوة بدر على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وكانت قد أصابتها الحصبة، وجاء زيد بن حارثة بشيراً بوقعة بدر، وعثمان على قبر رقية، قال أبو عمر بن عبد البر: لا خلاف بين أهل السير أن عثمان بن عفان ﷺ إنما تخلَّف عن بدر على امرأته رقية بأمر رسول الله ﷺ، وأنه ضرب له بسهمه وأجره[1]، وقد ولدت رقيّة ﷺ لعثمان بالحبشة ولداً سماه عبد الله، وكان يُكنَّى به، بلغ سنتين، وقيل: ست سنين، فنقر عينه ديك فتورم وجهه ومرض ومات، وقيل: أسقطت من عثمان سقطاً، ثم ولدت عبد الله، فمات، ولم تلد له غيره حتى توفيت رضي الله عنها وأرضاها[2]، قال ابن سعد في الطبقات: وهاجرت معه - أي عثمان - إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً.. وكانت في الهجرة الأولى قد أسقطت من عثمان سقطاً ثم ولدت له بعد ذلك ولد فسماه عبد الله، وكان عثمان يكنى به في الإسلام[3] وبهذا يكون نسبها قد انقطع[4].

3 - أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ:

وأما خالة الحسن ﷺ الثالثة فهي أم كلثوم، فقد عرفت بكنيتها، ولا يعرف لها اسم إلا ما ذكره الحاكم عن مصعب الزبيري أن اسمها أمية وهي أكبر سناً من فاطمة ﷺ[5]، وكانت قد تزوجها عتيبة بن أبي لهب، أخو عتبة الذي تزوج أختها رقية - ولم يدخلا بهما - فأمره أبوه وأمه أن يفارقها كما أمرا أخاه أن يفارق أختها. وجاء إلى النبي ﷺ فقال له: كفرت بدينك، وفارقتُ ابنتك لا تحبني ولا أحبك، ثم سطا عليه فشق قميص النبي ﷺ، وكان خارجاً إلى الشام، فقال النبي ﷺ: «أما إني أسأل الله أن يسلط عليك كلباً من كلابه» فخرج في تَجْر قريش - أي جماعة التجار - نحو الشام حتى نزلوا بمكان يقال له الزرقاء فأطاف بهم الأسد في تلك الليلة، فجعل عتيبة يقول: أيا ويل أمي هو والله آكلي كما دعا عليّ محمد، أقاتلي ابن أبي كبشة وهو بمكة وأنا بالشام؟ فعدا عليه الأسد من بين القوم، فأخذ برأسه فضغمه ضغمة فقتله[6]، ولما فارقها عتيبة بن أبي لهب لم تزل بمكة مع رسول الله ﷺ وهاجرت إلى المدينة حين هاجر رسول الله ﷺ، وخرجت إليها مع عياله[7].

---

(1) الاستيعاب (4/ 1952).

(2) الذرية الطاهرة للدوالبي، ص 53، الدوحة النبوية الشريفة، ص 45.

(3) الطبقات (8/ 36).

(4) الدوحة النبوية الشريفة، ص 45.

(5) المصدر السابق نفسه، ص 46.

(6) المعجم الكبير للطبراني (22/ 435، 436) وفيه زهير بن العلاء وهو ضعيف، الذرية الطاهرة للدوالبي، ص 76.

(7) الدوحة النبوية الشريفة، ص 46.

أ - زواجها:

وقال سعيد بن المسيب: تأيَّم عثمان من رقية بنت رسول الله ﷺ وتأيَّمت حفصة بنت عمر من زوجها، فمر عمر بعثمان، فقال: هل لك في حفصة، وكان عثمان قد سمع رسول الله ﷺ يذكرها فلم يجبه، وذكر ذلك عمر للنبي ﷺ، فقال: «**هل لك في خير من ذلك؟ أتزوج حفصة وأزوج عثمان خيراً منها أم كلثوم**»[1]، وكان زواج أم كلثوم من عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ثلاث من الهجرة النبوية، في ربيع الأول، وبنى بها في جمادى الآخرة[2]. وجاء أن رسول الله ﷺ دخل على ابنته وهي تغسل برأس عثمان رضي الله عنه، فقال: «**يا بنيَّة أحسني إلى أبي عبد الله، فإنه أشبه أصحابي بي خلقاً**»[3].

وفاتها:

ولم تزل أم كلثوم عند عثمان رضي الله عنه إلى أن توفيت في شعبان سنة تسع من الهجرة وصلّى عليها رسول الله ﷺ، وجلس على شفير قبرها ﷺ، فعن أنس بن مالك أنه رأى النبي ﷺ جالساً على قبر أم كلثوم، قال: فرأيت عينيه تدمعان، فقال: «**هل منكم رجل لم يقارف الليلة؟**» فقال أبو طلحة: أنا، قال: «**فانزل في قبرها**»[4]. وقد غسلتها أسماء بنت عُميس، وصفية بنت عبد المطلب وهي التي شهدت أم عطية غُسلها، وحكت قول رسول الله ﷺ: اغسلنها ثلاثاً، أو خمساً، أو أكثر من ذلك[5].

وجاء عند ابن سعد أن علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وأسامة بن زيد، قد نزلوا في حفرتها مع أبي طلحة، وأن التي غسلتها هي أسماء بنت عميس، وصفية بنت عبد المطلب[6].

ذريتها:

اتفق العلماء على أن أم كلثوم لم تلد ولم تعقب[7]. ومن الغريب أن بعض الشيعة يطعنون

(1) مستدرك الحاكم (4/ 49)، صحيح.

(2) سنن ابن ماجه رقم: 110 فيه ضعف، الدوحة النبوية، ص 47.

(3) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (9/ 81) قال الهاشمي: فيه محمد بن عبد الله يروي عن المطلب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(4) البخاري، كتاب: الجنائز (3/ 208) رقم: 1285.

(5) البخاري رقم: 1253، الاستيعاب رقم: 3063.

(6) الطبقات (8/ 38، 39)، الاستيعاب رقم: 3563.

(7) طبقات ابن سعد (8/ 38) الاستيعاب لابن عبد البر (4/ 487)، الإصابة (4/ 489)، مجمع الزوائد (9/ 217)، عيون الأثر لابن سيد الناس (2/ 380) الدوحة النبوية الشريفة، ص 49.

بصحة نسب بنات النبي ﷺ ومع ذلك يزعمون بأنهم يحبون النبي ﷺ مخالفين بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والتاريخ ويكفي في الرد عليهم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: 59] فذكر بناته بالجمع.

المبحث الثاني

أم الحسن بن علي بن أبي طالب السيدة فاطمة الزهراء ﷺ

هي فاطمة بنت إمام المتقين سيد ولد آدم رسول الله ﷺ وأمها خديجة بنت خويلد، كانت تكنى بأم أبيها[1]، ولدت ﷺ قبل البعثة سنة خمس وثلاثين من مولد النبي ﷺ[2]، زوجها النبي ﷺ علي بن أبي طالب سنة اثنتين للهجرة بعد وقعة بدر وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم، وزينب ومحسِّن، وكانت وفاتها بعد وفاة النبي ﷺ بستة أشهر، فرضي الله عنها وأرضاها[3].

أولاً: مهرها وجهازها:

قال علي بن أبي طالب ﷺ: خُطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا، قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك؟ فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك. قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة. فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ فقلت: نعم، فقال: وهل عندك من شيء تستحلها؟ فقلت: لا والله يا رسول الله. فقال: «**ما فعلت درع سلحتكها؟**» فوالذي نفس علي بيده إنها لحطمية ما قيمتها أربعمائة درهم، فقلت: عندي فقال: «**قد زوجتكها، فابعث إليها بها**» فاستحلها بها، فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ[4].

---

(1) أسد الغابة (5/ 520)، الإصابة (4/ 365).

(2) الطبقات لابن سعد (8/ 26).

(3) حلية الأولياء (2/ 39، 43) سير أعلام النبلاء (2/ 118).

(4) دلائل النبوة للبيهقي (3/ 160) إسناده حسن.

وقد جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل[1]، وقربة ووسادة أدم[2] حشوها إذخر[3]، وقد جاء في روايات الشيعة مساهمة لعثمان بن عفان ﷺ في الزواج الميمون حيث قال علي ﷺ: فأخذت درعي فانطلقت به إلى السوق فبعته بأربع مائة درهم من عثمان بن عفان، فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع مني قال: يا أبا الحسن، ألست أولى بالدرع منك وأنت أولى بالدراهم مني؟ فقلت: نعم، قال: فإن هذا الدرع هدية مني إليك، فأخذت الدرع والدراهم وأقبلت إلى رسول الله ﷺ، فطرحت الدرع والدراهم بين يديه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان فدعا له النبي ﷺ بخير[4].

ثانياً: زفافها:

قالت أسماء بنت عميس: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما أصبحنا جاء النبي ﷺ إلى الباب فقال: «يا أم أيمن ادعي لي أخي» فقالت: هو أخوك وتنكحه؟ قال: «نعم يا أم أيمن»، قالت: فجاء علي فنضح النبي ﷺ من الماء ودعا له ثم قال: «ادعو إلي فاطمة» قالت: فجاءت تعثر من الحياء فقال لها رسول الله ﷺ: «اسكني فقد أنكحتك أحب أهل بيتي إلي» قالت: ونضح النبي ﷺ عليها من الماء ودعا لها، قالت: ثم رجع رسول الله ﷺ فرأى سواداً بين يديه، فقال: «من هذا؟» فقالت: أنا، قال: «أسماء؟» قلت: نعم، قال: «أسماء بنت عميس؟» قلت: نعم، قال: «جئت في زفاف بنت رسول الله تكرمة له؟» قلت: نعم، قالت: فدعا لي[5]، وفي هذه القصة قيمة اجتماعية رفيعة وهي التعاون بين أفراد المجتمع في المناسبات الاجتماعية المختلفة.

ثالثاً: وليمة العرس:

عن بريدة قال: لما خطب علي فاطمة، قال رسول الله ﷺ: «إنه لا بد للعُرس[6] من وليمة» قال: فقال سعد: عليّ كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعاً من ذرة، فلما كان ليلة البناء، قال: «يا علي لا تحدث شيئاً حتى تلقاني..» فدعا النبي ﷺ بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على علي، فقال: «اللهم بارك فيهما وبارك عليهما، وبارك في شبلهما»[7].

---

(1) خميل: القطيفة. (2) الأدم: الجلد.

(3) إذخر: نبات، صحيح السيرة النبوية، ص 667، مسند فاطمة الزهراء وما ورد في فضلها، تحقيق فؤاد أحمد زمرلي، ص 189.

(4) كشف الغمة للأربلي (1/ 359) نقلاً عن: الشيعة وأهل البيت، ص 137، 138.

(5) فضائل الصحابة (2/ 955) رقم: 342، إسناده صحيح.

(6) للعرس: أي للعروس.

(7) المعجم الكبير للطبراني (1153)، فضائل الصحابة (2/ 858) إسناده، صحيح.

رابعاً: معيشة علي وفاطمة ﷺ:

كانت معيشة علي وفاطمة ﷺ وهما من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، معيشة زهد وتقشف، وصبر وجهد، فقد أخرج هناد عن عطاء، قال: نبئت أن علياً ﷺ قال: مكثنا أياماً ليس عندنا شيء، ولا عند نبي الله ﷺ، فخرجت، فإذا أنا بدينار مطروح على الطريق فمكثت هنيهة أوامر نفسي في أخذه أو تركه، ثم أخذته لما بنا من الجهد، فأعطيت به الضفاطين[1] فاشتريت به دقيقاً، ثم أتيت به فاطمة فقلت: اعجني واخبزي، فجعلت تعجن وإن قصتها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذي بها - ثم خبزت، فأتيت نبي الله ﷺ، فأخبرته، فقال: «كلوا فإنه رزق رزقكموه الله عز وجل»[2]، وعن الشعبي، قال: قال علي ﷺ: تزوجت فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ وما لي ولها فراش غير جلد كبش تنام عليه بالليل، ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، وما لي خادم غيرها[3].

وعن مجاهد قال علي: جعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدراً، فظننتها تريد بلّه[4]، فأتيتها فقاطعتها[5] كلّ ذنوب[6] على تمرة، فمددت ستة عشرة ذنوباً، حتى مجلت يداي[7]، ثم أتيت الماء فأصبت منه، ثم أتيتها فقلت: يكفي هذا بين يديها[8]، فعدت لي ست عشرة تمرة، فأتيت النبي ﷺ، فأخبرته، فأكل معي منها[9]، في هذا الخبر بيان لشدة الحال التي مر بها والد الحسن في المدينة، ونأخذ منها صورة من السلوك المشروع في مواجهة الشدائد حيث خرج علي للعمل بيديه للكسب المشروع، ولم يجلس منتظراً ما تجود به أيدي المحسنين، وصورة أخرى من قوة التحمل حيث قام بذلك العمل الشاق وهو يعاني من شدة الجوع ما يضعف قوته، وصورة أخرى من إيثار الأحبة والوفاء لهم، فهو على ما به من شدة الجوع وبالرغم مما قام به من ذلك العمل الشاق قد احتفظ بأجرته من التمر حتى لقي النبي ﷺ فأكل معه[10]، إن من أهم الدروس في هذه القصة هو أن فقر الإنسان أو غناه المادي لا يعبر بالضرورة على حب الله للعبد من عدمه للعبد، وإنما المعيار الحقيقي هو تقوى الله ﷻ وينبغي أن يكون تقييمنا للناس على هذا الأساس.

---

(1) الضفاطون: الحمالون والمكارون الذين يجلبون الدقيق من الخارج.
(2) كنز العمال (7/ 328)، المرتضى للندوي، ص 41.
(3) كنز العمال (7/ 133) المرتضى للندوي، ص 41.
(4) المدر: يعني الطين اليابس، تريد بلّه: يعني بالماء.
(5) فقاطعتها: أي اتفقت معها على أجرة.
(6) ذنوب: دلو.
(7) مجلت: تورمت من العمل.
(8) يعني: بسطهما وضمهما.
(9) صفة الصفوة (1/ 320)، الموسوعة الحديثية، مسند أحمد (1135) إسناده ضعيف لانقطاعه.
(10) التاريخ الإسلامي للحميدي (19/ 49، 50).

خامساً: زهد السيدة فاطمة وصبرها:

كانت حياة والدة الحسن ﷺ في غاية البساطة بعيدة عن التعقيد، وهي إلى شظف العيش أقرب منها إلى رغده[1]، وهذه القصة تصور لنا حال السيدة فاطمة من التعب وموقف رسول الله ﷺ منها عندما طلبت منه أن يعطيها خادماً من السبي، قال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوت[2]، حتى لقد اشتكيت صدري، قال: وجاء الله أباك بسبي فاذهبي، فاستخدميه[3]، فقالت: أنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي، فأتيت النبي ﷺ فقال: «ما جاء بك أي بنية». قالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله ورجعت فقال علي: ما فعلت؟ قالت: استحيت أن أسأله، فأتينا جميعاً، فقال علي: يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي[4]، وقد جاءك الله بسبي وسعة فأخدمنا، فقال رسول الله ﷺ: «**والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوي[5] بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم**» فرجعا فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطيت رؤوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيت أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فثارا، فقال: «**مكانكما**»، ثم قال: «**ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟**» قالا: بلى. فقال: «**كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام**»، فقال: «**تسبحان في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين**»[6] وفي هذه القصة السالفة بعض القيم منها: إن هذه الحادثة تبين لنا كيف أدار النبي ﷺ الأزمة الاقتصادية التي مرت بدولة الرسول ﷺ في المدينة، وذلك من خلال ترتيبه للأولويات، فسد جوع أهل الصفة ضرورة ملحة، وأما حاجة علي وفاطمة للخادم، فليست بمرتبة احتياج أهل الصفة، فقدم رسول الله أهل الصفة عليهم، وكانت وسائل رسول الله ﷺ في حل الأزمة الاقتصادية كثيرة، ولقد تأثر والد الحسن بن علي ﷺ بهذه التربية النبوية، ويمر الزمن بأمير المؤمنين علي فيصبح خليفة المسلمين، فإذا به من آثار هذه التربية يترفع عن الدنيا وزخارفها وبيده كنوز الأرض وخيراتها، لأن ذكر الله يملأ قلبه ويغمر وجوده، ولقد حافظ على وصية رسول الله ﷺ له وقد حدثنا عن ذلك فقال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن، فسأله أحد أصحابه: ولا ليلة صفين؟ فقال: ولا ليلة صفين[7].

---

(1) انظر: معين السيرة، ص 255، للشامي.

(2) سنوت: استقيت. (3) أي اسأليه خادماً.

(4) مسلم رقم: 2727 السيرة النبوية للصَّلّابي (2/ 99).

(5) تطوي: طوى من الجوع، فهو خالي البطن جائع لم يأكل.

(6) البخاري رقم: 3705 مسلم رقم: 2727.

(7) مسلم (4/ 2092).

سادساً: محبة رسول الله ﷺ للسيدة فاطمة وغيرته عليها:

عن ثوبان ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر آخر عهده بالمدينة إتيان فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم من سفره فاطمة[1]، وفي رواية عن أبي ثعلبة الخشني قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من غزو أو سافر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يأتي فاطمة، ثم يأتي أزواجه[2]، وعن عائشة ﷺ قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ولا دلّا برسول الله ﷺ في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها[3]، وفي رواية أنها كانت تقبل يديه[4]، وعن أسامة بن زيد قال قال: رسول الله ﷺ: **«أحب أهل بيتي إليّ فاطمة»**[5]، وقد أراد علي ﷺ أن يتزوج بنت أبي جهل على فاطمة، فخطب رسول الله ﷺ الناس - إن في رواية السيدة عائشة للحديث دليل على حقيقة المحبة بين السيدتين وليست كما يدعي المغرضون[6] - فقال: **«فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني»**[7].

وعن المسور بن مخرمة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ على المنبر يقول: **«بني هاشم بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها»**[8].

وروى الترمذي بسنده إلى عبد الله بن الزبير ﷺ أن علياً ذكر بنت أبي جهل فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: **«إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويتعبني ما أتعبها»**[9].

ومن مناقب السيدة فاطمة ما رواه الحاكم أيضاً بإسناده إلى بريدة ﷺ قال: كان أحب النساء إلى رسول الله ﷺ فاطمة، ومن الرجال علي[10]، ولا يفهم من هذا الحديث معارضته

---

(1) مسند أحمد (5/ 275) الذرية النبوية، ص 56.
(2) الاستيعاب (4/ 376) في سنده أبو فروة الرهاوي مضعف، الذرية النبوية، ص 56.
(3) مسلم رقم: 2450، صحيح سنن أبي داود رقم: 5217.
(4) سنن أبي داود رقم: 5217 وصححه الألباني في، صحيح سنن أبي داود (3/ 979).
(5) مسند الطيالسي (2/ 25) حسن، صحيح.
(6) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (1/ 136).
(7) البخاري رقم: 4173. (8) البخاري رقم: 5230
(9) فضائل الصحابة (2/ 756) رقم: 1327، إسناده صحيح.
(10) المستدرك، كتاب: معرفة الصحابة (3/ 155)، صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

لما ثبت في الصحيح من حديث عمرو بن العاص، أنه سئل النبي ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» قال: من الرجال؟ قال: «أبوها»[1]. فالمراد من هذا الحديث والله أعلم أن فاطمة أحب النساء إليه من أهله وعلي من رجالهم، وفي ذلك يقول ابن العربي عند هذا الحديث: كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ أبو بكر وأحب أزواجه إليه عائشة، وأحب أهله إليه فاطمة وعلي من رجالهم، وبهذا الترتيب تأتلف الأحاديث ويرتفع عنها التعارض[2].

سابعاً: صدق لهجتها:

روى الحاكم بإسناده إلى عائشة ﷺ أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي ﷺ قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها ألا أن يكون الذي ولدها[3].

وفي ذلك منقبة ظاهرة لها ﷺ فقد وصفتها أم المؤمنين عائشة ﷺ بأنها كانت تشبه النبي ﷺ هيئة وطريقة وحسن حال كما كان التزامها للصدق أشبه له فرضي الله عنها وأرضاها[4].

ثامناً: سيادتها في الدنيا والآخرة:

جاءت الأحاديث الصحيحة عن الصادق المصدوق التي دلت على سيادتها في الدنيا والآخرة، روى الترمذي بإسناده إلى أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسيا امرأة فرعون**»[5]، وروى الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا من كان من مريم بنت عمران**»[6]. وقال البخاري: باب مناقب فاطمة ﷺ، وقال النبي ﷺ: «**فاطمة سيدة نساء أهل الجنة**»[7].

تاسعاً: الصديق والسيدة فاطمة وميراث النبي ﷺ:

قالت عائشة ﷺ: إن فاطمة والعباس ﷺ أتيا أبا بكر ﷺ يلتمسان ميراثهما من

---

(1) البخاري رقم: 4358.
(2) عارضة الأحوذي (13/ 247، 248)، العقيدة في أهل البيت، ص 137.
(3) المستدرك (3/ 160، 161)، صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
(4) العقيدة في أهل البيت، ص 136.
(5) فضائل الصحابة (2/ 255) رقم: 1325، صححه الألباني المشكاة (3/ 745).
(6) فضائل الصحابة رقم: 1332 إسناده حسن لغيره.
(7) البخاري، كتاب: فضل الصحابة (4/ 252).

رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر، فقال لهما أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال**»[1].

وفي رواية قال أبو بكر ﷺ: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ[2].

وعن عائشة ﷺ قالت: إن أزواج النبي ﷺ، حيث توفي رسول الله ﷺ، أردن أن يبعثن عثمان بن عفان ﷺ إلى أبي بكر، ليسألنه ميراثهن من النبي ﷺ، فقالت عائشة ﷺ لهن: أليس قد قال رسول الله ﷺ: «**لا نورث ما تركنا صدقة؟**»[3].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهي صدقة**»[4]، وهذا ما فعله أبو بكر الصديق ﷺ مع فاطمة ﷺ امتثالاً لقوله ﷺ، لذلك قال الصديق لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به[5]، وقال: والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يضعه فيه إلا صنعته[6].

وقد تركت أم الحسن ﷺ منازعته بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها، وفيه دليل على قبولها الحق وإذعانها لقوله ﷺ، وقد غلا الشيعة في قصة ميراث النبي ﷺ غلواً مفرطاً مجانبين الحق والصواب، وقد ناقشتهم في كتابي (أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)[7]، وبينت فيه حقيقة ما وقع بين الصديق والسيدة فاطمة في قضية الميراث.

عاشراً: تسامح السيدة فاطمة مع أبي بكر ﷺ:

وقد ثبت عن فاطمة ﷺ أنها رضيت عن أبي بكر بعد ذلك، وماتت وهي راضية عنه، على ما روى البيهقي بسنده عن الشعبي أنه قال: لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق، فاستأذن عليها، فقال علي: يا فاطمة هذا أبو بكر الصديق يستأذن عليك؟ فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم، فأذنت له فدخل عليها يترضاها، فقال: والله ما تركت الدار والمال، والأهل والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة رسوله، ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضاها حتى رضيت[8]، قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي والظاهر أن عامر الشعبي سمعه من علي

(1) البخاري رقم: 6726.
(2) مسلم رقم: 1759.
(3) البخاري رقم: 6730، مسلم رقم: 1758.
(4) البخاري رقم: 6729.
(5) مسلم رقم: 1758.
(6) البخاري رقم: 6726.
(7) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (1/ 199).
(8) السنن الكبرى للبيهقي (6/ 301).

أو ممن سمعه من علي[1]، وبهذا تندحض مطاعن الشيعة على أبي بكر التي يعلقونها على غضب فاطمة عليه، فلئن كانت غضبت في بداية الأمر فقد رضيت بعد ذلك وماتت وهي راضية عنه، ولا يسع أحد صادق في محبته لها، إلا أن يرضى عمن رضيت عنه[2].

ولا يعارض هذا ما ثبت في حديث عائشة: إنما يأكل آل محمد ﷺ هذا المال، وأني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ فأبى أبو بكر أن يدفع لفاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت[3]، فإن هذا بحسب علم عائشة ﷺ، راوية الحديث.

وفي حديث الشعبي زيادة علم، وثبوت زيادة أبي بكر لها وكلامها له ورضاها عنه، فعائشة ﷺ نفت والشعبي أثبت، ومعلوم لدى العلماء: أن قول المثبت مقدم على قول النافي، لأن احتمال الثبوت حصل بغير علم النافي، خصوصاً في مثل هذه المسألة، فإن عيادة أبي بكر لفاطمة ﷺ ليست من الأحداث الكبيرة التي تشيع في الناس، ويطلع عليها الجميع، وإنما هي من الأمور العادية التي قد تخفى على من لم يشهدها، والتي لا يعبأ بنقلها لعدم الحاجة لذكرها.

على أن الذي ذكره العلماء: أن فاطمة ﷺ - لم تتعمد هجر أبي بكر - ﷺ تلك الفترة أصلاً، ومثلها ينزه عن ذلك لنهي النبي ﷺ عن الهجر فوق ثلاث، وإنما لم تكلمه لعدم الحاجة لذلك[4]، قال القرطبي صاحب المفهم في سياق شرحه لحديث عائشة المتقدم: ثم إنها (أي فاطمة) لم تلتق بأبي بكر لشغلها بمصيبتها برسول الله ﷺ ولملازمتها بيتها فعبر الراوي عن ذلك بالهجران، وإلا فقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»[5]، وهي أعلم الناس بما يحل من ذلك ويحرم، وأبعد الناس عن مخالفة رسول الله ﷺ كيف لا يكون كذلك وهي بضعة من رسول الله ﷺ وسيدة نساء أهل الجنة[6].

لقد انشغلت فاطمة ﷺ عن كل شيء بحزنها لفقدها أكرم الخلق، وهي مصيبة تزري بكل المصائب، كما أنها انشغلت بمرضها الذي ألزمها الفراش عن أية مشاركة في أي شأن من الشؤون فضلاً عن لقاء خليفة المسلمين المشغول بكل لحظة من لحظاته، بشؤون الأمة، وحروب الردة وغيرها، كما أنها كانت تعلم بقرب لحوقها بأبيها فقد أخبرها رسول الله ﷺ بأنها أول من يلحق به من أهله[7]، ومن كان في مثل علمها لا يخطر بباله أمور الدنيا، وما

(1) البداية والنهاية (5/ 253).
(2) الانتصار للصحب والآل، ص 434.
(3) البخاري رقم: 4240، رقم: 175.
(4) الانتصار للصحب والآل، ص 434.
(5) البخاري رقم: 6077.
(6) المفهم (12/ 73).
(7) مسلم رقم: 2450.

أحسن قول المهلب الذي نقله العيني: ولم يرو أحد أنهما التقيا وامتنعا عن التسليم وإنما لازمت بيتها، فعبر الراوي عن ذلك بالهجران[1]، وقد دل على ذلك زيارة أبي بكر لها وترضيته لها كما مر معنا.

الحادي عشر: وفاة السيدة فاطمة ﷺ:

ومما يدل على أن العلاقة كانت وطيدة بين الصديق والسيدة فاطمة إلى حد أن زوجة أبي بكر أسماء بنت عميس هي التي كانت تمرض فاطمة بنت النبي ﷺ ورضي الله عنها في مرض موتها، وكانت معها حتى الأنفاس الأخيرة، وشاركت في غسلها وترحيلها إلى مثواها الأخير، وكان علي ﷺ يمرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس ﷺ، وقد وصتها بوصايا في كفنها ودفنها وتشيع جنازتها، فعملت أسماء بها[2]، فقد قالت السيدة فاطمة لأسماء: إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله ﷺ: ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله، به تعرف المرأة من الرجال[3]، وعن ابن عبد البر: فاطمة ﷺ أول من غطي نعشها في الإسلام، ثم زينب بنت جحش.

وكان الصديق دائم الاتصال بعلي من ناحية ليسأله عن أحوال بنت النبي ﷺ خلاف ما يزعمه القوم، فمرضت، أي فاطمة ﷺ وكان علي يصلي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟ ومن ناحية أخرى كان الصديق يسأل زوجته أسماء بنت عميس حيث كانت هي المشرفة والممرضة الحقيقية لها، ولما قبضت فاطمة من يومها، فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر يعزيان علياً ويقولان: يا أبا الحسن، لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله[4].

وقد توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة، عن مالك بن جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين، قال: ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء فحضرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمٰن بن عوف ﷺ، فلما وضعت ليصلى عليها، قال علي: تقدم يا أبا بكر، قال أبو بكر ﷺ: وأنت يا أبا الحسن؟ قال: نعم فوالله لا

(1) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص 108.
(2) الشيعة وأهل البيت، ص 77.
(3) الاستيعاب (4/ 378).
(4) الشيعة وأهل البيت، ص 77، كتاب: سليم بن قيس، ص 255.

يصلي عليها غيرك، فصلى عليها أبو بكر ﷺ ودفنت ليلاً وجاء في رواية: صلى أبو بكر الصديق ﷺ على فاطمة بنت رسول الله فكبر عليها أربعاً[1]، وفي رواية مسلم: صلى عليها علي بن أبي طالب وهي الرواية الراجحة[2].

وأما ما يوجد في بعض الكتب الشيعية من كون السيدة فاطمة أوصت علي ﷺ بأن لا يقوم على قبرها أحد من الذين ظلموها وجحدوا حقها لأنهم أعداؤها وأعداء أبيها، فهذا من الأباطيل، ولا تصح رواياته، بل هي موضوعة، مثل التي ذكرها صاحب كتاب (حياة الإمام الحسن بن علي)[3].

وهذه أبيات رقيقة وعذبة قالها محمد إقبال في قصيدته العصماء في السيدة فاطمة ﷺ:

نسب المسيح بنى لمريم سيرة ... بقيت على طول المدى ذكرها
والمجد يشرف في ثلاث مطالع ... في مهد فاطمة فما أعلاها
هي بنت من هي زوج من هي أم من ... من ذا يداني في الفخار أباها
هي ومضة من نور عين المصطفي ... هادي الشعوب إذا تروم هداها
من أيقظ الفطر النيام بروحه ... وكأنه بعد البلى أحياها
وأعاد تاريخ الحياة جديدة ... مثل العرائس في جديد حلاها
هي أسوة للأمهات وقدوة ... يترسم القمر المنير خطاها
جعلت من الصبر الجميل غذاءها ... ورأت رضى الزوج الكريم رضاها

إلى أن قال:

لولا وقوفي عند شرع المصطفى ... وحدود شرعته ونحن فداها
لمضيت للطواف حول ضريحها ... وغمرت بالقبلات طيب ثراها

وقال في قصيدة في بيان أن السيدة فاطمة أسوة للنساء المسلمات:

وهي أم السِّبطين الأكرمين ... حسنٍ خيرِ حليم وحسين
ذا سراج في ظلام الحَرم ... حافظ وحدة خير الأمم
ازدرى الملك ابتغاء الألفة ... أطفأ النيران بين الإخوة
ذاك في الأبرار ربُّ الفَضْل ... أسوةُ الأحرار في الخَطْب العَمي
سيرةُ الأولاد صُنعُ الأمهات ... وخلالُ الخير طبع الأمهات

(1) المختصر من كتاب: الموافقة، ص 68، في سنده ضعف.
(2) مسلم رقم: 1759.
(3) حياة الإمام الحسن بن علي، باقر القرشي (1/ 164).

زهرةٌ في روضة الصدق البتول أسوة النسوة في الحق البتول
نُشئت ما بين صبر ورضا في الفَم القرآنُ والكفُّ الرَّحَى
دمعها من خشية الله جرى في مصلاّها يفوق الجوهرا[1]

المبحث الثالث

مكانة الحسن عند جده الحبيب المصطفى ﷺ

كانت بشرى رسول الله ﷺ بمولد الحسن عظيمة، وكان ﷺ يحمله ويداعبه، ويدعوه ليُلاطف صدره ويلعب معه، وترعرع الحسن ﷺ في حجر النبوة، ولاحظته عين الرعاية النبوية، والعناية المصطفوية، من ولادته حتى يفاعته، لاسيما شبهه بالنبي ﷺ ظاهر في محيّاه وأساريره، وقد تمتع الحسن ﷺ بمكانة كبيرة وتقدير عال من جده الرسول الكريم ﷺ، وهذا ليس لكونه سبطه فحسب، بل لما تحمله نفس الحسن ﷺ من صفات طيبة وخلق عال وتواضع كريم[2]، وهذه بعض الأحاديث والمواقف التي تبين مكانة الحسن عند جده ﷺ.

أولاً: محبة رسول الله ﷺ ورحمته بالحسن وملاعبته له:

1 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب الحسن والحسين فقد أحبّني ومن أبغضهما فقد أبغضني»[3].

2 - وعن عبد الله بن مسعود قال: كان النبي ﷺ يُصلي والحسن والحسين يثبان على ظهره، فيباعدهما الناس فقال: «دعوهما، بأبي هما وأمي، من أحبني فليحب هذين»[4].

3 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للحسن: «اللهم إني أحبه، فأحبه، وأحب من يحبه»[5] قال أبو هريرة: فما رأيته إلا دمعت عيناي[6].

---

(1) ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة، سيد عبد الماجد غوري (1/ 235، 236).
(2) الحسن بن علي سيرته ودوره السياسي والإداري، فيخان كردي، ص 45، الدوحة النبوية الشريفة، ص 72.
(3) سنن النسائي رقم: 8168، قام الشيخ عثمان الخميس بتخريج الحديث وحكم على درجته بأنه حسن لذاته في رسالته: أحاديث بشأن السبطين، ص 312.
(4) أحاديث بشأن السبطين، ص 293 عثمان الخميس، حديث حسن.
(5) مسند أحمد (2/ 249، 331) سنده صحيح.
(6) الدوحة النبوية الشريفة، ص 74.

4 - وعن البراء بن عازب قال: رأيت الحسن بن علي على عاتق النبي ﷺ وهو يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه»[1].

5 - وعن عليٍّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيد حسن وحسين وقال: «من أحبَّني وأحبَّ هذين وأباهما وأمَّهما كان معي في درجتي يوم القيامة» أخرجه أحمد والترمذي وقال: «كان معي في الجنَّة» وقال حديث غريب[2].

6 - وعن يعلى بن مرة قال: جاء الحسن والحسين يستبقان إلى رسول الله ﷺ فجاء أحدهما قبل الآخر، فجعل يدَه في عنقه فضمَّه إلى بطنه وقبَّل هذا ثم قبَّل هذا ثم قال: «إني أحبُّهما، فأحبوهما. أيها الناس: الولد مبخلة مجبنة»[3].

7 - عن إسرائيل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحبَّ الحسن والحسين فقد أحبَّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»[4].

8 - عن زهير بن الأقمر قال: قال رجل من الأزد: سمعت رسول الله ﷺ يقول للحسن ابن علي: «من أحبَّني فليُحبه، فليبلغ الشاهد منكم الغائب». ولولا عزمة رسول الله ﷺ ما حدَّثتكم[5].

9 - وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ويقول: «اللهمَّ إني أرحمهما فارحمهما»[6].

10 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل الأقرع بن حابس على النبي ﷺ فرآه يقبِّل إما حسناً وإما حسيناً فقال: تقبِّله، ولي عشرة من الولد ما قبَّلت واحداً منهم، فقال رسول الله ﷺ: «إنه من لا يَرْحَمْ لا يُرْحَم»[7].

11 - عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يمصُّ لسان الحسن أو

---

(1) مسلم رقم: 2422.

(2) مسند أحمد (1/ 77)، سنن الترمذي رقم: 3734، سير أعلام النبلاء (3/ 254) ثم قال: إسناده ضعيف، والمتن منكر، وأورده في الميزان (3/ 117).

(3) مسند أحمد (4/ 172)، سنن ابن ماجه رقم: 3666 في الأدب، وقال البوصيري في الزوائد: إسناده، صحيح، رجاله ثقات: انظر: سير أعلام النبلاء (3/ 255).

(4) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، ص 215، المسند (5/ 288)، تاريخ دمشق (14/ 26).

(5) مستدرك (3/ 173 - 174)، سير أعلام النبلاء (3/ 253، 254)، إسناده صحيح.

(6) الإحسان في تقريب، صحيح ابن حبان (15/ 415) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، ص 216.

(7) مسلم رقم: 2318.

شفته، وإنَّه لن يُعَذَّبَ لسانٌ أو شفتان مصَّهما رسول الله[1]. ورواية معاوية للحديث يدل على محبته للحسن.

12 - عن أبي هريرة ﷺ: أنه لقِيَ الحسن بن عليٍّ في بعض طرق المدينة فقال له: اكشف لي عن بطنك - فداك أبي - حتى أقبِّل حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلُه. قال: فكشف عن بطنه، فقبَّل سرته[2].

13 - عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ حاملاً الحسن بن علي ﷺ على عاتقه، فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي ﷺ: «**ونعم الراكب هو**»[3].

14 - وعن أبي الزبير، عن جابر قال: دخلت على النبي ﷺ، فإذا هو على أربع والحسن والحسين ﷺ على ظهره يحبو بهما في البيت وهو يقول: «**نعم الجمل جملكما، ونعم العِدْلان أنتما**»[4].

15 - عن أبي هريرة ﷺ قال: كنا نصلي مع النبي ﷺ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين ﷺ على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا حتى يقضي صلاته[5].

16 - حدثنا ابن بريدة عن أبيه قال: بينما رسول الله ﷺ يخطب إذ أقبل الحسن والحسين ﷺ عليهما قميصان أحمران يمشيان ويتعثران إذ نزل رسول الله ﷺ عن المنبر فرفعهما إليه وقال: «صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: 15] **نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما**»[6].

17 - وعن أبي هريرة ﷺ قال: خرجت مع رسول الله ﷺ في طائفة من النهار لا يكلمني ولا أكلمه حتى جاء سوق بني قينقاع ثم انصرف حتى أتى خباء[7] فاطمة فقال: «**أثم**

---

(1) مسند أحمد (4/ 93)، إسناده صحيح، سير أعلام النبلاء (3/ 259).

(2) المستدرك (3/ 163) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(3) الشريعة للآجري (52160) إسناده ضعيف.

(4) الشريعة للآجري (52160) إسناده ضعيف، فيه مسروح أبو شهاب: تكلم فيه، قال العقيلي: لا يتابع عليه - أي هذا الحديث، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن مسروح وعرضت عليه بعض حديثه فقال: يحتاج إلى التوبة من حديث باطل رواه عن الثوري. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بخبره لمخالفته الإثبات في كل ما يروي. المجروحين (3/ 19)، الميزان (4/ 97).

(5) الشريعة (5/ 2161) إسناده ضعيف، فيه محمد بن عيسى بن حيان المدائني. قال الدارقطني: ضعيف متروك.

(6) الشريعة للآجري (5/ 2162).

(7) خباء فاطمة: أي بيتها.

لكع[1] أثم لكع». يعني «حسناً» فظنتا أنه إنما تحبسه أمه لأن تغسله وتلبسه سخاباً[2]، فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه[3].

19 - وعن سلمة بن الأكوع قال: لقد قُدت بنبي الله ﷺ والحسن والحسين بغلته الشهباء حتى أدخلتهم حجرة النبي ﷺ هذا قدامه، وهذا خلفه[4].

فمن هذا المعين فليتعلم الآباء المحبة وليغترفوا العطف والحنان على الأبناء، وفيها الشيء الكثير من هدي النبي ﷺ لمحبته للحسن ورحمته به وملاعبته، وفيها إرشاد نبوي للمسلمين في كيفية بناء نفس الطفل وتكوينه، وفيها إجابة لهذا السؤال المهم: كيف نبني عاطفة الطفل؟ ونؤدي له حقه ليكون إنساناً سوياً في مستقبله؟ فقد أشارت الأحاديث النبوية إلى مجموعة من الأسس التي بتطبيقها نسير على هدى ونور بيّن.

أ - الأساس العاطفي الأول: القُبلة والرأفة والرحمة للأطفال:

إن للقبلة دوراً فعالاً في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، كما أن لها دوراً كبيراً في تسكين ثورانه وغضبه، بالإضافة إلى الشعور بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحب بين الكبير والصغير، وهي دليل رحمة القلب والفؤاد لهذا الطفل الناشئ، وهي برهان على تواضع الكبير للصغير، وهي النور الساطع الذي يبهر فؤاد الطفل، ويشرح نفسه ويزيد من تفاعله مع من حوله، ثم هي أولاً وأخيراً السنة الثابتة في المصطفى ﷺ - مع الأطفال[5]، وإن الرحمة بالأطفال والشفقة عليهم صفة من صفات النبوة المحمدية وهي طريق لدخول الجنة والفوز برضوان الله تعالى.

ب - الأساس الثاني: المداعبة والممازحة مع الأطفال:

وقد بينا بعض الأحاديث النبوية التي تدل على ذلك وفيها دروس وعبر من هدي النبي ﷺ في مداعبة الأطفال، تارة بالحمل وأخرى بالمضاحكة.. وإلى غير ذلك، وقد اقتدى الصحابة رضوان الله عليهم برسول الله ﷺ، فسارعوا إلى ممازحة ومداعبة أطفالهم وينزلون منازلهم، ويتصابون لهم ويلاعبونهم، وقد قال عمر رضي الله عنه: ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي - أي في الأنس والبشر وسهولة الخلق والمداعبة مع أولاده - وكان رسول الله ﷺ يلاعب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

---

(1) لكع: يريد به الصغير، وإذا قيل للكبير، فمعناه قليل العلم.

(2) السخاب: القلادة، وجمعه سُخُب، ويصنع من القرنفل والعود والمسك وغير ذلك، وقيل: خيط فيه خرز.

(3) مسلم (4/ 1882 - 1883).

(4) مسلم رقم: 2423.

(5) منهج التربية الإسلامية للطفل، ص 179.

وبهذه المداعبة والملاعبة، كان تعامل رسول الله ﷺ مع الأطفال وهو يغذي نفوسهم بهذه العاطفة الصادقة الطيبة، بعيداً عن الجفاء والقسوة وعدم إعطاء الطفل حقه[1].

جـ - الأساس العاطفي الثالث: الهدايا والعطايا:

للهدايا أثر طيب في النفس البشرية عامة، وفي نفوس الأطفال أكثر تأثيراً وأكبر وقعاً، والرسول ﷺ بين لنا عملية هذا الركن القوي في بناء عاطفة الطفل وتحريكها وتوجيهها وتهذيبها، وقد بينا ما فعله رسول الله ﷺ مع ابنة خالة الحسن بن علي، أمامة بنت أبي العاص من بنت رسول الله زينب، فعن عائشة ﷺ أن النجاشي أهدى للنبي ﷺ حِلْية فيها خاتم من ذهب فصّه حبشي، فأخذه، وإنه لمعرض عنه، فأرسله إلى ابنة ابنته زينب، وقال: «تَحلَّي بهذا يا بنية»[2].

د - الأساس الرابع: مسح رأس الطفل:

وكان رسول الله ﷺ يداعب عواطف الأطفال بمسح رؤوسهم فيشعرون بلذة الرحمة والحنان والحب والعطف، الأمر الذي يشعر الطفل بوجوده وحب الكبار له، واهتمامهم به، وعن مصعب بن عبد الله قال: عبد الله بن ثعلبة ولد قبل الهجرة بأربع سنين وحمل إلى رسول الله ﷺ فمسح وجهه وبرك عليه عام الفتح، وتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن أربع عشرة[3].

هـ - الأساس الخامس: حسن استقبال الطفل:

إن اللقاء مع الطفل لا بد منه وأهم ما في اللقاء اللحظات الأولى، فإذا كان اللقاء طيباً استطاع الطفل متابعة الحديث وفتح الحوار والتجاوب مع المتكلم، فيفتح قلبه وما يدور في خاطره ويعرض مشاكله ويتحدث عن أمانيه، كل ذلك يحصل إذا أحسن استقبال الطفل بفرح وحب ومداعبة[4]، وعن عبد الله بن جعفر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته، وأنه جاء من سفر، فسبق بي إليه، فحملني بين يديه ثم جيء بأحد ابني فاطمة الحسن والحسين ﷺ فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة[5].

و - الأساس السادس: تفقد حال الطفل والسؤال عنه:

كثيراً ما يمشي الطفل وحده فيضل الطريق ويتيه في الشارع، فإذا كان الوالدان مهتمين

(1) منهج التربية النبوية، ص 184.
(2) سنن ابن ماجه رقم: 3644، الدوحة النبوية الشريفة، ص 43.
(3) مستدرك الحاكم (3/ 379).
(4) منهج التربية النبوية للطفل، ص 185.
(5) مسلم رقم: 2428، سير أعلام النبلاء (3/ 458).

بحال الطفل تنبها سريعاً لشروده، وتم تتبع أثر الطفل والعثور عليه بأسرع ما يمكن، والعكس بالعكس، وهذه السرعة تلعب دوراً كبيراً في نفس الطفل، فالتأخير عليه يزيد من مخاوفه وآلامه وبكائه ويشتد عذابه النفسي كلما زادت فترة تأخر وصول أحد والديه إليه لهذا سارع رسول الله ﷺ وأمر أصحابه بمساعدته والانتشار في الطرقات حتى يتم العثور على الحسن والحسين[1]، فقد روى الطبراني عن سلمان ﷺ قال: كنا حول رسول الله ﷺ فجاءت أم أيمن ﷺ فقالت: يا رسول الله لقد ضل الحسن والحسين ﷺ، قال: وذاك وأد النهار - يقول ارتفاع النهار - فقال النبي ﷺ: «قوموا فاطلبوا ابني» وأخذ كل رجل وجهة وأخذت نحو النبي ﷺ - فلم يزل حتى سفح جبل وإذا الحسن والحسين ﷺ ملتزق كل واحد منهما صاحبه. وإذا شجاع - أي حية الذكر وقيل الحية مطلقاً - قائم على ذنبه يخرج من فيه شرار النار، فأسرع إليه رسول الله ﷺ فالتفت مخاطباً لرسول الله ﷺ - ثم انساب - أي جرى - فدخل بعض الأحجار ثم أتاهما، فأفرق بينهما ثم مسح وجوههما وقال: «بأبي وأمي أنتما ما أكرمكما على الله» ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن والآخر على عاتقه الأيسر، فقلت: طوبى لكما نعم المطية مطيتكما، فقال رسول الله ﷺ - «ونعم الراكبان هما، وأبوهما خير[2] منهما».

فأنت تلاحظ الخوف الذي حصل للحسن والحسين حيث التزق كل واحد بالآخر خائفاً من الحيَّة، ومسارعة الرسول ﷺ لفك هذا الخوف ثم التفريق بينهما.. ثم مسح وجههما - ثم دعا لهما ثم أكرمهما بحملهما على عاتقه ثم مدحهما، بقوله: «ونعم الراكبان هما» وما ذلك إلا من شدة حبه وحرصه واهتمامه بالحسن والحسين[3].

ز - الأساس السابع: لعب الكبار مع الصغار والأطفال:

كان النبي ﷺ - وهو الرسول القائد - يلعبه مع الحسن والحسين - كما مرّ معنا - وما هذا إلا ليربي الوالدين والكبار، وليقتدوا به ويلعبوا مع أطفالهم، وقد روي أن رسول الله ﷺ كان يشجع الحسن على الحسين، فعن أبي عباس قال: اتَّحد الحسن والحسين عند رسول الله ﷺ، فجعل يقول: «هي يا حسن، خذ يا حسين»، فقالت عائشة: تعين الكبير؟ قال: «إن جبريل يقول: خذ يا حسين»[4]، وجاء في رواية ضعيفة عن جعفر بن محمد عن أبيه

---

(1) منهج التربية النبوية للطفل، ص 186.

(2) معجم الطبراني (3/ 65) رقم: 2677، وفي المجمع (9/ 182) وفيه أحمد بن راشد الهلالي وهو ضعيف، ضعفه الذهبي في المغني (1/39).

(3) منهج التربية النبوية للطفل، ص 187.

(4) سير أعلام النبلاء (3/ 266) إسناده حسن.

قال: قعد رسول الله ﷺ موضع الجنائز، فطلع الحسن والحسين فاعتركا، فقال النبي ﷺ: «إيهاً حسن». فقال عليٌّ: يا رسول الله، أعلى حسين توالبه؟ فقال: «هذا جبريل يقول: إيهاً حسين»[1]، فأنت شاهدت أنواعاً مختلفة من لعبه ﷺ مع الحسن والحسين وما ذاك إلا ليدلك النبي ﷺ إلى فكرة التنوع في اللعب مع الأطفال، وأنت لاحظت أيضاً ثناءه ومدحه لهما في اللعب وذلك ليزيد من نشاطهما النفسي في اللعب فيستمران بلا كلل ولا تعب، ويتابعان اللعب بحب وشغف وذلك ليكون غذاء جسمياً ونفسياً في آن واحد[2]، كما أن اللعب للأطفال فيه مجموعة من الفوائد والقيم منها جسدية، وتربوية، واجتماعية، وخلقية، وذاتية، وعلاجية[3].. إلخ.

ثانياً: شبه الحسن بن علي ﷺ بالنبي ﷺ:

1 - عن أبي خالد، قال: قلت لأبي جُحَيْفَة: رأيت النبي ﷺ؟ قال: نعم: كان أشبه الناس به الحسن بن علي[4].

2 - عن عقبة بن الحارث، قال: إني لمع أبي بكر إذ مرَّ على الحسن بن علي فوضعه على عنقه ثم قال: بأبي شَبِيهُ النبي لا شبيهاً بعلي، قال: وعلي معه فجعل علي يضحك[5]، وفي رواية أخرى عن عقبة بن الحارث، قال: خرجت مع أبي بكر من صلاة العصر بعد وفاة النبي ﷺ بليال، وعلي يمشي إلى جنبه فمر بحسن بن علي وهو يلعب مع غلمان فاحتمله على رقبته وهو يقول: وبأبي شبه النبي ليس بشبه بعلي، وعلي يضحك[6]، ونرى حقيقة المحبة والانسجام بين أبي بكر وعلي وهذا ما تؤكده هذه الرواية الصحيحة ليس كما يدعي بعض الناس.

3 - عن هانئ بن هانئ، عن علي قال: الحسن أشبه رسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه النبي ﷺ ما كان أسفل ذلك[7].

4 - عن عاصم بن كليب، قال: حدثني أبي، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من رآني في النوم فقد رآني فإن الشيطان لا يتحلُّني». قال أبي: فحدثت ابن

---

(1) سير أعلام النبلاء فيه انقطاع ضعيف جداً وقوله: إيها معناه التحريض والتشجيع والاستحسان والأصل فيها أنها للكف، انظر سير أعلام النبلاء (3/ 284).

(2) منهج التربية النبوية للطفل، ص 209 إلى 216.

(3) المصدر السابق نفسه، ص 216.

(4) الطبقات الكبرى، الطبقة الخامسة من الصحابة (1/ 245) أخرجه البخاري رقم: 3544 إسناده صحيح.

(5) البخاري رقم: 3750.

(6) الطبقات، الطبقة الخامسة من الصحابة (1/ 247) إسناده صحيح.

(7) الطبقات، الطبقة الخامسة (1/ 247) إسناده ضعيف.

عباس وأخبرته أني قد رأيته[1]، قال: رأيته؟ قلت: أي والله لقد رأيته، قال: فذكرت الحسن ابن علي؟ قال: إي والله، لقد ذكرته وتَفَيْئه[2] في مشيته[3]. قال ابن عباس: إنه كان يُشبهُهُ[4].

5 - عن البهي مولى الزبير قال: تذاكرنا من أشبه النبي ﷺ من أهل بيته؟ فدخل علينا عبد الله بن الزبير فقال: أنا أحدثكم بأشبه أهله به، أحبهم إليه، الحسن بن علي، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته، أو قال ظهره، فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ، ولقد رأيته يجيء وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر[5].

6 - قال قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري أخبرني أنس قال: لم يكن أحد أشْبَه بالنَّبي ﷺ من الحسن بن علي[6]، وعنه قال: كان الحسن بن علي من أشبههم وجهاً بالنبي ﷺ[7].

7 - عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أنها أتت بالحسن والحسين إلى رسول الله ﷺ في شكواه الذي توفِّي فيه، فقالت: يا رسول الله هذان ابناك، فورِّثهما شيئاً. فقال: «**أما الحسن فله هيبتي وسُؤدُدِي وأمّا حُسينٌ فله جُرأتي وجُودِي**»[8].

8 - وعن أبي مليكة قال كانت فاطمة رضي الله عنها تنقز الحسن وتقول: بني شبيه رسول الله ﷺ ليس بشبيه علي[9] رضي الله عنه.

9 - وممن يشبه برسول الله ﷺ: جعفر بن أبي طالب، والحسن بن علي، وأبو سفيان بن الحارث، وقثم بن العباس، والسائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب[10].

10 - عن أبي إسحاق أنه سمع هبيرة بن يَرِيم أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول: من سره أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين عنقه إلى وجهه وشعره فلينظر إلى الحسن بن علي، ومن

---

(1) أي رأى النبي ﷺ في المنام.
(2) تفيئه: أي تحركه يميناً وشمالاً، انظر: لسان العرب (1/ 125).
(3) الطبقات، الطبقة الخامسة (1/ 248).
(4) المصدر السابق نفسه (1/ 248) إسناده حسن.
(5) المصدر السابق نفسه (1/ 249) إسناده ضعيف.
(6) الصحيح المسند من فضائل الصحابة للعدوي، ص 263.
(7) ذخائر ذوي القربى، ص 221.
(8) الأحاديث الواردة بشأن السبطين، ص 287، قال الشيخ عثمان الخميس: في ضوء دراسة إسناد الحديث تبين أنه ضعيف جداً لمكان محمد بن حميد وإبراهيم بن علي، ص 289.
(9) مجمع الزوائد (9/ 176) مرسل، وفيه زمعة بن صالح وهو لين.
(10) التبيين في أنساب القرشيين، ص 102.

سرّه أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين عنقه إلى كعبه خلقاً فلينظر إلى الحسين بن علي ﷺ [1].

ثالثاً: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة:

1 - عن حذيفة قال: سألتني أُمّي: منذ متى عهدك بالنَّبيّ ﷺ؟ قال: فقلت لها: منذ كذا وكذا. قال: فنالت منّي وسبَّتني. قال: فقلت لها: دَعيني فإنّي آتي النَّبيَّ ﷺ فأُصلي معه المغرب، ثمَّ لا أدعه حتّى يستغفر لي ولك، قال: فأتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب، فصَلَّى النبي العشاء ثم انفتل فتبعته فعرض له عارض فناجاه ثم ذهب، فاتبعته فسمع صوتي فقال: «من هذا؟» فقلت: حذيفة. قال: «ما لك؟» فحدثته بالأمر، فقال: «غفر الله لك ولأُمّك» ثم قال: «أمَا رأيت العارض الذي عرض لي قُبيلُ؟» قال: قلت: بلى. قال: «فهو ملك من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة، فاستأذن ربَّه أن يُسلم عليَّ ويبشرني أن الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»[2].

2 - عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة»[3].

3 - عن الحكم بن عبد الرحمٰن عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام»[4]، وقد قام الشيخ عثمان الخميس بدراسة طرق هذا الحديث وبين أنه روي عن ستة عشر صحابياً[5]، وقال: والحديث سئل عنه أحمد بن حنبل، فقال: صحيح[6]، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وقال: في أسانيده كلها ضعف[7]، وقال الذهبي: رويَ من وجوه يُقوّي بعضها بعضاً[8]. ثم قال عثمان الخميس: والذي يظهر لي أنه يمكن الجمع بين أقوال

(1) الشريعة للآجري (5/ 2146).

(2) مسند أحمد (5/ 391) الحديث فيه المنهال بن عمرو تكلم فيه بعضهم لترك شعبة له ولكنه مقبول الحديث على الصحيح، ثم هو قد توبع من قبل عدي بن ثابت وعاصم وهما وإن كان في الطريقين عنهما كلام إلا أنه يمكن أن يقوي بعضهما، انظر: الأحاديث الواردة بشأن السبطين، ص 176.

(3) الأحاديث الواردة بشأن السبطين، ص 182، حسن لغيره.

(4) الشريعة للآجري (5/ 2144) إسناده حسن.

(5) الأحاديث الواردة بشأن السبطين، ص 211.

(6) السؤال رقم: 124، المنتخب من العلل للخلال، لابن المقدسي.

(7) البداية والنهاية (8/ 208).

(8) سير أعلام النبلاء (3/ 283).

هؤلاء الأئمة، فهو كما قال الحافظ ابن كثير: في أسانيده كلها ضعف. انتهى، وبعضها حسن وبعضها حسن لغيره، فيقويّ بعضها بعضاً، كما قال الحافظ الذهبي وبالتالي فهو صحيح كما قال الإمام أحمد ولكن لغيره[1] والله أعلم.

رابعاً: هما ريحانتايَ من الدنيا:

عن أبي نُعيم، قال: سمعت عبد الله بن عمر وسأله عن المُحْرِم - قال شعبه: أحسبه يقتل الذباب - فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابنَ ابنة رسول الله ﷺ وقال النبي ﷺ: «هما ريحانتايَ من الدنيا»[2].

وعن الحسن، عن أبي بكرة قال: رأيت الحسن والحسين رضي الله عنهما يثبان على ظهر رسول الله ﷺ وهو يصلي فيمسكهما بيده حتى إذا استقر على الأرض تركهما، فلما صلى أجلسهما في حجره ثم مسح رؤوسهما، ثم قال: «إن ابنيَّ هذين ريحانتاي من الدنيا» ثم أقبل على الناس فقال: «إن ابني هذا سيد، وأرجو أن يصلح الله ﷻ به بين فئتين عظيمتين في آخر الزمان»[3]، قال محمد بن الحسين الآجري: يعني به الحسن رضي الله عنه[4]، وعن أبي بكرة قال: كان النبي يصلي، فكان إذا سجد جاء الحسن فركب ظهره، فكان النبي ﷺ إذا رفع رأسه أخذه فوضعه على الأرض وضعاً رفيقاً، فإذا سجد ركب ظهره، فلما صلى أخذه فوضعه في حجره، فجعل يقبله، فقال له رجل: أتفعل بهذا الصبي هكذا؟ فقال: «إنهما ريحانتاي، وعسى الله ﷻ أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[5].

خامساً: سيادته في الدنيا والآخرة:

أعلن رسول الله ﷺ مكانة الحسن بن علي رضي الله عنهما وبيّن جلالة قدره، على مرأى ومسمع من الناس في غير ما مرة، وقد تواترت الروايات بقوله ﷺ عن الحسن: و«إن ابني هذا سيد»، قال ابن عبد البر: وتواترت الآثار الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال في الحسن بن علي: «إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[6]، ورواه جماعة

(1) الأحاديث الواردة بشأن السبطين، ص 212.
(2) البخاري رقم: 3753.
(3) صحيح ابن حبان رقم: 6964.
(4) الشريعة للآجري، ص 2157.
(5) الشريعة للآجري، ص 2157، إسناده حسن.
(6) مسند أحمد (5/ 51) والبخاري بنحوه (3/ 244).

من الصحابة، وفي حديث أبي بكرة في ذلك: «وأنه ريحانتي من الدنيا»، ولا أسود ممن سماه رسول الله ﷺ سيداً[1].

وعن أبي بكرة قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر، والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[2]، فهذا الحديث فيه منقبة للحسن رضي الله عنه فقد أخبر النبي ﷺ بأنه سيد. قال ابن الأثير: قيل: أراد به الحليم لأنه قال في تمامه: «وإن الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[3]. وجاء في تحفة الأحوذي: «فيه أن السيادة لا تختص بالأفضل بل هو الرئيس على القوم، والجمع سادة، وهو مشتق من السؤدد، وقيل: من السواد لكونه يرأس على السواد العظيم من الناس: أي الأشخاص الكثيرة ولعل الله أن يصلح به بين فئتين، تثنية فئة وهي الفرقة[4].

ووصفه عليه الصلاة والسلام للفئتين بالعظيمتين، كما في رواية عند البخاري[5]، لأن المسلمين كانوا يومئذٍ فرقتين: فرقة مع الحسن رضي الله عنه وفرقة مع معاوية، وهذه معجزة عظيمة من النبي ﷺ حيث أخبر بهذا فوقع مثل ما أخبر، وأصل القضية أن عليّ بن أبي طالب لما ضربه عبد الرحمٰن بن ملجم المرادي يوم الجمعة وليلة السبت، وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين من الهجرة، وبويع لابنه الحسن بالخلافة في شهر رمضان من هذه السنة، وأقام الحسن أياماً مفكراً في أمره، ثم رأى اختلاف الناس فرقة من جهته وفرقة من جهة معاوية ولا يستقيم الأمر، ورأى النظر في إصلاح المسلمين وحقن دمائهم أولى من النظر في حقه سلم الخلافة لمعاوية في الخامس من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وقيل: من ربيع الآخر وقيل: في غرة جمادى الأولى وكانت خلافته ستة أشهر إلا أياماً، وسمي هذا العام عام الجماعة وهذا الذي أخبر به النبي ﷺ: «لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين»[6].

فالحديث فيه علم من أعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن علي فإنه ترك الملك لا لقلة ولا لذلة ولا لعلة بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة.

وعن سعيد بن أبي سعيد قال: كنا مع أبي هريرة جلوساً، فجاء الحسن بن علي بن أبي طالب، فسلم علينا، فرددنا عليه، وأبو هريرة لا يعلم فمضى، فقلنا: يا أبا هريرة هذا حسن بن علي قد سلم علينا، فقام فلحقه، فقال: يا سيدي، فقلت له: تقول يا سيدي؟ قال: إني سمعت

(1) الاستيعاب (1/ 437).
(2) البخاري، فضائل الصحابة رقم: 3746.
(3) النهاية في غريب الحديث (3/ 417).
(4) تحفة الأحوذي (1/ 277).
(5) البخاري، فضائل الصحابة رقم: 3746.
(6) فتح الباري (13/ 66).

رسول الله ﷺ يقول: «إنه لسيد»[1]، وعن جابر بن عبد الله أنه قال: من سرّه أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة، فلينظر إلى الحسن بن علي[2]. وقد نقل إلينا خبر سيادة الحسن والحسين في الجنة جمع غفير من الصحابة، وما ذلك إلا لإعلان رسول الله ﷺ بذلك مرة بعد مرة، أو في محافل جامعة، وممن جاء عنهم: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، وقرة بن إياس، ومالك بن الحويرث، والبراء بن عازب، وأبو هريرة ﷺ وغيرهم[3].

سادساً: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّة:

عن ابن عباس ﷺ قال كان النبي ﷺ يُعوِّذُ الحسن والحسين ويقول: «**إنّ أباكما - أي إبراهيم عليه السلام - كان يُعَوِّذُ بها إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التامّة من كل شيطان وهامّة[4] ومن كل عين لامّة**»[5]، وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يُعَوِّذُ الحسن والحسين يقول: «**أُعِيذُكُما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّة**». ويقول: «**هكذا كان إبراهيم يُعوِّذُ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام**»[6].

وهذا علاج يتفرد به الطب النبوي للأطفال، وهو ركن من أركان المحافظة على صحة الطفل عند رسول الله ﷺ، وهذا ما فعله ﷺ مع الحسن والحسين[7]، وفي هذا الحديث قيمة رفيعة حيث بين رسول الله ﷺ أهمية دعاء الوالدين لأبنائهم وما فيها من فوائد عظيمة منها: جلب الراحة والطمأنينة والحفظ والبركة للأبناء والآباء من جهة، ومن جانب آخر: صرف الشر عنهم بإذن الله من الحسد والشيطان وهوام الأرض، وفوق هذا كله فإن الدعاء هو مخ العبادة، كما قال رسول الله ﷺ وفيه شعور بالفقر والالتجاء إلى الله وحده وهذا من أهم مقاصد الإسلام.

---

(1) مستدرك الحاكم (3/ 169) وقال: ، صحيح، وأقرّه الذهبي والطبراني رقم: 2596 وقال الهيثمي في المجمع (9/ 178) رجاله ثقات.

(2) صحيح ابن حبان (15/ 421، 422) مناقب الحسن، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية وذكر إسناده وقال: لا بأس به.

(3) روايات هذه الأحاديث في مجمع الزوائد (9/ 183) والمعجم الكبير (3/ 24) الدوحة النبوية الشريفة، ص 81.

(4) هامّة: كل ذات سم يقتل كالحية وغيرها.

(5) لامّة: هي التي تصيب ما نظرت إليه بسوء، البخاري رقم: 3371.

(6) سنن الترمذي رقم: 2060 حديث حسن، صحيح.

(7) منهج التربية النبوية للطفل، ص 248.

سابعاً: الأحاديث التي رواها الحسن بن علي عن رسول الله ﷺ:

إن مما اتفق عليه المسلمون أن أصول العلم والمعرفة التي توصل إلى مرضاة الحق سبحانه وتعالى: القرآن الكريم، وما ثبت من أقوال وأفعال وتقريرات الحبيب المصطفى ﷺ وهذا ما يعرف بالسنة النبوية، وهي لا تُعْرَفُ عبر الحقب والأجيال إلا بالنقل والرواية والأخبار، وقد اتجه أهل العلم والمعرفة إلى ضبط أسماء الرواة ومعرفتهم، ثم البحث عن سيرهم وأحوالهم، ليخلصوا إلى التأكد من أمرين اثنين وإعطاء كل راوٍ قدره في ميزانهما:

1 - العدالة: وهي استقامة السيرة، وصلاح الحال، والتقصّي عن المحرمات بعد القيام بالواجبات، والتحلي بالمروءة وارتداء لبوسها السابغ.

2 - الضبط والإتقان للحديث المروي والنص المنقول: والوعي والاستيعاب له، حفظاً أو كتابة أو هما معاً، وهذا الذي تقدم حكم عام شامل لجميع الرواة ونقلة السنة النبوية، خلا الصحابة، رضوان الله عليهم، لأنهم حملة الرسالة عن رسول الله ﷺ، وقد رباهم على عينه ونشأهم بكريم رعايته وعميق عنايته.

ولقد كان الأئمة من أهل البيت الكرام، رضوان الله عليهم محل تقدير علماء الحديث والرواية، في الأخذ عنهم ما رووه عن رسول الله ﷺ، لما تمتعوا به من عدالة وإتقان، وأمير المؤمنين علي عليه السلام وابناه الحسن والحسين من جلّة الصحابة فهم فوق التعديل والسؤال لكونهم من سادات الصحابة رضي الله عنهم. وأبو الحسن، أمير المؤمنين علي عليه السلام. روى له بقي بن مخلد الأندلسي المتوفى 276هـ في مسنده - وهو أوسع المسانيد في الإسلام - خمسمائة وستة وثمانين حديثاً (586)[1]. وروى له أحمد بن حنبل المتوفى 241هـ في مسنده المتداول بين أيدينا ثمانمائة وتسعة عشر حديثاً بتكرار الطرق (819)[2] وأخرج له أصحاب الكتب الستة: البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه، ثلاثمائة واثنين وعشرين حديثاً (322)[3]، اتفق البخاري ومسلم على عشرين حديثاً منها (20) وانفرد البخاري بتسعة (9)، ومسلم بخمسة عشر حديثاً (15) وفي هذه الأحاديث من المضامين والمعاني ما يتعلق بجميع وسائل الحياة: العقائد والأحكام والتفسير وغيرها[4].

ويعتبر أمير المؤمنين علي أكثر الخلفاء الراشدين رواية لأحاديث رسول الله ﷺ، وهذا

(1) الدوحة النبوية الشريفة، ص 139، مقدمة مسند بقي بن مخلد، ص 80.
(2) مسند أحمد (1/ 164).
(3) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزي (7/ 346).
(4) الدوحة النبوية الشريفة، ص 140.

راجع إلى تأخر وفاته عن بقية الخلفاء، وكثرة الرواة عنه، وانتشار طلبة العلم من التابعين الذين كانوا يكثرون السؤال، ووقوع الأحاديث التي تقتضي البلاغ والرواية، في أمور كثيرة فنقلوا عنه ما بلغهم بأمانة ونزاهة[1]، وقد استفاد ابنه الحسن منه استفادة عظيمة أما من جده ﷺ، فقد توفي ﷺ، والحسن صغير كما هو معلوم، فعقل عن رسول الله ﷺ، أحاديث وأموراً ذكرها منسوبة لرسول الله ﷺ، كصغار الصحابة الآخرين، ابن عباس ومحمود الربيع، فقد حفظ الحسن عن جده وعن أبيه وأمه وحدَّث عنه ابنه الحسن بن الحسن، وسويد بن غفلة وأبو الحوراء السعدي، والشعبي، وهبيرة بن يَريم، وأصبغ بن نُباتة والمسيَّبُ بن نجبة[2]، وقد روى له بقي بن مخلد في مسنده عن رسول الله ثلاثة عشر حديثاً (13)[3]، وروى له أحمد في مسنده عشرة أحاديث (10)، وله في السنن الأربعة ستة أحاديث[4] وهذه الأحاديث منها:

1 - عن أبي الحوراء عن الحسن بن علي قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في قنوت الوتر: «**اللهمَّ اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيمن أعطيت وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت**»[5]. ونرى هنا كيف حرص سيد البشر على تعليم الحسن محبة الله - سبحانه وتعالى - وعبوديته ودعاءه والتعلق بالله وحده لا شريك له وهذه هي حقيقة التوحيد الخالص الذي يجب أن يحققه المسلم في حياته ويربي عليه أبناءه.

2 - عن هبيرة قال: خطبنا الحسن بن عليّ، فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأوّلون بعلم، ولا يدركه الآخرون، كان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية، جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله، لا ينصرف حتى يُفتح له[6].

3 - عن عمرو بن حيشي قال: خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس، ما سبقه الأوّلون بعلم، ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله ﷺ ليبعثه ويعطيه الراية، فلا ينصرف حتى يفتح له، وما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه، كان يرصدها لخادم لأهله[7].

---

(1) الدوحة النبوية الشريفة، ص 140.

(2) سير أعلام النبلاء (3/ 246).

(3) تلقيح أهل الأثر في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي، ص 369.

(4) مسند أحمد (3/ 167) تحقيق أحمد شاكر، مسند أهل البيت، تحقيق عبد الله الليثي الأنصاري، ص 25، الدوحة النبوية، ص 142.

(5) مسند أحمد (3/ 168) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(6) المصدر السابق نفسه (3/ 167، 168) إسناده صحيح.

(7) المصدر السابق نفسه (3/ 167، 168) إسناده صحيح.

4 - عن محمد بن علي عن الحسن بن علي: أنه مرّ بهم جنازة، فقام القوم ولم يَقُمْ، فقال الحسن: ما صنعتم؟ إنما قام رسول الله ﷺ تأذّياً بريح اليهودي[1].

5 - عن أبي الحوراء السعدي قال: قلت للحسن بن علي: ما تذكر من رسول الله ﷺ؟ قال: أذكر إني أخذت تمرة من تمر الصدقة، فألقيتها في فمي، فانتزعها رسول الله ﷺ بلعابي فألقاها في التمر، فقال له رجل: ما عليك لو أكل هذه التمرة؟ قال: «إنا لا نأكل الصدقة»، قال: وكان يقول: «دع ما يَرِيبك إلى ما لا يَرِيبك، فإن الصدق طُمأنينة، وإن الكذب ريبة»، قال: وكان يعلمنا هذا الدعاء: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شرت ما قضيت، إنه لا يَذِلّ من واليت»، وربما قال: «تباركت ربنا وتعاليت»[2].

ومن خلال حديث رسول الله ﷺ يتضح أن آل بيت رسول الله ﷺ لا تحل لهم الصدقة، والصدقة نوعان، صدقة الفرض، وهي الزكاة، وصدقة التطوع، يقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: 103] قال المفسرون: هي الزكاة أي الصدقة المفروضة، وليس هناك خلاف في أن الصدقة بنوعيها لا تحل لرسول الله ﷺ وصدقة الفرض، كما تحرم عليه ﷺ، تحرم على آله رضوان الله عليهم، ولكن في حرمة صدقة التطوع على آل البيت خلاف، فللشافعي ﷺ فيها قولان، أصحهما بالحرمة، وسبب حرمة الصدقة أو الزكاة على آل البيت الطاهرين أوضحه الحبيب المصطفى ﷺ، في حديث شريف طويل، نأخذ منه قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس»[3]، قام الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث في صحيح مسلم: ومعنى أوساخ الناس أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم، كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، فهي كغسالة الأوساخ. وفي هذا تنزيه لهم، وإعلاء لمكانتهم، والتنويه بطهارتهم[4]، ﷺ، ولهذا لم يكونوا يأخذون شيئاً من الصدقات في عهد رسول الله ﷺ ولا بعد ذلك، وكانوا يأخذون نصيبهم من خمس الغنائم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[الأنفال: 41]. قال المفسرون قوله تعالى: ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ أي سهم من الخمس يعطى لرسول الله ﷺ، ولذي القربى. وقد اختلف العلماء في المراد بالآل في الزكاة وفي تحديدهم إلى قولين:

---

(1) مسند أحمد (3/ 167، 169) إسناده ضعيف لانقطاعه.

(2) المصدر السابق نفسه (3/ 167، 169) إسناده صحيح.

(3) مسلم رقم: 1072.

(4) شرح النووي على صحيح مسلم (7/ 183 - 187).

أ - ذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد في رواية إلى أنهم بنو هاشم فقط وهم آل علي، وآل العباس، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل الحارث بن عبد المطلب، ولم يدخل فيهم أبو لهب فيجوز الدفع إلى بنيه، لأن حرمة الصدقة لبني هاشم كرامة من الله تعالى لهم ولذريتهم حيث نصروا النبي ﷺ في جاهليتهم وإسلامهم، أما أبو لهب فكان حريصاً على أذى رسول الله ﷺ فلم يستحقها بنوه[1]، وقال بعض علماء الحنابلة: ويدخل فيهم آل أبي لهب لأنهم من سلالة هاشم[2]، وكيف لا يدخلون وقد أسلم من أبناء أبي لهب عتبة ومعتب يوم الفتح وسر النبي ﷺ بإسلامهما ودعا لهما وشهدا معه حنيناً والطائف، ولهم عقب عند أهل النسب[3].

ب - ويرى الشافعي أنهم بنو هاشم وبنو المطلب:

واستدل على ذلك بما يلي:

* أن النبي ﷺ أعطى سهم ذوي القربى من الخمس لبني هاشم وبني المطلب ولم يعط أحداً من قبائل قريش غيرهم كما أخرج البخاري من حديث جبير بن مطعم قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله أعطيت بني عبد المطلب من خمس خيبر وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة، فقال النبي ﷺ: «**إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد**»[4]. ووجه الدلالة من الحديث: أن بني المطلب مع بني هاشم في سهم ذوي القربى، وهم آله، فدل على أن بني المطلب آل النبي ﷺ أيضاً، وعلى أن الزكاة تحرم عليهم وأن هذه العطية إنما هي عوض عما حرموه من الصدقة، وبالتالي فإن هذا الحكم «منع الزكاة» يتعلق بذوي القربى، كاستحقاق الخمس فوجب أن يستوي فيه الهاشمي والمطلبي[5]، وعن الإمام أحمد في بني المطلب روايتان:

أحدهما: تحرم عليهم الزكاة لقول النبي ﷺ: «**إنا وبنو المطلب لم نفترق في جاهلية ولا إسلام إنما نحن شيء واحد**»[6]. وفي لفظ رواه الشافعي في مسنده: «**إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد**» وشبك بين أصابعه[7]، ولأنهم يستحقون من خمس الخمس فلم يكن لهم الأخذ من الزكاة كبني هاشم.

---

(1) شرح فتح القدير لابن الهمام (2/ 272 - 274).

(2) الإنصاف للمرداوي (3/ 255 - 256).

(3) التبيين في أنساب القرشيين، ص 143.

(4) البخاري كتاب: فرض الخمس رقم: 3140.

(5) معالم السنن للخطابي (2/ 71)، الأم للشافعي (2/ 69) المجموع للنووي (6/ 244) العقيدة في أهل البيت، ص 181.

(6) سنن أبي داود، الإمارة رقم: 2980.

(7) سنن النسائي، رقم: 4137.

ثانيهما: لهم الأخذ منها وفقاً لمذهب أبي حنيفة ومالك لدخولهم في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: 60]. لكن خرج بنو هاشم لقوله ﷺ: «**إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد**»[1]، فيختص المنع بهم[2]، وقالوا: إن قياس بني المطلب على بني هاشم غير صحيح، لأن بني هاشم أقرب إلى النبي ﷺ وأشرف، وأما مشاركتهم لهم في خمس الخمس فلم يستحقوا ذلك بمجرد القرابة، بل لنصرتهم لرسول الله ﷺ والنصرة لا تقتضي المنع[3].

وقد تحدث الفقهاء عن حكم دفع الزكاة إليهم في حال منعهم من خمس الخمس، فإذا لم يعطوا حقهم من خمس الخمس لخلو بيت المال من الفيء أو الغنيمة، أو لاستيلاء الظلمة واستبدادهم بهما، فقد قال بعض العلماء من المتقدمين والمتأخرين أنهم يعطون من الزكاة، فقد روي عن الإمام أبي حنيفة أنه يجوز الدفع إلى بني هاشم في زمانه، لأن عوضهما وهو الخمس لم يصل إليهم، وإذا لم يصل إليهم العوض «الخمس» عادوا إلى المعوض «الزكاة»[4]، وقال بعض المالكية: إذا حرموا حقهم من بيت المال وصاروا فقراء جاز أخذهم وإعطاتهم من الزكاة[5]، وفي ذلك يقول أبو بكر الأبهري[6]: قد حلت لهم الصدقات فرضها ونفلها[7]، وقال أبو سعيد الاصطخري من الشافعية: إن منعوا حقهم من الخمس جاز الدفع إليهم إنما حرموا الزكاة لحقهم في خمس الخمس، فإذا منعوا منه وجب أن يدفع إليهم[8]، وذلك لحديث: «**إن لكم في خمس الخمس ما يكفيكم، أو يغنيكم**»[9]، فجعلوا الغنى عن الزكاة بخمس الخمس، فإذا عدم زال الغنى، فخمس الخمس علة لاستغنائهم وشرط لمنعهم، فإذا زال الشرط انتفى المانع، وقال بعض علماء الحنابلة: يجوز الأخذ من الزكاة إذا منعوا من خمس الخمس لأنه محل حاجة وضرورة[10]، واختاره ابن تيمية[11].

6 - حدثنا ربيعة بن شيبان أنه قال للحسن بن علي: ما تذكر من رسول الله ﷺ؟ قال

---

(1) مسلم رقم: 1072. (2) العقيدة في أهل البيت، ص 181.
(3) المغني لابن قدامة (4/ 111 - 112). (4) حاشية ابن عابدين (2/ 91).
(5) بلغة السالك (1/ 232) حاشية الدسوقي (1/ 452 - 453).
(6) هو: محمد بن عبد الله بن محمد، صالح أبو بكر التميمي شيخ المالكية في العراق توفي 375 هـ -: انظر شذرات الذهب (3/ 85 - 86).
(7) المنتقى للباجي (2/ 153). (8) المجموع للنووي (6/ 244 - 246).
(9) تفسير ابن كثير (2/ 313) قال ابن كثير: حديث حسن الإسناد.
(10) الإنصاف للمرداوي (3/ 255) وكشاف القناع للبهوتي (2/ 291).
(11) الاختيارات (104)، العقيدة في أهل البيت، ص 186.

أدخلني غرفة الصدقة، فأخذت منها تمرة فألقيتها في فمي، فقال رسول الله ﷺ: «**ألقها فإنها لا تحل لرسول الله ولا لأحد من أهل بيته**»[1].

7 - حدثنا بُريدة بن أبي مريم عن أبي الحوراء قال: كنا عند حسن بن علي، فسُئِل: ما عَقَلْتَ من رسول الله ﷺ؟ أو عن رسول الله ﷺ قال: كنت أمشي معه فمرَّ على جَرِين من تمر الصدقة، فأخذت تمرة فألقيتها في فمي، فأخذها بلعابي، فقال بعض القوم: وما عليك لو تركتها؟ قال: «**إنا آل محمد لا تحلُّ لنا الصدقة**»، وعقلت منه الصلوات الخمس[2].

8 - عن أيوب بن محمد: أن الحسن بن علي وابن عباس رأيا جنازة، فقام أحدهما وقَعد الآخر، فقال الذي قام: ألم يَقُمْ رسول الله ﷺ؟ وقال الذي قعد: بلى وقعد[3].

هذه بعض الأحاديث التي رواها الحسن بن علي ﷺ عن جده ﷺ ويعتبر الحسن بن علي ﷺ من علماء الصحابة المفتين وهو من ضمن الطبقة الثالثة، فقد قسم المحدِّثون علماءَ الصحابة إلى ثلاث طبقات، وذلك نظراً إلى قلة أو كثرة فتاواهم. قال ابن القيم ﷺ -: كانوا بين مكثر منها ومقل ومتوسط.

أ - **المكثرون من الفتيا**: والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مئة ونيف وثلاثون نفساً ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة: عمر بن خطاب، وعلي ابن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وعبد الله ابن عباس ﷺ: قال أبو محمد بن حزم: ويمكن أن يجمع في فتوى كل واحد منهم سفر ضخم، قال: وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب ابن أمير المؤمنين المأمون فتيا ابن عباس ﷺ في عشرين كتاباً، وأبو بكر محمد المذكور أحد أئمة الإسلام في العلم والحديث.

ب - **المتوسطون في الفتيا**: قال أبو محمد: والمتوسطون منهم فيما روي عنهم من الفتيا: أبو بكر الصديق، وأم سلمة، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير ﷺ.. إلخ.

جـ - **المقلُّون في الفتيا**: والباقون منهم مقلُّون في الفتيا، ولا يروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألتان والزيادة اليسيرة على ذلك.. وهم: أبو الدرداء، وأبو اليسر، وأبو سلمة المخزومي، وأبو عبيدة بن الجراح، والحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب، والنعمان بن

(1) مسند أحمد (3/ 170) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر.
(2) المصدر السابق نفسه.
(3) مسند أحمد (3/ 171) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر.

بشير، وأبي بن كعب، وأبو أيوب، وأبو طلحة، وأبو ذر، وأم عطية، وصفية أم المؤمنين، وحفصة، وأم حبيبة ﷺ أجمعين[1].

ثامناً: صفة رسول الله ﷺ، كما يرويها الحسن بن علي:

1 - عن الحسن بن علي عن خاله هند بن أبي هالة قال: كان رسول الله ﷺ متواصل[2] الأحزان، دائم الفكرة ليست له راحة، طويل السكت لا يتكلم من غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه[3]، ويتكلم بجوامع الكلم[4]، كلامه فصل[5]، لا فضول ولا تقصير، ليس بالجافي[6] والمهين[7]، يعظم النعمة وإن دقت[8]، لا يذم منها شيئاً، غير أنه لم يكن يذم ذواقاً[9]، ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا ولا مكان لها[10]، فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح[11]، وإذا فرح غض طرفه، جُل[12] ضحكه التبسم، يفتر[13] عن مثل حب الغمام[14]، وكان فخماً[15] مفخماً[16] يتلألأ[17] وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، مسيح[18] القدمين ينبو[19] عنهما الماء، إذا زال زال[20] قلعاً، يخطو تكفياً[21]، ويمشي هوناً ذريع

---

(1) إعلام الموقعين (1/12، 13)، سيرة عائشة، سليمان الندوي، ص 327.

(2) أي لا ينفك حزن عن حزن يعقبه.

(3) جمع شدق بالكسر: طرف الفم، أي: أنه يستعمل جميع فمه للتكلم ولا يقتصر على تحريك الشفتين كفعل المتكبرين.

(4) أي بكلمات قليلة الحروف جامعة لمعانٍ كثيرة وقيل: الجوامع القواعد الكلية المحتوية على الفروع المتكثرة.

(5) الفاصل بين الحق والباطل.

(6) الجافي: الغليظ الطبع السيئ الخلق العديم البر.

(7) المهين: لم يكن غليظ الخلق ولا ضعيفه بل كان معتدلاً من أنواع المهابة والوقار والجلالة.

(8) صغرت وقلت.

(9) المأكول والمشروب فعال بمعنى المفعول من الذوق.

(10) أي ولا يغضبه أيضاً إلا ما كان له علاقة بالدنيا.

(11) جد في الإعراض وبالغ فيه.

(12) معظمه أو أكثره.

(13) من افتر: ضحك ضحكاً حسناً حتى بدت أسنانه من غير قهقهة.

(14) أي البرد.

(15) أي عظيماً في نفسه.

(16) أي المعظم في الصدور والعيون.

(17) يتلألأ: أي يستنير.

(18) مسيح القدمين: أملسهما.

(19) ينبو: يتباعد ويتجافى.

(20) أي رفع رجله عن الأرض رفعاً باتاً بقوة لا كمن يمشي اختيالاً ويقارب خطاه تبختراً.

(21) جملة مؤكدة لما قبلها، وهو بكسر الفاء المشددة بعدها ياء أي: يمشي مائلاً إلى سنن المشي لا إلى طرفيه يقال: يتكفأ أي يتمايل إلى قدام.

المشية[1]، إذا مشى كأنما ينحط من صبب[2]، وإذا التفت التفت جميعاً[3]، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة[4]، يسوق أصحابه، يبدأ من لقي بالسلام[5].

2 - وعن الحسن بن علي عن الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب ﷺ جاء وصف النبي كالتالي: لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً[6] ولا صخّاباً[7] في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح[8]. ما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادماً، ولا امرأة، ما رأيته منتصراً من مظلمة ظُلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شيء، فإذا انتهك من محارم الله تعالى كان من أشدهم غضباً، وما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وإذا دخل بيته كان بشراً من البشر، يفلي[9] ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه، كان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ويؤلّفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي على أحد منهم بشره[10]، ولا خلقه، ويتفقد[11] أصحابه ويسأل عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهيه[12]، معتدل الأمر غير مختلف، ولا يغفل مخافة أن يغفلوا ويملوا، لكل حال عنده عتاد[13]، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة[14] ومؤازرة[15]، لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، يعطي كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو فاوضه[16] في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجته لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم

---

(1) أي سريعها.
(2) أي محل منحدر.
(3) أي لا يسارق النظر.
(4) وهي مفاعلة من اللحظ وهو النظر باللحاظ، يقال: لحظه ولحظ إليه.
(5) مختارات من أدب العرب لأبي الحسن الندوي، ص 13.
(6) أي ولا المتكلف به أي لم يكن الفحش له خلقياً ولا كسبياً.
(7) صخّاباً: صيّاحاً.
(8) صفح عنه: أعرض عنه وتركه، بابه: فتح.
(9) فلى يفلي فلياً رأسه أو ثوبه: نقاهما من القمل.
(10) بشره: بكسر الباء: طلاقة الوجه وبشاشته.
(11) يتفقد: يتعرف ويطلب من غاب منهم.
(12) يوهيه: يضعفه.
(13) العتاد: هو العدة والتأهب مما يصلح لكل ما يقع، ج: أعتُد وعُتُد وأعتِدة.
(14) المواساة: المداراة، وهي إصلاح أحوال الناس بالمال والنفس.
(15) مؤازرة: المعاونة.
(16) فاوضه: عامله في حاجة أو خالطه.

أباً، وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس علم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن[1] فيه الحرم، ولا تنثى[2] فلتاته[3]، متعادلين[4] يتفاضلون فيها بالتقوى، متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب[5].

3 - عن الحسن بن علي عن الحسين بن علي عن علي ﷺ ملتقطاً من جزء الشمائل للترمذي: كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب[6] ليس بفظ[7]، ولا غليظ ولا صخاب ولا فحّاش ولا عياب ولا مشاح[8]، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه ولا يجيب[9] فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء[10]، والإكبار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذمّ أحداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته. ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق[11] جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم[12]، يضحك مما يضحكون ويتعجب ممّا يتعجبون ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته حتى إن كان أصحابه يستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه[13]، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ[14]، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام، أجود الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة[15]، وألينهم عريكة[16]، وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبَّه، ويقول ناعته: لم أرَ قبله ولا بعده مثله ﷺ[17].

---

(1) ولا تؤبن: هو العيب والتهمة أي لا تقذف ولا تعاب.

(2) ولا تنثى: لا تشاع ولا تذاع.

(3) فلتاته: زلاته ومعائبه على تقدير وجود وقوعها، جمع فلتة.

(4) متعادلين: متساوين.

(5) مختارات من أدب العرب لأبي الحسن الندوي، ص 15.

(6) أي سريع العطف كثير اللطف، جميل الصفح، وقيل: قليل الخلاف، وقيل: كناية عن السكون والوقار والخشوع والخضوع.

(7) الغليظ السيئ الخلق الخشن الكلام.

(8) اسم فاعل من باب المفاعلة من الشح وهو البخل وقيل: أشده.

(9) أي لا يجيب أحداً فيما لا يشتهي بل يسكت عنه عفواً وتكرماً.

(10) الجدال.

(11) أمالوا رؤوسهم وأقبلوا ببصرهم إلى صدورهم.

(12) أي حديث أفضلهم أو كأول تكلمهم أي لا عن ملالة وسآمة.

(13) الإرفاد الإعطاء والإعانة.

(14) أي من مقارب في مدحه غير مجاوز به عن حد مثله ولا مقصر به عما رفعه الله إليه من علو مقامه.

(15) اللسان.

(16) الطبيعة.

(17) مختارات من أدب العرب لأبي الحسن الندوي، ص 16، نقلاً عن الشمائل للترمذي.

تاسعاً: آية التطهير وحديث الكساء:

آية التطهير هي قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب: 33] وأما حديث الكساء، فقد روت عائشة ﵂، فقالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل[1]، فأدخل علياً وفاطمة والحسن والحسين ﵃، قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وإن رواية عائشة للحديث يبين لنا كذب من يقول: إن الصحابة يكتمون فضائل علي، فهذه عائشة التي يدعون أنها تبغض علياً هي التي تروي هذا الفضل لعلي وفاطمة[2] والحسن والحسين ﵃.

إن الخطاب في الآيات الكريمة كله لأزواج النبي ﷺ حيث بدأ بهنَّ وختم بهن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[الأحزاب، الآيات: 28 - 34] فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ ومعهنّ الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت، جاء التطهير بضمير المذكر لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﵃ أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم، كما أن أهل بيت النبي ﷺ يتعدى علياً والحسن والحسين وفاطمة إلى غيرهم كما في حديث زيد بن أرقم، وأنه لما قيل له: نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه، ولكن أهل بيته الذين حرموا الصدقة وهم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس[3].

وقد تعمَّد بعض علماء الشيعة الاثني عشرية اقتطاع آية التطهير من السياق القرآني الذي جاءت فيه، والذي خاطب الله به نساء النبي ﷺ إغفالاً لنساء النبي ﷺ من الخطاب، ثم ضموا إلى ذلك حديث الكساء الذي رواه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة، قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه المرط[4] المرحل[5] من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي، فأدخله ثم

(1) كساء من خز أو صوف أو كتان. لسان العرب (7/ 401) والمرحل: نقش فيه تصوير الرحال.
(2) حقبة من التاريخ، ص 187.
(3) مسلم رقم: 107.
(4) مرط: يعني كساء.
(5) وهو المرشى المنقوش عليه صور رحال الإبل.

جاء الحسين، فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وحديث أم المؤمنين أم سلمة لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «أنت على مكانك، وأنت على خير»[1] لتثبيت المعنى الذي يريدونه من الاستدلال بهذه الآية الكريمة[2]، ويرى علماء الشيعة أن في آية التطهير دلالة على عصمة أصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين، من الخطايا والذنوب صغيرها وكبيرها بل ومن الخطأ والسهو البشري[3]، ويعتقدون أن الحسن بن علي هو الإمام الثاني المعصوم عندهم.

إن عصمة الإمامة عند الشيعة الإمامية شرط من شروط الإمامة وهي من المبادئ الأولية في كيانهم العقدي ولها أهمية كبرى عندهم، ونتيجة لما أضفاه الشيعة الإمامية على أئمتهم من صفات وقدرات ومواهب علمية غير محدودة، ذهبوا إلى أن الإمام ليس مسؤولاً أمام أحد من الناس، ولا مجال للخطأ في أفعاله مهما أتى من أفعال، بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله من خير لا شر فيه، لأن عنده من العلم وما لا قبل لأحد بمعرفته، ومن هنا قرر الشيعة الإماميّة للإمام ضمن ما قرروا: العصمة، فذهبوا إلى أن الأئمة معصومون في كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة ولا يصدر عنهم أي معصية، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان[4]، وقد نقل الإجماع على ذلك شيخهم المفيد، فقال: إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرع وتأديب الأنام معصومون، كعصمة الأنبياء، وأنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة وأنه لا يجوز منهم سوء في شيء من الدين ولا ينسون شيئاً من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم، وتعلق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب[5]، وقد تحدثت عن هذه العقيدة بنوع من التفصيل في كتابي (سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)[6]، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

وأما حجة الشيعة الإمامية في آية التطهير فنقدها من وجوه:

أ - حديث أم سلمة السابق، فقد ورد بعدة صيغ:

فروي عن أم سلمة أنها قالت: كان النبي ﷺ عندي وعلي وفاطمة والحسن والحسين،

(1) سنن الترمذي، كتاب: المناقب رقم: 3788. (2) ثم أبصرت الحقيقة، ص 176.
(3) المصدر السابق نفسه، ص 176. (4) دراسات عن الفرق، د. أحمد جلي، ص 203.
(5) أوائل المقالات للمفيد، ص 35.
(6) أسمى المطالب سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (2/ 302).

فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا وغطى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**»، وفي رواية أخرى: أنه ﷺ أجلسهم على كساء، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله، فضمه فوق رؤوسهم، وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: «**هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**»، وفي رواية أخرى أنه ﷺ أجلسهم على كساء، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله، فضمه فوق رؤوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: «**هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**»، وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة في دخول الخمسة الآية، ولكن هذا لا يحتم عدم دخول غيرهم[1].

وقد وردت روايات عن أم سلمة فيها زيادات تشير إلى عدم دخولها مع أحاديث الكساء، لا يخلو أكثرها من الضعف لكن صح منها من جملتها هذه الرواية: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً، فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «**أنت على مكانك وأنت على خير**»[2].

وهناك رواية هامة جداً رويت بإسناد حسن تشير إلى أن أم سلمة قد دخلت في الكساء بعد خروج أهل الكساء منه[3]، ولعل التعليل في ذلك أنه لا يصح أن تدخل أم سلمة مع علي بن أبي طالب تحت كساء واحد فلذلك أدخلها رسول الله ﷺ بعد خروج أهل الكساء منه، فعن شهر قال: سمعت أم سلمة زوج النبي ﷺ حين جاء نعي الحسين بن علي، لعنت أهل العراق، فقالت: قتلوه قتلهم الله، غروه وذلوه لعنهم الله، فإني رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غدية ببرمة قد وضعت فيها عصيدة تحملها في طبق لها، حتى وضعتها بين يديه، فقال لها: «**أين ابن عمك؟**» قالت: هو في البيت، قال: «**اذهبي فادعيه وائتني بابنيه**»، قال: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد، وعلي يمشي في إثرهما، حتى دخلوا على رسول الله ﷺ، فأجلسهما في حجره وأجلس علياً على يمينه وجلس فاطمة على يساره، قالت أم سلمة: فاجتبذ كساء خيبرياً كان بساطاً لنا على المنامة، فلفه رسول الله ﷺ جميعاً فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه ﷻ: قال: «**اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**»، قلت: يا رسول الله: ألست من أهلك؟ قال: «**بلى فادخلي في الكساء**» فدخلت في الكساء بعدما

(1) ثم أبصرت الحقيقة، ص 177.

(2) فضائل الصحابة (2/ 727) رقم: 1994 إسناده فيه ضعف وله طرق قوية.

(3) ثم أبصرت الحقيقة، ص 177.

قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة[1]، فشهد رسول الله ﷺ لأم سلمة أنها من أهل بيته وأدخلها في الكساء بعد دعائه لهم[2].

ب - ومما يدل على أن الآية ليست دالة على العصمة والإمامة: أن الخطاب في الآيات لأزواج النبي ﷺ حيث بدأ بهن وختم بهن:

قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب، الآيات: 28 - 34].

فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ ومعهن الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنقعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر، لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم، كما أن زوج الرجل من أهل بيته، وهذا شائع في اللغة كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ أي امرأتك ونساؤك، فيقول: هم بخير، وقد قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: 73] والمخاطب بهذه الآية بالإجماع هي سارة زوجة إبراهيم عليه السلام، وهذا دليل على أن زوجة الرجل من أهل البيت[3].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: 29].

والمخاطب هنا أيضاً زوجة موسى عليه السلام.

---

(1) فضائل الصحابة (2/ 852) رقم: 1170 إسناده حسن.

(2) ثم أبصرت الحقيقة، ص 178.

(3) الإمامة والنص، فيصل نور، ص 386.

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[مريم: 54- 55]. فمن أهله الذين كان يأمرهم بالصلاة؟ وهذا كقوله تعالى مخاطباً النبي ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[طه: 132]. ولا شك في دخول زوجاته أو خديجة رضي الله عنها على أقل تقدير في الأهل، باعتبار أن السورة مكية[1]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[يوسف: 25]، فالمخاطب هنا عزيز مصر، وقولها: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً؟ أي زوجتك، وهذا بين[2].

جـ - إذهاب الرجس لا يعني في لغة القرآن معنى العصمة:

يقول الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن مادة رجس: الرجس الشيء القذر، قال: رجل رجسي، ورجال أرجاس، قال تعالى: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[المائدة: 90]. . والرجس من جهة الشرع والخمر والميسر. . وجعل الكافرين رجساً من حيث أن الشرك بالعقل أقبح الأشياء، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾[التوبة: 125] وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[يونس: 100].

قيل: الرجس: الرجل النتن، وقيل: العذاب، وذلكم كقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ وقال: أو لحم خنزير فإنه رجس، وبالجملة لفظ ﴿الرِّجْسَ﴾ أصله القذر يطلق ويراد به الشرك كما في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[الحج: 30] ويطلق ويراد به الخبائث المحرمة كالمطعومات والمشروبات ونحو قوله: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾[الأنعام: 145] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[المائدة: 90]، ولم يثبت أن استخدم القرآن لفظ ﴿الرِّجْسَ﴾ بمعنى مطلق الذنب بحيث يكون في إذهاب الرجس عنه إثبات لعصمته[3].

د - التطهير من الرجس لا يعني إثبات العصمة لأحد:

فكما أن كلمة ﴿الرِّجْسَ﴾ لا يراد بها ذنوب الإنسان وأخطاؤه في الاجتهاد وإنما يُراد بها القذر والنتن والنجاسات المعنوية والحسية، فإن كلمة التطهير لا تعني العصمة، فإن الله عز وجل يريد تطهير كل المؤمنين وليس أهل البيت فقط، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير، فقد قال الله تعالى عن صحابة رسوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ

(1) الإمامة والنص، فيصل نور، ص 391.
(2) المصدر السابق نفسه، ص 393.
(3) ثم أبصرت الحقيقة، ص 181.

حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: 6] وقال عز من قائل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: 103] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222]، فكما أخبر الله ﷻ بأنه يريد تطهير أهل البيت أخبر كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين فإن كان في إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للصحابة، ولعموم المؤمنين الذين نصت الآيات على إرادة الله ﷻ تطهيرهم، وقد قال تعالى عن رواد مسجد قباء من الصحابة: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: 108]، ولم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق، وقال تعالى عن أهل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأنفال: 11] ولم يكن في هذا إثبات لعصمتهم مع أنه لا فرق يذكر في الألفاظ بين قول الله تعالى عن أهل البيت ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33] وبين قوله في أهل بدر: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ فالرجز والرجس متقاربان ويطهركم في الآيتين واحد، لكن الهوى هو الذي جعل من الآية الأولى دليلاً على العصمة دون الأخرى!

والعجيب في علماء الشيعة الإمامية: أنهم يتمسكون بالآية ويصرفونها إلى أصحاب الكساء، ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكساء ثم يتناسون في الوقت نفسه آيات أخرى نزلت في إرادة الله ﷻ لتطهير الصحابة، بل هم بالمقابل يقدحون فيهم، ويقولون بانقلابهم على أعقابهم مع أن الله ﷻ نص على إرادته تطهيرهم بنص الآية[1]، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40].

- الإرادة في الآية إرادة شرعية، وهي غير الإرادة القدرية:

يعني يحب الله أن يذهب عنكم الرجس، وقد تحدث علماء أهل السنة عن الإرادتين الشرعية الدينية، والإرادة القدرية الكونية، فقالوا:

- إرادة شرعية دينية: وهي تتضمن معنى المحبة والرضى، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185] وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 27 - 28].

- إرادة قدرية خلقية: وهي بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، وذلك مثل الإرادة في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: 253] وقوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ

(1) ثم أبصرت الحقيقة، ص 182.

أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: 34]، فالمعاصي إرادة كونية قدرية فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها، ويكرهها وينهى عنها، هذا قول السلف والأئمة قاطبة، فيفرقون بين إرادته التي تتضمن محبته ورضاه وبين إرادته ومشيته الكونية القدرية التي لا يلزم منها المحبة والرضى[1]، ولا شك أن الله ﷻ أذهب الرجس عن فاطمة والحسن والحسين وعلى زوجات النبي ﷺ، ولكن الإرادة في هذه الآية، إرادة شرعية ولذلك جاء في الحديث أن النبي ﷺ لما جللهم بالكساء قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس**»[2].

هـ - دعاء النبي ﷺ يحسم القضية:

آية التطهير لو كان فيها ما يدل على وقوع التطهير لأهل الكساء لما قام رسول الله ﷺ بتغطيتهم بالكساء والدعاء لهم بقوله: «**اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس**»[3]، بل في هذا دلالة واضحة على أن الآية نزلت في نساء النبي ﷺ، وأن رسول الله ﷺ أراد أن ينال أصحاب الكساء هذا الإخبار الرباني عن التطهير، فجمعهم وجللهم بالكساء ودعا لهم فتقبل الله دعاءه لهم[4]، فطهرهم كما طهر الله نساء النبي بنص الآية[5].

و - من الردود الدالة على عدم دلالة الآية الإمامة والعصمة:

ومنها: أن ما اختص به أمير المؤمنين علي والحسن والحسين ﷺ من الآية بزعم القوم ثبت للسيدة فاطمة ﷺ، وخصائص الإمامة لا تثبت للنساء، فلو كان هذا دليلاً لكان من يتصف بما في الآية يستحق العصمة والإمامة، وفاطمة ﷺ كذلك وبذات الاعتبار، فدل على أن الآية لا يراد بها الإمامة ولا العصمة، ومنها خروج تسعة من الأئمة المزعومين لعدم شمول الآية لهم، حيث اختصت الآية بثلاثة منهم[6] وهم:

- علي بن أبي طالب ﷺ.
- والحسن بن علي ﷺ.
- والحسين بن علي ﷺ.

---

(1) وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باعبد الله، ص 387.
(2) سنن الترمذي، كتاب: مناقب أهل البيت رقم: 3787.
(3) سنن الترمذي، كتاب: مناقب أهل البيت رقم: 3787، وصححه الألباني.
(4) ثم أبصرت الحقيقة، ص 182.
(5) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (2/ 314).
(6) الإمامة والنص، ص 387.

عاشراً: آية المباهلة ووفد نصارى نجران:

جاء وفد نجران إلى رسول الله ﷺ. فقالوا لرسول الله ﷺ: كنا مسلمين قبلكم، فقال النبي ﷺ: «يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم لصليب، وأكلكم الخنزير، وزعمكم أن لله ولداً»[1]، وكثر الجدال والحجاج بينه وبينهم، والنبي يتلو عليهم القرآن ويقرع باطلهم بالحجة، وكان مما قالوه لرسول الله ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا، وتقول إنه عبد الله؟ فقال: «أجل إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب، فإن كنت صادقاً فأرنا مثله؟ فأنزل الله في الرد عليهم قوله سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾[آل عمران: 59 - 60]. فكانت حجة دامغة شبّه فيها الغريب بما هو أغرب منه[2]. فلما لم تُجْدِ معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى المباهلة[3]، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[آل عمران: 61]. وخرج النبي ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة وقال: «وإذا أنا دعوت فأمّنوا»[4]، فائتمروا فيما بينهم، فخافوا الهلاك لعلمهم أنه نبي حقاً، وأنه ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، فأبوا أن يلاعنوه وقالوا: احكم علينا بما أحببت، فصالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب، وألف في صفر[5]. وهكذا يتضح المقصد الحقيقي لنزول الآية ومناسبتها وأنه ليس لها علاقة لا من قريب ولا من بعيد على ما ادعاه الشيعة على إمامة علي بن أبي طالب ﷺ بالنص وقد رددت على زعمهم في كتابي (أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) ﷺ[6]، فمن أراد التوسع فليرجع إليه.

الحادي عشر: أثر التربية الأسرية على الحسن بن علي ﷺ:

نشأ الحسن بن علي ﷺ في بيت النبوة، وتربى على يدي جده ﷺ ووالده علي، وأمه فاطمة ﷺ، فأخذ عن جده ووالديه مفاهيم الإسلام، ولهذه النشأة تأثير كبير في بناء وتكوين شخصيته القوية التي التزمت بأوامر الإسلام واستقامت على تعاليمه، فالرسول ﷺ يقول: «الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام»[7]،

---

(1) زاد المعاد (3/ 633) سنده فيه ضعف.
(2) زاد المعاد (3/ 629 - 638).
(3) السيرة النبوية لأبي شهبة (2/ 547).
(4) المصدر السابق نفسه (2/ 547).
(5) المصدر السابق نفسه.
(6) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (2/ 334 إلى 336).
(7) البخاري، رقم: 3383.

فمعدن الحسن بن علي نادر الوجود، ولم ينشأ في الجاهلية وإنما نشأ في بيت النبوة، مما جعله يكون سيداً بما تعني هذه الكلمة من معنى، وقد اجتمع للحسن بن علي من أصالة النسب والتربية الأسرية ما لم يجتمع لغيره من الناس.

فجده الحبيب المصطفي ﷺ.

وأبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأمه فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

وجدته لأمه السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وبعد وفاة رسول الله ﷺ تولى أمير المؤمنين علي تربية الحسن والحسين وأشرف عليهما إشرافاً مباشراً، وكانت شخصية أمير المؤمنين تتوفر فيها شروط الأب المربي ولا شك أنه فهم واستوعب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: 6].

ومن الشروط الواجب توافرها في الأب المربي المسؤول ما يلي:

1 - الإخلاص والشعور بأهمية القضية والاهتمام بها:

فقد اهتم أمير المؤمنين علي بتربية وتعليم الحسن والحسين أبناءه وشمَّر عن ساعد الجد، وتعهدهم بالرعاية والاهتمام، وكان هدفه من ذلك رضاء الله وثوابه والتقرب إليه، بتربية علي أولاده على طاعة الله وهدي نبيه ﷺ.

2 - إعطاء القدوة الحسنة للأبناء:

تعتبر القدوة من أهم وسائل التربية إن لم تكن هي أهمها على الإطلاق، وذلك لوجود تلك الغريزة الفطرية الملحَّة في كيان الإنسان التي تدفعه نحو التقليد والمحاكاة، خاصة الأطفال الصغار[1]. يقول ابن خلدون: ويبدأ التقليد غايته في سن الخامسة أو السادسة ويستمر معتدلاً حتى الطفولة المتأخرة[2]، وكان أمير المؤمنين علي قدوة عظيمة لابنه الحسن فهو من سادات الصحابة ومن الخلفاء الراشدين، وكان الحسن بن علي يقلد أباه وأمه عن حب عميق.

3 - الرحمة والرفق في تربية الأبناء:

فقد كان أمير المؤمنين متحلياً بالرحمة والحلم وكان رفيقاً ليناً بالحسن والحسين في تربيتهم ويعرف لهم فضلهم ومكانتهم من رسول الله ﷺ والسيدة فاطمة رضي الله عنها.

---

(1) مسؤولية الأب، عدنان يا حارث، ص 65.

(2) مقدمة ابن خلدون نقلاً عن موسوعة تربية الأجيال المسلمة، لنصر بن محمد العنقري، ص 86.

4 - التوسط في المعاملة والعدل بين الأبناء:

ويظهر هذا الخلق جلياً في وصيته للحسن والحسين عندما أصبح من الدنيا راحلاً ولأصحابه مفارقاً ولكأس المنية شارباً، وقد اتبع أمير المؤمنين علي ﷺ التوجيهات القرآنية في تربيته وتعليمه وتوجيهه لأبنائه، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: 13، 14].

والمقصود أن الهدي القرآني اهتم بتذكير الأنبياء بتربية الأبناء، وحياة أمير المؤمنين علي تطبيق لأوامر الله ﷻ، وابتعاد عن نواهيه، هذه بعض الصفات المهمة في شخصية أمير المؤمنين علي والتي ساعدته في تربية ابنيه الحسن والحسين.

الثاني عشر: أثر الواقع الاجتماعي على تربية الحسن:

إن البيئة الاجتماعية المحيطة لها دور فعال ومهم في صناعة الرجال وبناء شخصيتهم، فالحسن بن علي ﷺ عاش في زمن ساد فيه الصحابة، والرعيل الأول الذي تربى على يدي رسول الله ﷺ، فهيمنت الفضيلة والتقوى والصلاح على ذلك المجتمع الفريد، وكثر الإقبال على طلب العلم والعمل بالكتاب والسنة، فهذه الحالة دفعت الحسن بن علي إلى الاستفادة والاقتداء بالمجتمع الذي يعيش فيه، فكان عدد الصحابة الذين استوطنوا المدينة في حياة الرسول كماً كبيراً، واستمر عدد كبير في المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وإن مجتمعاً عاش فيه الرسول ﷺ وتربى فيه على يديه النواة الأولى لخير أمة أخرجت للناس، لهو مجتمع لا يدانيه أي مجتمع آخر، فقد شاهد هذا المجتمع الوحي وصاحب الدعوة، ولازم رسول الله ﷺ، فكان لهذه الملازمة والصحبة آثار نفسية ومعان إيمانية وتعلق روحي[1]، فكان هذا المجتمع محل جذب الناس والتأثير فيهم بالسلوك والقول، وإن هذا المجتمع له قوة التأثير في صياغة شخصية الحسن بن علي التربوية والعلمية.

المبحث الرابع

الحسن بن علي في عهد الخلفاء الراشدين

أولاً: مكانة الحسن بن علي في عهد الصديق ﷺ:

كان للحسن والحسين بن علي ﷺ مكانة مرموقة لدى الصديق، وعمر وعثمان

(1) الإمام الزهري، شرّاب، ص 26.

وعلي ﷺ جميعاً، فقد كانوا يحبونهم ويتعاملون معهم بشكل خاص، فبينما كان أبو بكر وعلي بن أبي طالب ﷺ يمضيان بعد صلاة العصر فرأى أبو بكر ﷺ الحسن يلعب مع الغلمان، فأخذه أبو بكر فحمله على عنقه وقال:

بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي

وعلي يبتسم[1]. وقد تأثر الحسن بن علي بسيرة الصديق حتى أنه سمّى أحد أبنائه باسم أبي بكر، ولا يسمّي أحد من الناس أسماءً على شخص معين إلا نتيجة حب ومعرفة مفصلة بسيرته، وقد تعلم الحسن بن علي من عهد الصديق سواء في حياته أو بعد وفاة أبي بكر أموراً منها:

1 - هول فاجعة وفاة الرسول ﷺ وموقف أبي بكر منها:

قال ابن رجب: لما توفي رسول الله ﷺ اضطرب المسلمون، فمنهم من دُهش فخولط ومنهم من أقعد فلم يُطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية[2]، وقال ابن إسحاق: ولما توفي رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين فكانت عائشة فيما بلغني تقول: لما توفي النبي ﷺ ارتدت العرب واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم[3].

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: . . واضطربت الحال. . فكان موت النبي ﷺ قاصمة الظهر، ومصيبة العمر، فأما علي فاستخفى في بيت فاطمة، وأما عثمان فسكت، وأما عمر فأهجر، وقال: ما مات رسول الله وإنما واعده ربه كما واعد موسى، وليرجعن رسول الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم[4]، ولما سمع أبو بكر الخبر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنح، حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلّم الناس، حتى دخل على عائشة فتيمَّم رسول الله ﷺ وهو مُغشّى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي عليك فقد متها[5]، وخرج أبو بكر وعمر يتكلم فقال: اجلس يا عمر، وهو ماضٍ في كلامه، وفي ثورة غضبه، فقام أبو بكر في الناس خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه، فقال: أما بعد فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا

(1) نسب قريش (1/ 23)، البخاري (5/ 93).
(2) لطائف المعارف، ص 114.
(3) سيرة ابن هشام (4/ 323).
(4) العواصم من القواصم، ص 38.
(5) البخاري، كتاب: المغازي - رقم: 4452.

رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]. فنشج الناس يبكون.

وبهذه الكلمات القلائل، واستشهاد الصديق بالقرآن الكريم خرج الناس من ذهولهم وحيرتهم ورجعوا إلى الفهم الصحيح رجوعاً جميلاً، فالله هو الحي وحده الذي لا يموت، وأنه وحده الذي يستحق العبادة، وأن الإسلام باق بعد موت محمد ﷺ [1]، كما جاء في رواية من قول الصديق: إن دين الله قائم، وإن كلمة الله تامة، وإن الله ناصر من نصره، ومعز دينه، وإن كتاب الله بين أظهرنا وهو النور والشفاء وبه هدى الله محمداً ﷺ وفيه حلال الله وحرامه، والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد، ولنجاهدنّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله فلا يبغين أحد إلا على نفسه[2].

كان موت محمد ﷺ مصيبة عظيمة، وابتلاءً شديداً، ومن خلالها وبعدها ظهرت شخصية الصديق كقائد للأمة فذ لا نظير له ولا مثيل[3]، فقد أشرق اليقين في قلبه وتجلى ذلك في رسوخ الحقائق فيه، فعرف حقيقة العبودية، والنبوة، والموت، وفي ذلك الموقف العصيب ظهرت حكمته ﷺ، فانحاز بالناس إلى التوحيد (من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) وما زال التوحيد في قلوبهم غضاً طرياً، فما إن سمعوا تذكير الصديق لهم حتى رجعوا إلى الحق[4]، تقول عائشة ﷺ: فوالله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ﷺ فتلقاها منه الناس، فما يسمع بشر إلا يتلوها[5].

ولا شك أن هذه الحادثة أخذت مكانها الطبيعي في ذاكرة الحسن بن علي وأصبحت من ضمن ثقافته ومعرفته، فقد كان عمر الحسن عندما مضى رسول الله إلى الرفيق الأعلى سبع أو ثماني سنين وهو طور تنمو فيه مدارك الطفولة، وتكون فيه فكرة الطفل كالعدسة اللاقطة تنقل إلى ذاكرته كثيراً من المشاهدات والصور، والحسن من الأطفال الأذكياء وله من الاستعداد لأن يستوعب مجريات ذلك العهد ويفهم الغايات السامية والأعمال العظيمة، والمواقف المشهودة والقيم الكبرى التي قام بها الصديق، ولقد أثرت تلك الأعمال والمواقف على نفسية الحسن وتملك قلبه حب الصديق وسمّى أحد أبنائه عليه. ومن أهم الدروس التي تعلمها الحسن من وفاة النبي هي أن البقاء للمبادئ وليست للأشخاص وأهمية التعلق بالله وحده فهو الباقي وهو النافع والضار وهو على كل شيء قدير.

(1) استخلاف أبي بكر الصديق، جمال عبد الهادي، ص 160.
(2) دلائل النبوة للبيهقي (7/ 218).
(3) أبو بكر رجل الدولة، مجدي حمدي، ص 25، 26.
(4) استخلاف أبي بكر الصديق، ص 160.
(5) البخاري، رقم: 1241، 242.

2 - سقيفة بني ساعدة:

لما علم الصحابة ﷺ بوفاة رسول الله ﷺ، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة في اليوم نفسه وهو يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، وتداولوا الأمر بينهم في اختيار من يلي الخلافة من بعده[1]، والتف الأنصار حول زعيم الخزرج سعد بن عبادة ﷺ، ولما بلغ خبر اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة إلى المهاجرين وهم مجتمعون مع أبي بكر لترشيح من يتولى الخلافة[2]، قال المهاجرون لبعضهم: انطلقوا بنا إلى إخواننا من الأنصار، فإن لهم في هذا الحق نصيباً[3]، . . فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمِّل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: يُوعَك، فلما جلسنا قليلاً تشهَّد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفت دافة من قومكم[4]، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر[5]، فلما سكت أردت أن أتكلم - وكنت قد زوَّرتُ مقالةً أعجبتني أريد أن أقدّمها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحدّة، فلما أردتُ أن أتكلم، قال أبو بكر: على رسلك. فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال بديهة مثلها أو أفضل منها حتى سكت، فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم - فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا - فلم أكره مما قال غيرها، والله أن أقدّم فتضرب عنقي لا يُقرِّبني ذلك من إثم أحب إليَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تُسوِّل إليَّ نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن. فقال قائل من الأنصار: أنا جُذيلها المحكَّك، وعُذيقُها المرجَّب[6]، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار[7]. وفي رواية أحمد: فتكلم أبو بكر ﷺ فلم يترك شيئاً في الأنصار ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا

(1) التاريخ الإسلامي (9/ 21).
(2) عصر الخلافة الراشدة للعمري، ص 40.
(3) المصدر السابق نفسه، ص 40.
(4) أي عدد قليل.
(5) أي يخرجوننا من أمر الخلافة.
(6) الجذيل: عود ينصب للإبل الجَرْبَى لتحتك به، والمحكك: الذي يحتك به كثيراً، أراد ان يستشفى برأيه، والعذيق: النخلة: أي الذي يعتمد عليها.
(7) البخاري، كتاب: الحدود - رقم: 6830.

ذكره، وقال: ولقد علمت أن رسول الله ﷺ قال: «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادي الأنصار». ولقد علمت يا سعد[1]، أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: «قريش ولاة هذا الأمر فَبَرُّ الناس تبع لبرِّهم، وفاجر الناس تبع لفاجرهم»، قال: فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء[2]..

وكان أبو بكر الصديق زاهداً في الإمارة وظهر زهده في خطبته التي اعتذر فيها من قبول الخلافة حيث قال: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط ولا كنت فيها راغباً ولا سألتها الله عزَّ وجل في سر أو علانية، ولكني أشفقت من الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة ولكن قلدت أمراً عظيماً ما لي به طاقة ولا يد إلا بتقوية الله ﷻ، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني[3].

وقد قام باستبراء نفوس المسلمين من أي معارضة لخلافته واستحلفهم على ذلك فقال: أيها الناس، اذكروا الله، أيما رجل ندم على بيعتي لما قام على رجليه، فقام علي بن أبي طالب ﷺ، ومعه السيف، فدنا منه حتى وضع رِجلاً على عتبة المنبر، والأخرى على الحصى وقال: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، قدّمك رسول الله فمن ذا يؤخرك[4].

هذه هي الحقائق التي عرفها وتعلمها الحسن بن علي عن حادثة السقيفة، لا كما يدعي مزورو التاريخ، ولم يكن أبو بكر وحده الزاهد في أمر الخلافة والمسؤولية، بل إنها روح العصر - ويمكن الرجوع إلى النصوص التي تمّ ذكرها بتوسع في كتابي (الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق)[5].

ويمكن القول: إن الحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة لا يخرج عن هذا الاتجاه، بل يؤكد حرص الأنصار على مستقبل الدعوة الإسلامية واستعدادهم المستمر للتضحية في سبيلها، فما إن اطمأنوا على ذلك حتى استجابوا سراعاً لبيعة أبي بكر الذي قبل البيعة لهذه الأسباب، وإلا فإن نظرة الصحابة مخالفة لرؤية الكثير مما جاء بعدهم ممن خالفوا المنهج العلمي، والدراسة الموضوعية، بل كانت دراستهم متناقضة مع روح ذلك العصر، وآمال وتطلعات أصحاب رسول الله من الأنصار وغيرهم، وإذا كان اجتماع السقيفة أدى إلى انشقاق

(1) يعني سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه.
(2) مسند أحمد (1/ 5)، صحيح لغيره.
(3) المستدرك (3/ 66) قال الحاكم: حديث، صحيح وأقره الذهبي.
(4) الأنصار في العصر الراشدي، ص 108، الرياض النضرة (1/ 216).
(5) الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق، ص 136 إلى 187.

بين المهاجرين والأنصار كما زعمه بعضهم[1]، فكيف قبل الأنصار بتلك النتيجة وهم أهل الديار وأهل العدد والعدة؟ وكيف انقادوا لخلافة أبي بكر ونفروا في جيوش الخلافة شرقاً وغرباً مجاهدين لتثبيت أركانها؟ لو لم يكونوا متحمسين لنصرتها؟ فالصواب اتضح من حرص الأنصار على تنفيذ سياسة الخلافة والاندفاع لمواجهة المرتدين، وأنه لم يتخلف أحد من الأنصار عن بيعة أبي بكر فضلاً عن غيرهم من المسلمين، وأن أخوة المهاجرين والأنصار أكبر من تخيلات الذين سطروا الخلاف بينهم في رواياتهم المغرضة[2] والتي زعموا أن حادثة السقيفة أثرت في نفسية الحسن بن علي لما رأى من التآمر والمكر والخديعة كما زعم صاحب كتاب حياة الإمام الحسن بن علي[3].

فالحقيقة التي يعرفها الحسن بن علي ﷺ أنه لم يحدث أزمات لا بسيطة ولا خطيرة، ولم يثبت أي انقسام أو فرق لكل منها مرشح يطمع في الخلافة كما زعم بعض كتاب التاريخ الذين اعتمدوا على روايات موضوعة، وكتب الأدب، وأكاذيب التاريخ، ولم يثبت النقل الصحيح تآمراً حدث بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة لاحتكار الحكم بعد وفاة رسول الله ﷺ[4]، فهم كانوا أخشى لله وأتقى من أن يفعلوا ذلك.

إن الحسن ﷺ حدثنا بأنه عقل الصلوات الخمس في عهد الرسول ﷺ، وكان يتردد على مسجد رسول الله ولا شك في أنه رأى رسول الله ﷺ يقدم أبا بكر على غيره أثناء مرضه ﷺ، وقد علم ببيعة المسلمين لأبي بكر بعد جده، فمعتقد الحسن بن علي ﷺ في خلافة أبي بكر، معتقد أهل السنة والجماعة القائل بصحة وشرعية خلافة أبي بكر الصديق بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته وتقديم النبي ﷺ إياه في الصلوات على جميع الصحابة، وقد فهم أصحاب النبي ﷺ مراد المصطفى عليه الصلاة والسلام من تقديمه في الصلاة، فأجمعوا على تقديمه في الخلافة ومتابعته، ولم يختلف منهم أحد، ولم يكن الرب جلّ وعلا ليجمعهم على ضلالة، فبايعوه طائعين، وكانوا لأوامره ممتثلين، ولم يعارض أحد في تقديمه[5].

فعندما سئل سعيد بن زيد: متى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ: كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة[6]، وقد نقل جماعة من أهل العلم المعتبرين إجماع

(1) انظر: الإسلام وأصول الحكم، محمد عمارة، ص 71 إلى 74.
(2) الأنصار في العصر الراشدي، ص 108.
(3) انظر: حياة الحسن بن علي، باقر شريف القرشي (1/ 123 إلى 139).
(4) استخلاف أبو بكر، جمال عبد الهادي، ص 50، 51، 53.
(5) عقيدة أهل السنة في الصحابة (2/ 550).
(6) تاريخ الطبري (3/ 207).

الصحابة ومن جاء بعدهم من أهل السنة والجماعة على أن أبا بكر ﷺ أولى بالخلافة من كل أحد[1]، كالخطيب البغدادي[2] وأبي الحسن الأشعري[3]، وعبد الملك الجويني[4] وأبي بكر الباقلاني[5]، وقد استوعب الحسن بن علي ﷺ أسس الخلافة الإسلامية الراشدة وبأنها تقوم على الشورى، والبيعة، وقد أجمع المسلمون على وجوب الخلافة، وأن تعيين الخليفة فرض على المسلمين يرعى شؤون الأمة ويقيم الحدود ويعمل على نشر الدعوة الإسلامية وعلى حماية الدين والأمة بالجهاد، وعلى تطبيق الشريعة وحماية حقوق الناس ورفع المظالم وتوفير الحاجات الضرورية لكل فرد[6].

هذا وقد قام أهل الحل والعقد في سقيفة بني ساعدة ببيعة الصديق خاصة ثم رشحوه للناس في اليوم الثاني وبايعته الأمة في المسجد البيعة العامة[7].

وقد تعلم الحسن ﷺ مما دار في سقيفة بني ساعدة مجموعة من المبادئ منها: أن قيادة الأمة لا تقام إلا بالاختيار، وأن البيعة هي أصل من أصول الاختيار وشرعية القيادة، وأن الخلافة لا يتولاها إلا الأصلب ديناً والأكفأ إدارة، فاختيار الخليفة يكون وفق مقومات إسلامية، وشخصية، وأخلاقية، . . وأن الحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة قام على قاعدة الأمن النفسي السائد بين المسلمين حيث لا هرج ولا مرج، ولا تكذيب ولا مؤامرات ولا نقض للاتفاق، ولكن تسليم للنصوص التي تحكمهم حيث المرجعية في الحوار إلى النصوص الشرعية[8].

3 - بعض ملامح الحكم في عهد الصديق:

إن الحسن بن علي ﷺ قد استوعب هدي النبي ﷺ وهدي الخلفاء الراشدين، ولذلك نجده عندما تنازل لمعاوية شرط عليه الالتزام بالكتاب والسنة ومنهج الخلفاء الراشدين، وهذا يدلنا على أنه على علم ودراية بعهد الصديق ﷺ، وخطب الصديق عندما تولى القيادة تعتبر من عيون الخطب الإسلامية على إيجازها، وقد قرر فيها قواعد العدل والرحمة في التعامل بين

(1) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (2/ 550).
(2) تاريخ بغداد (10/ 130 - 131).
(3) الإبانة عن أصول الديانة، ص 66.
(4) كتاب الإرشاد، ص 361.
(5) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص 65.
(6) الخلافة والخلفاء الراشدون، ص 163.
(7) المصدر السابق نفسه، ص 66، 67.
(8) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، للشجاع، ص 256.

الحاكم والمحكوم، وركز على أن طاعة ولي الأمر مرتبة على طاعة الله ورسوله، ونص على الجهاد في سبيل الله لأهميته في إعزاز الأمة، وعلى اجتناب الفاحشة لأهمية ذلك في حماية المجتمع من الانهيار والفساد[1]، ومن خلال الخطبة، والأحداث التي تمت بعد وفاة رسول الله ﷺ، تعلم الحسن بن علي ملامح نظام الحكم في بداية عهد الخلافة الراشدة والتي من أهمها:

أ - **القرآن الكريم والسنة النبوية**: المرجعية العليا في دولة الصديق ﷺ:

قال أبو بكر ﷺ في خطبته: أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم[2].

ب - **حق الأمة في مراقبة الحاكم ومحاسبته**: وجاء في خطبته: فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني[3].

ج - **إقرار مبدأ العدل والمساواة بين الناس**: وجاء في خطبته أيضاً: الضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله[4].

د - **الصدق أساس التعامل بين الحاكم والمحكوم**: وجاء في خطبته أيضاً: الصدق أمانة والكذب خيانة[5]. إن الصدق بين الحاكم والأمة هو أساس التعامل، في العهد الراشدي.

هـ - **إعلان التمسك بالجهاد وإعداد الأمة لذلك**: قال أبو بكر ﷺ: وما ترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل[6]، وهذا ما فهمه الصديق من قول رسول الله ﷺ: **«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه، حتى ترجعوا إلى دينكم»**[7].

و - **تطهير المجتمع من الفواحش**: قال أبو بكر ﷺ: ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء[8]، والصديق هنا يذكّر الأمة بقول النبي ﷺ: **«لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»**[9]. هذه بعض الأهداف التي بينها الصديق في خطابه للأمة بعد البيعة العامة، والذي

---

(1) التاريخ الإسلامي (9/ 28).
(2) البداية والنهاية (6/ 306).
(3) المصدر السابق نفسه (6/ 305).
(4) المصدر السابق نفسه (6/ 305).
(5) المصدر السابق نفسه (6/ 305).
(6) المصدر السابق نفسه (6/ 305).
(7) سنن أبي داود رقم: 3462، صححه الألباني.
(8) البداية والنهاية (6/ 305).
(9) صحيح ابن ماجه للألباني رقم: 4019.

رسم فيه سياسة الدولة، فحدد مسؤولية الحاكم ومدى العلاقة بينه وبين المحكومين وغير ذلك من القواعد المهمة في بناء الدولة وتربية الشعوب[1].

4 - مبايعة والد الحسن للصديق ﷺ:

جاءت روايات صحيحة السند تفيد بأن علياً والزبير ﷺ بايعا الصديق في أول الأمر، وقد ذكرت تفاصيلها في كتابي (أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)[2]، وقد رأى الحسن والده في مواقفه الداعمة للصديق، فقد كان أمير المؤمنين علي ﷺ لا يفارق الصديق في وقت من الأوقات ولم ينقطع عنه في جماعة من الجماعات، وكان يشاركه في المشورة، وفي تدبير أمور المسلمين، وكان ﷺ لأبي بكر عيبة نصح[3] له، مرجحاً لما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين على أي شيء آخر، ومن الدلائل الساطعة على إخلاصه لأبي بكر ونصحه للإسلام والمسلمين، وحرصه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة واجتماع شمل المسلمين، ما جاء في موقفه من توجه أبي بكر ﷺ بنفسه إلى ذي القصة، وعزمه على محاربة المرتدين، وقيادته للتحركات العسكرية ضدهم بنفسه، وما كان في ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامي[4]، فعن ابن عمر ﷺ قال: لما برز أبو بكر إلى ذي القصة واستوى على راحلته أخذ علي بن أبي طالب ﷺ يقول: أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «**الم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً**»، فرجع[5]، فلو كان علي ﷺ - أعاذه الله من ذلك - لم ينشرح صدره لأبي بكر، وقد بايعه على رغم من نفسه، فقد كانت هذه فرصة ذهبية ينتهزها علي، فيترك أبا بكر وشأنه، لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو له الجو، وإذا كان فوق ذلك - حاشاه الله - من كراهته له، وحرصه على التخلص منه، أغرى به أحداً يغتاله كما يفعل السياسيون الانتهازيون بمنافسيهم وأعدائهم[6].

وقد كان رأي علي ﷺ مقاتلة المرتدين، وقال لأبي بكر لما قال لعلي: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: أقول: إنك إن تركت شيئاً مما كان أخذه منهم رسول الله، فأنت على خلاف سنة الرسول، فقال: أما لئن قلت ذاك لأقاتلنهم وإن منعوني عقالاً[7].

---

(1) الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، ص 183.
(2) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (1/ 187).
(3) العيبة: وعاء من خوص ونحوه ينقل فيه الزرع المحصور، ووعاء من أدم يكون فيه المتاع.
(4) المرتضى للندوي، ص 97.
(5) البداية والنهاية (6/ 314 - 315).
(6) المرتضى للندوي، ص 97.
(7) المختصر من كتاب: الموافقة بين أهل البيت والصحابة، للزمخشري، ص 48.

ولا شك أن الحسن بن علي سمع والده في مدحه لأبي بكر وعمر مثل قوله: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري[1]، وقوله: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد النبي: أبي بكر وعمر[2]، وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: خير الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر. وقد روي هذا عنه من طرق كثيرة قيل: إنها تبلغ ثمانين طريقاً[3]، وعن صلة بن زفر العبسي قال: كان أبو بكر إذا ذكر عند علي قال: السبّاق تذكرون، والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر[4]، وقد كان علي ﷺ يمتثل أوامر الصديق، فعندما جاء وفد من الكفار إلى المدينة، ورأوا بالمسلمين ضعفاً وقلة لذهابهم إلى الجهات المختلفة للجهاد واستئصال شأفة المرتدين والبغاة الطغاة، وأحس منهم الصديق خطراً على عاصمة الإسلام والمسلمين، أمر الصديق بحراسة المدينة وجعل الحرس على أنقابها يبيتون بالجيوش، وأمر علياً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحراس، وبقوا كذلك حتى أمنوا منهم[5].

وللتعامل الموجود بينهم وللتعاطف والتوادد والوئام الكامل، كان عليّ - وهو سيد أهل البيت ووالد سبطي الرسول صلوات الله وسلامه عليه - يتقبل الهدايا والتحف دأب الأخوة المتساورين ما بينهم والمتحابين، كما قبل الصهباء الجارية التي سبيت في معركة عين التمر، وولدت له عمر ورقية[6]، وأيضاً منحه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التي أسرت مع من أسر في حرب اليمامة وولدت له أفضل أولاده بعد الحسن والحسين وهو محمد بن الحنفية، وكانت خولة من سبي أهل الردة وبها يعرف ابنها ونسب إليها: محمد بن الحنفية[7].

يقول الإمام الجويني عن بيعة الصحابة لأبي بكر: وقد اندرجوا تحت الطاعة عن بكرة أبيهم لأبي بكر ﷺ وكان علي ﷺ سامعاً لأمره، وبايع أبا بكر على ملأ من الأشهاد، ونهض إلى غزو بني حنيفة[8].

ووردت روايات عديدة في قبوله هو وأولاده الهدايا المالية والخمس من الغنائم وأموال الفيء من الصديق ﷺ، وكان عليّ هو القاسم والمتولي في عهده على الخمس والفيء

(1) فضائل الصحابة (1/ 83) في سنده ضعف.
(2) مسند أحمد (1/ 106، 110، 127) تحقيق أحمد شاكر.
(3) منهاج السنة (3/ 162).
(4) الطبراني في الأوسط (7/ 207، 208) إسناده ضعيف.
(5) تاريخ الطبري (4/ 64)، الشيعة وأهل البيت، ص 71.
(6) الطبقات (3/ 20) المصدر السابق نفسه.
(7) الطبقات (3/ 20).
(8) الإرشاد للجويني، ص 428، نقلاً عن أصول مذهب الشيعة للغفاري.

وكانت هذه الأموال بيد علي، ثم كانت بيد الحسن، ثم بيد الحسين، ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن[1].

وكان علي ﷺ يؤدي الصلوات الخمس في المسجد خلف الصديق، راضياً بإمامته، ومظهراً للناس اتفاقه ووئامه معه[2]. وهذا ما عرفه الحسن بن علي في علاقة والده بالصديق، بالإضافة إلى المصاهرات بين الصديق وأهل البيت، وتسمية أهل البيت بعض أسمائهم باسم أبي بكر، فقد كانت صلة أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ بأعضاء أهل البيت، صلة ودية تقديرية تليق به وبهم، وكانت هذه المودة والثقة متبادلة، وكانت من المتانة بحيث لا يتصور معها التباعد والاختلاف مهما نسج المسامرون الأساطير والأباطيل.

فالصديقة عائشة بنت الصديق بنت أبي بكر كانت زوجة جد الحسن بن علي ﷺ، ومن أحب الناس إليه مهما احترق الحساد ونقم المخالفون، فإنها حقيقة ثابتة وهي طاهرة مطهرة بشهادة القرآن مهما جحدها المبطلون وأنكرها المنكرون، ثم أسماء بنت عميس التي كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب شقيق علي، فمات عنها وتزوجها الصديق وولدت له ولداً سماه محمداً الذي ولاه على مصر، ولما مات أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له ولداً سماه يحيى[3]، وكان من حب أهل البيت للصديق والتوادد ما بينهم أنهم سموا أبناءهم بأسماء أبي بكر، وهذا دليل على حب ومؤاخاة وإعظام علي للصديق ﷺ، والجدير بالذكر أنه ولد له هذا الولد بعد تولية الصديق الخلافة والإمامة، بل بعد وفاته كما هو معروف بداهة، وعلي ﷺ لم يسم ابنه بأبي بكر إلا متيمناً بالصديق، وإظهاراً له المحبة والوفاء، وحتى بعد وفاته، وإلا فلا يوجد في بني هاشم رجل قبل علي سمى ابنه بهذا الاسم.

ثم لم يقتصر علي بهذا التيمن والتبرك وإظهار المحبة والصداقة للصديق بل بعده بنوه أيضاً مشوا مشيه ونهجوا نهجه، فالحسن والحسين سميا كل واحد منهم أحد أولادهما بأبي بكر، وحتى اليعقوبي والمسعودي ذكر ذلك، وهما من مؤرخي الشيعة[4]، واستمر أهل البيت يسمون من أسماء أولادهم بأبي بكر، ولا شك أن العلاقة المتينة بين أبي بكر وعلي ﷺ كان لها أثرها البالغ في نفسية وقلب الحسن بن علي مما ترتب عليه تقديره للصديق واحترامه ومعرفة فضله ومكانته في الإسلام.

(1) الشيعة وأهل البيت، ص 72.
(2) المصدر السابق نفسه، ص 72.
(3) خلافة علي بن أبي طالب وترتيب وتهذيب كتاب: البداية والنهاية، للسُّلمي، ص 22.
(4) تاريخ اليعقوبي (2/ 228).

5 - إنفاذ الصديق جيش أسامة ﷺ :

ومن الأحداث المشهورة في عهد الصديق والتي لها أثرها الخاص في ثقافة الحسن وجيله: إنفاذ أبي بكر لجيش أسامة بعد وفاة الرسول ﷺ وإصراره على ذلك تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ، فقد اقترح بعض الصحابة على الصديق ﷺ بأن يبقي الجيش فقالوا: إن هؤلاء جل المسلمين، والعرب - كما ترى - قد انتقضت بك فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين[1]، وأرسل أسامة من معسكره من الجرف عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي بكر يستأذنه أن يرجع بالناس، وقال: إنَّ معي وجوه المسلمين وجلتهم، ولا آمن على خليفة رسول الله، وحرم رسول الله، والمسلمين أن يتخطفهم المشركون[2]، وبعد مناقشات ومداولات أمر الصديق بفض الاجتماع الأول، ثم دعاهم إلى اجتماع عام آخر في المسجد، وفي هذا الاجتماع طلب من الصحابة أن ينسوا فكرة إلغاء مشروع وضعه رسول الله بنفسه، وأبلغهم أنه سينفذ هذا المشروع حتى لو تسبب تنفيذه في احتلال المدينة من قبل الأعراب المرتدين، فقد وقف خطيباً وخاطب الصحابة[3] قائلاً: والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته[4].

وطلبت الأنصار رجلاً أقدم سناً من أسامة يتولى أمر الجيش وأرسلوا عمر بن الخطاب ليحدث الصديق في ذلك، فقال عمر ﷺ : فإن الأنصار تطلب رجلاً أقدم سناً من أسامة ﷺ ، فوثب أبو بكر ﷺ وكان جالساً وأخذ بلحية عمر ﷺ وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب! استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أعزله؟[5] .. ثم خرج أبو بكر الصديق حتى أتاهم، فأشخصهم، وشيعهم، وهو ماش، وأسامة راكب، وعبد الرحمٰن بن عوف يقود دابة أبي بكر ﷺ ، فقال له أسامة ﷺ : يا خليفة رسول الله: والله لتركبن أو لأنزلن. فقال: والله لا تنزل، والله لا أركب، وما عليَّ أن أُغبِّر قدميَّ في سبيل الله[6]. ثم قال الصديق ﷺ لأسامة ﷺ : إن رأيت أن تعينني بعمر ﷺ فافعل، فأذن له[7].

ثم توجه الصديق ﷺ إلى الجيش فقال: يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر، فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا[8]، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا

(1) البداية والنهاية (6/ 308).
(2) الكامل لابن الأثير (2/ 226).
(3) الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص 83.
(4) تاريخ الطبري (4/ 45).
(5) المصدر السابق نفسه (4/ 46).
(6) المصدر السابق نفسه (4/ 46).
(7) تاريخ الطبري (4/ 46).
(8) ولا تمثلوا: يقال: مثلت بالحيوان أمثل به مثلاً: إذا قطعت أطرافه وشوَّهت به.

شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منه شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها. وتلقون أقواماً قد فحصوا[1] أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فأخفقوهم[2] بالسيف خفقاً، اندفعوا باسم الله[3].

وأوصى الصديق أسامة ﷺ أن يفعل ما أمر به النبي الكريم قائلاً: اصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ، ابدأ ببلد قضاعة ثم إيت آبل[4]، ولا تقصّرن في شيء من أمر رسول الله، ولا تعجلنّ لما خلّفت عن عهده[5]. ومضى أسامة بجيشه وانتهى إلى ما أمر به النبي ﷺ من بث الخيول من قبائل قضاعة، والغارة على آبل، فسَلِم وغنم[6]، وكان مسيره ذاهباً وقافلاً أربعين يوماً[7].

وقد قدم بنعي رسول الله على هِرَقل وإغارة أسامة في ناحية أرضه خبراً واحداً، فقالت الروم: ما بال هؤلاء؟ يموت صاحبهم ثم أغاروا على أرضنا[8]، وقال العرب: لو لم يكن لهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش[9]، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه[10].

ولقد اختلق بعض الشيعة حديثاً نسبوه لرسول الله، لا أصل له في كتب السنة فقالوا: بأن رسول الله لعن من تخلف عن جيش أسامة، وهذا الحديث منكر لا أصل له، وهم ما احتجوا بهذا الحديث المختلق إلا ليجعلوا من أبي بكر وعمر أول الملعونين. فقد قالوا: وقد تخلف أبو بكر وعمر عن جيش أسامة! ولم يجد الإمامية للحديث مسنداً إلا من طريق منبوذة مجهول لدى الشيعة والسنة.

لقد استفاد الحسن بن علي ﷺ وشباب ذلك الجيل من قصة إنفاذ جيش أسامة دروساً وعبراً منها:

أ - الأحوال تتغير وتتبدل والشدائد لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين:

فقد علّم الصديق الأمة إذا نزلت بها الشدة، وألمت بها المصيبة أن تصبر، فالنصر مع الصبر، وأن لا تيأس ولا تقنط من رحمة الله ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف: 56].

---

(1) فحصوا: حلقوا.
(2) فأخفقوهم: من أخفق فلاناً أي: صرعه.
(3) تاريخ الطبري (4/ 46).
(4) آبل: منطقة في جنوب بلاد الأردن اليوم.
(5) تاريخ الطبري (4/ 47).
(6) تاريخ الطبري (4/ 47).
(7) المصدر السابق نفسه (4/ 47)، تاريخ خليفة بن خياط، ص 101.
(8) عهد الخلفاء الراشدين للذهبي، ص 20.
(9) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، د. فضل إلهي، ص 14.
(10) الكامل لابن الأثير (2/ 227).

وليتذكر المسلم دائماً أن الشدة مهما عظمت، والمصيبة مهما اشتدت وكبرت فإن من سنن الله الثابتة: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[الشرح: 5 - 6]. وإن المسلم لأمره عجيب في هذه الدنيا، فقد بين رسول الله ﷺ في قوله: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»[1]. فالشدائد والمصائب مهما عظمت وكبرت لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين، فوفاة الرسول الكريم ﷺ لم تشغل الصديق عن أمر الدين، وأمر ببعث أسامة في ظروف كالحة مظلمة بالنسبة للمسلمين، ولكن ما تعلمه الصديق من رسول الله من الاهتمام بأمر الدين مقدم على كل شيء، وبقي هذا الأمر حتى ارتحل من هذه الدنيا[2]، وقد تعلم الحسن بن علي ﷺ هذا الدرس واستوعبه وعاش به في حياته.

ب - المسيرة الدعوية لا ترتبط بأحد، ووجوب اتباع النبي ﷺ:

فقد تعلم الحسن بن علي من قصة إنفاذ جيش أسامة بأن مسيرة الدعوة لم ولن تتوقف، حتى بموت سيد الخلق، وإمام الأنبياء وقائد المسلمين ﷺ، وقد كان الصديق ﷺ قبل ذلك قد بين في خطبته التي ألقاها إثر بيعته عن عزمه على مواصلة بذل الجهود لخدمة هذا الدين[3]، وقد جاء في رواية قوله: فاتقوا الله أيها الناس، واعتصموا بدينكم، وتوكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم، وإن كلمة الله تامة، وإن الله ناصر من نصره، ومعز دينه، والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة، وما وضعناها بعد، ولنجاهدنَّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ، فلا يبغين أحد إلا على نفسه[4].

ومن الدروس التي استفادها الحسن بن علي من قصة إنفاذ الصديق جيش أسامة ﷺ: أنه يجب على المسلمين اتباع أمر النبي ﷺ، في السراء والضراء، فقد بين الصديق من فعله أنه عاضٌّ على أوامر النبي ﷺ بالنواجذ ومنفِّذها مهما كثرت المخاوف وشدّت المخاطر، فمن أقوال الصديق الخالدة في تلك الحادثة: والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته[5]، وقدّم بموقفه هذا صورة تطبيقية لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب: 36]، وقد تعلم المسلمون

(1) مسلم (4/ 2295).
(2) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، ص 24.
(3) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، ص 27.
(4) البداية والنهاية (5/ 213، 214).
(5) تاريخ الطبري (4/ 45).

أن الله تعالى ربط نصر الأمة وعزها باتباع النبي ﷺ، فمن أطاعه فله النصر والتمكين، ومن عصاه فله الذل والهوان، فسرّ حياة الأمة في طاعتها لربها واقتدائها بسنّة نبيها ﷺ[1].

ج - حدوث الخلاف بين المؤمنين وردُّه إلى الكتاب والسنّة:

ومما استفاده الحسن بن علي ﷺ من هذه القصة أنه قد يحدث الخلاف بين المؤمنين الصادقين حول بعض الأمور، فقد اختلفت الآراء حول تنفيذ جيش أسامة ﷺ في تلك الظروف الصعبة، وقد تعددت الأقوال حول إمارته ولم يصر أحد على رأي بعد وضوح فساده وبطلانه، وعندما ردّ الصديق الخلاف إلى ما ثبت من أمر النبي ﷺ ببعث أسامة، وبين ﷺ أنه ما كان ليفرّط فيما أمر به رسول الله ﷺ بعدما وضحه لهم الصديق، وكما أنه لا عبرة لرأي الأغلبية إذا كان مخالفاً للنص، فقد رأى عامّة الصحابة حبس جيش أسامة، وقالوا للصديق: إن العرب قد انتقضت عليك وإنك لا تصنع بتفريق الناس شيئاً[2]، فأولئك الناس لم يكونوا كعامة الناس بل كانوا من الصحابة الذين هم خير البشر وجدوا على الأرض بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام، لكن الصديق ﷺ لم يستجب لهم، مبيناً أن أمر الرسول ﷺ أجل وأكرم، وأوجب من رأيهم كلهم[3]، قال الحافظ ابن حجر تعليقاً على رأي الأكثرية، حول وفاته ﷺ: فيؤخذ منه أن الأقل عدداً في الاجتهاد قد يصيب ويخطئ الأكثرية، فلا يتعين الترجيح بالأكثر[4].

فخلاصة الكلام: إن مما نستفيده من قصة تنفيذ الصديق جيش أسامة ﷺ أن تأييد الكثرة لرأي ليس دليلاً على إصابته[5]، ومما يستفاد من هذه القصة: انقياد المؤمنين وخضوعهم للحق إذا اتضح لهم، فعندما ذكرهم الصديق أن النبي ﷺ قد أمر بتنفيذ جيش أسامة وهو الذي عين أسامة أميراً على الجيش، انقاد أولئك الأبرار للأمر النبوي الكريم[6].

د - جعل الدعوة مقرونة بالعمل:

فقد تعلم الحسن بن علي ﷺ من قصة جيش أسامة أهمية جعل الدعوة مقرونة بالعمل، فقد علم أن الصديق لم يقتصر على الإصرار على إمارة أسامة فحسب بل قدم اعترافاً عملياً بإمارته، وقد تجلى ذلك في أمرين:

* مشى أبو بكر ﷺ مع أسامة ﷺ وهو راكب وقد كان ابن عشرين سنة من عمره،

(1) الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق للصلّابي، ص 227، قصة جيش أسامة، ص27.
(2) تاريخ خليفة بن خياط، ص 227.
(3) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، ص 44.
(4) فتح الباري (8/ 146).
(5) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، ص 46.
(6) المصدر السابق نفسه، ص 52.

وأصر على المشي مع أسامة ﷺ، كما أصر على بقاء أسامة راكباً لما طلب منه أسامة ﷺ إما أن يركب هو، أو يأذن له بالنزول، فلم يوافق ﷺ لا على هذا ولا على ذاك، وكأن الصديق بمشيه ذلك يخاطب الجيش فيقول: انظروا أيها المسلمون، أنا أبو بكر رغم كوني خليفة رسول الله ﷺ أمشي مع أسامة وهو راكب إقراراً وتقديراً لإمارته.

* **كان أبو بكر الصديق يرغب في بقاء عمر بن الخطاب نظراً لحاجته إليه**، لكنه لم يأمره بذلك، بل استأذن من أسامة في تركه إياه بالمدينة إن رأى هو ذلك مناسباً، وبهذا قدَّم الصديق ﷺ صورة تطبيقية أخرى لاعترافه واحترامه لإمارة أسامة ﷺ، وفيها بلا شك دعوة قوية للجيش إلى الإقرار والانقياد لإمارته، وهذا الذي اهتم به الصديق ﷺ من جعل دعوته مقرونة بالعمل هو الذي أمر به الإسلام، ووبّخ الرب ﷻ أولئك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم[1]، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44].

هـ - مكانة الشباب في الإسلام:

ومما يتجلى في هذه القصة كذلك منزلة الشباب العظيمة في خدمة الإسلام، فقد عين رسول الله ﷺ الشاب أسامة بن زيد ﷺ أميراً على الجيش المعدّ لقتال الروم - القوة العظمى في زعم الناس في ذلك الوقت - وكان عمره آنذاك عشرين سنة، أو ثماني عشرة سنة، وأقره أبو بكر الصديق ﷺ على منصبه رغم انتقاد الناس، وعاد الأمير الشاب بفضل الله من مهمته التي أسندت إليه غانماً ظافراً. وفي هذا توجيه للشباب في معرفة مكانتهم في خدمة الإسلام[2]. فعلى الدعاة والمربين إعطاء هذا الجانب حقه بالاهتمام، وفتح المجال أمام الطاقات الشابة لكي تبدع في خدمة دينها، وهذه السنة النبوية تجدد الحيوية والنشاط في الأمة وتساهم في تفجير طاقات خلّاقة تقوم بالدور الحضاري المنوط بالمسلمين.

و - صورة مشرقة من آداب الجهاد في الإسلام:

وتعلم الحسن بن علي ﷺ من قصة بعث أبي بكر لجيش أسامة الصورة المشرقة للجهاد الإسلامي، وقد تجلت تلك الصورة المشرقة في وصية أبي بكر الصديق لجيش أسامة عند توديعه إياهم، ولم يكن أبو بكر الصديق ﷺ في وصاياه للجيوش إلا مستناً بسنّة المصطفى ﷺ حيث كان عليه الصلاة والسلام يوصي الأمراء والجيوش عند توديعهم[3]، ومن

(1) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، ص 66.
(2) المصدر السابق نفسه، ص 70.
(3) المصدر السابق نفسه، ، ص 80.

خلال الوصية التي جاءت في البحث تظهر الغاية من حروب المسلمين: فهي دعوة إلى الإسلام، فإذا ما رأت الشعوب جيشاً يلتزم بهذه الوصايا لا يملك إلا الدخول في دين الله طواعية واختياراً[1].

ز - أثر جيش أسامة على هيبة الدولة الإسلامية:

عاد جيش أسامة ظافراً غانماً بعدما أرهب الروم، حتى قال لهم هرقل وهو بحمص بعد ما جمع بطارقته: هذا الذي حذرتكم، فأبيتم أن تقبلوا مني!! قد صارت العرب تأتي مسيرة شهر فتغير عليكم ثم تخرج من ساعتها ولم تكلَم[2]، وأصاب القبائل العربية في الشمال الرعب والفزع من سطوة الدولة الإسلامية، وكان لهذه الغزوة أثر في حياة المسلمين وفي حياة العرب الذين فكروا في الثورة عليهم، وفي حياة الروم الذين تمتد بلادهم على حدودهم[3] فقد فعل هذا الجيش بسمعته ما لم يفعله بقوته وعدده، فأحجم من المرتدين من أقدم، وتفرق من اجتمع، وهادن المسلمين من أوشك أن ينقلب عليهم، وصنعت الهيبة صنيعها قبل أن يصنع الرجال، وقبل أن يصنع السلاح[4]، حقاً لقد كان إرسال هذا الجيش نعمة على المسلمين، إذ أمست جبهة الردة في الشمال أضعف الجبهات، ولعل من آثار هذا أن الجبهة في وقت الفتوحات كان كسرها أهون على المسلمين من كسر جبهة العدو في العراق، كل ذلك يؤكد أن أبا بكر ﷺ كان في الأزمات من بين جميع الباحثين عن الحل، أثقبهم نظراً، وأعمقهم فهماً[5]، وقد أثبتت الأحداث تأثر الحسن بن علي بالخلفاء الراشدين في إدارته للأزمات، فكان في خلافته من أعمق الناس فهماً وأبعدهم نظراً وأشدهم حرصاً على وحدة المسلمين.

7 - حروب الردة:

كان رأي الصديق في حرب المرتدين رأياً ملهماً، وهو الرأي الذي تمليه طبيعة الموقف لمصلحة الإسلام والمسلمين، وأي موقف غيره سيكون فيه الفشل والضياع والهزيمة والرجوع إلى الجاهلية، ولولا الله ثم القرار الحاسم من أبي بكر ﷺ في قتال أهل الردة لتغير وجه التاريخ وتحولت مسيرته، ورجعت عقارب الساعة إلى الوراء، ولعادت الجاهلية تعيث في الأرض فساداً[6]، لقد تجلى فهمه الدقيق للإسلام وشدة غيرته على هذا الدين في قوله: قد انقطع الوحي وتم الدين، أينقص وأنا حي[7]؟

لقد سمع أبو بكر وجهات نظر الصحابة في حرب المرتدين، وما عزم على خوض

(1) تاريخ الدعوة إلى الإسلام، ص 269.
(2) ولم تكلم: تصاب بالجروح.
(3) الصديق، لهيكل باشا، ص 107.
(4) عبقرية الصديق، للعقاد، ص 107.
(5) حركة الردة، د. علي العتوم، ص 168.
(6) الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص 86.
(7) المرتضى لأبي الحسن الندوي، ص 70، مشكاة المصابيح، 6034.

الحرب إلا لأنه كان سريع القرار حاسم الرأي، فلم يتردد لحظة واحدة بعد ظهور الصواب له، وعدم التردد كان سمة بارزة من سمات أبي بكر - هذا الخليفة العظيم - في حياته كلها[1]، ولقد اقتنع المسلمون بصحة رأيه ورجعوا إلى قوله واستصوبوه، وأصبح قوله: والله لو منعوني عقالاً[2] كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه[3]، من أقواله الخالدة التي حفظها لنا التاريخ ولم تهملها الليالي ولم تفصلها عنا حواجز الزمن ولا أسوار القرون، ولقد استخدم في جهاده للمرتدين دهاء وحنكة سياسية ورؤية إستراتيجية واضحة تمثلت في أساليب عدة منها: النفسية والدعوية، والاستخباراتية، والإعلامية، والعلمية، وتوجهه بجيوشه المظفرة التي قضت على حركة الردة في جزيرة العرب، ولقد فهم وتعلم الحسن فقه الصديق في التعامل مع المرتدين، ولمس بعض فقه التمكين في جهاده للمرتدين والتي من أهم معالمه:

- استقرار التنظيم الإداري في الجزيرة[4].

ولا شك أن حروب الردة وأسبابها، وفقه الصديق في القضاء عليها أخذت بلباب الحسن ابن علي وشكلت جزءاً من ثقافته سواء عن طريق السماع أو المشاهدة.

- كما أن معالم السياسة الخارجية في دولة الصديق كانت واضحة في حس أبناء ذلك الجيل الذي من نوابغه الحسن بن علي ﷺ، فقد رسمت خلافة الصديق ﷺ أهدافاً في السياسة الخارجية للدولة الإسلامية والتي كان من أهمها:

- بذر هيبة الدولة في نفوس الأمم الأخرى.
- العدل بين الأمم المفتوحة والرفق بأهلها.
- رفع الإكراه عن الأمم المفتوحة.
- مواصلة الجهاد الذي أمر به المولى ﷻ في القرآن.

- كما أن معالم التخطيط الحربي عند الصديق أصبحت من ثقافة ذلك الجيل وأدبياته، خصوصاً لاطلاع القيادة الشبابية وعلى رأسهم الحسن بن علي، فقد وضع الصديق مع مستشاريه من الصحابة خطوطاً رئيسة للخطة الحربية التي سار عليها، وقد كانت هذه الخطة المحكمة عاملاً من عوامل نزول النصر والتمكين من الله ﷻ للمسلمين، ومن هذه الخطوط:

- عدم الإيغال في بلاد العدو حتى تدين للمسلمين.

---

(1) الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص 87.
(2) العقال: هو الحبل الذي يعقل به البعير.
(3) البخاري رقم: 6924.
(4) الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبو بكر الصديق، ص 329 إلى 365.

- التعبئة وحشد القوات.
- تنظيم عملية الإمداد للجيوش.
- تحديد الهدف من الحرب.
- إعطاء الأفضلية لمسارح العمليات.
- عزل ميدان المعركة.
- التطور في أساليب القتال.
- سلامة خطوط الاتصال مع القادة.
- ذكاء الخليفة وفطنته[1]. فقد امتازت الخطط الحربية الإسلامية في بداية الفتوحات بوجود العقل المدبر، ذي الفطنة والذكاء والكياسة والفراسة، وهو الصديق، وقد ساعد أبو بكر على فهمه الواسع للتخطيط الحربي طول ملازمته للنبي ﷺ، فقد تربى على تعليمه وتوجيهاته.

فكسب علوماً شتى، وخبرات متنوعة، فقام بعد رحيل رسول الله ﷺ في مقام الخلافة خير قيام، فحمل البصيرة الواعية، وزود الجيوش بالنصائح الغالية، وأرسل الإمدادات في أوقاتها تسعف المجاهدين، وتمدهم بالهمة والعزيمة الماضية[2]. إن الحسن بن علي رضي الله عنه تربى على كتاب الله وهدي رسوله، وتشرّب هدي الخلفاء الراشدين المهديين والذين في مقدمتهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

ثانياً: في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

كان عمر رضي الله عنه شديد الإكرام لآل رسول الله ﷺ وإيثارهم حتى على أبنائه، وأسرته، وله في ذلك مواقف كثيرة منها:

1 - أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر:

جاء فيما رواه الحسين بن علي رضي الله عنه: إن عمر قال لي ذات يوم: إي بني لو جعلت تأتينا وتغشانا؟ فجئت يوماً وهو خال بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلقيني بعد فقال: يا بني لم أراك تأتينا؟ قلت: جئت وأنت خال بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع، فرجعت فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، إنما أنبت في رؤوسنا ما ترى: الله ثم أنتم، ووضع يده على رأسه[3].

---

(1) الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبو بكر الصديق، ص 454 إلى 45.
(2) تاريخ الدعوى الإسلامية، ص 336.
(3) المرتضى، ص 11، كنز العمال (7/ 105) الإصابة (1/ 133).

2 - والله ما هنأ لي ما كسوتكم:

روى ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه علي بن الحسين، قال: قدم على عمر حلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة ﷺ يتخطيان الناس، ليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب صار بين عينيه ثم قال: والله ما هنأ لي ما كسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء كبرت عنهما وصغرا عنها، ثم كتب إلى والي اليمن أن ابعث بحلتين لحسن وحسين وعجل، فبعث إليه بحلتين فكساهما[1].

3 - تقديم الحسن والحسين وبني هاشم في العطاء:

عن أبي جعفر: أنه لما أراد عمر أن يفرض للناس بعدما فتح الله عليه، وجمع ناس من أصحاب النبيﷺ، فقال عبد الرحمٰن بن عوف ﷺ: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله بالأقرب من رسول اللهﷺ ومن بني هاشم رهط رسول اللهﷺ، وفرض للعباس، ثم لعلي، حتى والى ما بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بني عدي ابن كعب، فكتب من شهد بدراً من بني هاشم، ثم من شهد بدراً من بني أمية بن عبد شمس، ثم الأقرب، فالأقرب، ففرض الأعطيات لهم[2]، وألحق الحسن والحسين بفريضة أبيهما مع أهل بدر لقرابتهما من رسول اللهﷺ، ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم[3]. وفي هذه القصة تظهر حقيقة محبة عمر لآل البيت عموماً والحسن والحسين خصوصاً، حيث خصهم بأن جعلهم مع الطبقة الأولى من سادات الصحابة في العطاء، وما ذلك إلا محض المحبة لهما وتقديراً لهما من مكانتهما من رسول اللهﷺ.

4 - معاملة عمر بن الخطاب للسيدة فاطمة والدة الحسن ﷺ بعد وفاة رسول اللهﷺ:

عن أسلم العدوي قال: لما بويع لأبي بكر بعد النبيﷺ كان علي والزبير بن العوام يدخلان على فاطمة فيشاورانها، فبلغ عمر فدخل على فاطمة، فقال: يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك، وكلمها، فدخل علي والزبير على فاطمة فقالت: انصرفا راشدين، فما رجعا إليهما حتى بايعا[4]، وهذا هو الثابت الصحيح والذي مع صحة سنده ينسجم مع روح ذلك الجيل وتزكية الله له.

(1) المرتضى، ص 11، الإصابة (1/ 106).
(2) الخراج لأبي يوسف، ص 24، 25 المرتضى، ص 118.
(3) تاريخ دمشق الكبير (14/ 6).
(4) أخرجه ابن أبي شيبة: المصنف (14/ 567) إسناده صحيح.

وقد زاد رواة الشيعة الإمامية في هذه الرواية واختلقوا إفكاً وبهتاناً وزوراً، وقالوا بأن عمر قال: إذا اجتمع عندك هؤلاء النفر أحرق عليهم هذا البيت، لأنهم أرادوا شق عصى المسلمين بتأخرهم عن البيعة ثم خرج عنها، فلم يلبث أن عادوا إليها، فقالت لهم: تعلمون أن عمر جاءني وحلف بالله لأن أنتم عدتم إلى هذا البيت ليحرقنه عليكم، وايم الله إنه ليصدقن فيما حلف عليه، فانصرفوا عني فلا ترجعوا إليّ، ففعلوا ذلك، ولم يرجعوا إليها إلا بعدما بايعوا[1].

وهذه القصة الباطلة لم تثبت عن عمر ﷺ، ودعوى أن عمر ﷺ همّ بإحراق بيت فاطمة ﷺ من الأكاذيب، وقد أوردها مع أكاذيب أخرى الطبرسي في كتابه (دلائل الإمامة)[2]، عن جابر الجعفي، وهو كذاب باتفاق أئمة الحديث كما في الميزان الذهبي[3]، وتهذيب التهذيب[4].

وزعم بعض الإمامية أن عمر ضرب فاطمة حتى أسقط ولدها محسناً وهو في بطنها، وهذه من الأكاذيب التي لا أساس لها من الصحة، وما علموا أنهم يطعنون في علي ﷺ وذلك باتهامه بالجبن والسكوت عن عمر وهو من أشجع أصحاب النبي ﷺ[5]، بل إن بعض عقلاء الشيعة أنكر صحة هذا الهذيان والزور[6]. علماً بأن محسناً ولد في حياة النبي ﷺ كما ثبت ذلك بالرواية الصحيحة في مسند الإمام أحمد كما سبق.

5 - زواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب:

كان عمر يكن لأهل البيت محبة خاصة لا يكنها لغيرهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ، ولما أوصى به رسول الله ﷺ من إكرام أهل البيت ورعاية حقوقهم، فمن هذا الباعث خطب عمر أم كلثوم ابنة علي وفاطمة رضوان الله عليهم وتودد إليه في ذلك قائلاً: فوالله ما على الأرض رجل يرصد من حسن صحبتها ما أرصده، فقال علي: قد فعلت، فأقبل عمر إلى المهاجرين، وهو مسرور قائلاً: رفئوني.. ثم ذكر أن سبب زواجه منها ما سمعه من النبي ﷺ: «**كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي**»، فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ سبب[7]، وقد قام الأستاذ أبو معاذ الإسماعيلي في كتابه (زواج عمر بن

---

(1) عقائد الثلاثة والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني (1/ 140).
(2) دلائل الإمامة، ص 26، نقلاً عن عقائد الثلاثة والسبعين (1/ 140).
(3) الميزان الذهبي (1/ 279).
(4) تهذيب التهذيب(2/ 47).
(5) حقبة من التاريخ، ص 224.
(6) مختصر التحفة الاثني عشرية، ص 252.
(7) إسناده حسن، أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 142)، صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبي متعقباً: منقطع وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (3/ 173) وقال: أورده الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهناك من ضعفه.

الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب حقيقة وليس افتراء) بتتبع مراجع ومصادر الشيعة وأهل السنة فيما يتعلق بهذا الزواج الميمون، وقد ذكرت شيئاً من سيرتها ومواقفها في حياتها في عهد الفاروق في كتابي (فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، شخصيته وعصره).

6 - في غنائم المدائن:

عندما فتحت المدائن[1]، عام 16هـ جاءت الأموال منها فقام عمر ﷺ بإعطاء الحسن والحسين ﷺ ألف درهم لكل واحد منهما وأعطى ابنه عبد الله خمسمائة[2]، وفي هذه الحادثة تأكيد على محبة عمر للحسن والحسين وتقديمه لهما.

*** تأثر الحسن بن علي بالفقه الراشدي للفاروق:**

قامت دولة الفاروق على فقه الخلافة الراشدة وكان - بعد الله وتوفيقه - لعبقرية الفاروق أثر في تطوير مؤسسات الدولة والاجتهاد في النوازل الفقهية، وإدارة الأزمات، ومما ساعد على تأثر الحسن بن علي بثقافته، وأدبيات عهد الفاروق؛ قرب والده أمير المؤمنين علي من الفاروق، فقد كان علي ﷺ عضواً بارزاً في مجلس شورى الدولة العمرية، بل كان هو المستشار الأول، فقد كان عمر ﷺ يعرف لعلي فضله، وفقهه، وحكمته، وكان رأيه فيه حسناً، فقد ثبت فيه قوله فيه: أقضانا علي[3]، وكان لعلي اجتهادات في الأمور القضائية، والمالية والإدارية في عهد الفاروق أخذ بها أمير المؤمنين عمر، وكان الفاروق يستشير عليًا في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي موضع التقويم الهجري، وغير ذلك من الأمور[4].

وكان علي ﷺ طيلة حياة عمر مستشاراً ناصحاً لعمر محباً له خائفاً عليه، وكان عمر يحب علياً وكانت بينهما مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك يأبى أعداء الإسلام إلا أن يزوروا التاريخ، ويقصوا بعض الروايات التي تناسب أمزجتهم ومشاربهم ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن: أن كل واحد منهم كان يتربص بالآخر الدوائر لينقضّ عليه، وكل أمورهم كانت تجري من وراء الكواليس[5]!! إن من أبرز ما يلاحظه المتأمل في خلافة عمر تلك

---

(1) المدائن: بلدة بينها وبين بغداد ستة فراسخ، فتحت على يد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(2) مقامات العلماء، للغزالي، ص 161.

(3) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص 1102.

(4) علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين، ص 99.

(5) المصدر السابق نفسه، ص 99.

الخصوصية في العلاقة وذلك التعاون المتميز الصافي، بين عمر وعلي ﷺ، فقد كان علي هو المستشار الأول لعمر في سائر القضايا والمشكلات، وما اقترح علي على عمر رأياً إلا واتجه عمر إلى تنفيذه عن قناعة، وكان علي ﷺ يمحضه النصح في كل شؤونه وأحواله[1]، فلا شك أن تلك العلاقة بين علي وعمر ﷺ لها انعكاساتها الثقافية والعلمية والتربوية على الحسن وأبناء ذلك الجيل.

والمواقف التي تدل على قوة العلاقة بين عمر وعلي كثيرة منها:

*** كساني هذا الثوب أخي وخليلي:**

خرج علي وعليه برد عدني فقال: كساني هذا الثوب أخي وخليلي وصفيي وصديقي أمير المؤمنين عمر[2]، وفي رواية عن أبي السفر قال: رؤي على علي بن أبي طالب ﷺ برد كان يكثر لبسه قال: فقيل: يا أمير المؤمنين إنك لتكثر لبس هذا البرد؟ فقال: نعم، إن هذا كساني خليلي وصفيي عمر بن الخطاب ﷺ، ناصح الله فنصحه، ثم بكى[3]. ومن هذه القصص وأمثالها عرف الحسن حقيقة محبة علي وأهل البيت لعمر ومحبة عمر لهم ﷺ.

*** ما قاله علي في عمر بعد استشهاده:**

قال ابن عباس كما في صحيح البخاري: وُضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل أخذ منكبي، إذا هو علي بن أبي طالب، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كنت كثيراً ما أسمع النبي ﷺ يقول: «ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»[4].

*** إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك:**

لما فرغ علي من وقعه الجمل، ودخل البصرة، وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة، سار من البصرة إلى الكوفة، فدخلها يوم الاثنين، لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكره لذلك، فنزل في الرحبة وصلى في الجامع الأعظم ركعتين[5].

---

(1) فقه السيرة النبوية، للبوطي، ص 529.

(2) المختصر من كتاب: الموافقة، ص 140.

(3) المصنف لابن أبي شيبة (12/ 29).

(4) البخاري: رقم: 3685.

(5) تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كنعان، ص 383.

* حب أهل البيت لعمر ﷺ :

إن من دلالة محبة أهل البيت لعمر ﷺ تسمية أبنائهم باسمه حباً وإعجاباً بشخصيته، وتقديراً لما أتى به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة، ولما قدم إلى الإسلام من الخدمات الجليلة، وإقراراً بالصلات الودية الوطيدة والتي تربطه بأهل بيت النبوة، والرحم والصهر القائم بينه وبينهم، فأول من سمى ابنه باسمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، سمى ابنه من أم حبيب بنت ربيعة البكرية عمر[1]، وقد جاء في كتاب صاحب الفصول، تحت ذكر أولاد علي بن أبي طالب: وعمر من التغلبية وهي الصهباء بنت ربيعة من السبي الذي أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر، وعمّر عمر هذا حتى بلغ خمساً وثمانين سنة فحاز نصف ميراث علي ﷺ ، وذلك أن جميع إخوته وأشقائه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا جميعهم قبله مع الحسين ﷺ - يعني أنه لم يقتل معهم - بالطف فورثهم[2]، هذا وتبعه الحسن في ذلك الحب لعمر بن الخطاب ﷺ فسمّى أحد أبنائه عمر أيضاً[3]، وكذلك الحسين بن علي سمّى عمر، ومن بعد الحسين ابنه علي الملقب بزين العابدين سمّى أحد أبنائه باسم عمر[4]، وكذلك موسى ابن الصادق الملقب بالكاظم سمى أحد أبنائه باسم عمر[5]، فهؤلاء الأئمة من أهل البيت الذين ساروا على هدي النبي ﷺ ومعالم منهج أهل السنة والجماعة بسيرته العطرة يظهرون لعمر الفاروق ما يكنونه في صدورهم من حبهم وولائهم له بعد وفاته بمدة، وقد جرى هذا الاسم - وكذلك أبو بكر وعثمان - في ذرية أهل البيت ممن ساروا على مذهب الحق، وهو منهج أهل السنة والجماعة إلى يومنا هذا، ونجد أسماء الصحابة وأمهات المؤمنين في البيوت الهاشمية التي التزمت بالكتاب والسنة، فقد سموا طلحة، وعبد الرحمٰن وعائشة وأم سلمة، ونحن ندعو الشيعة اليوم للاقتداء بعلي والحسن والحسين وسائر الأئمة من آل البيت فيحبون أنصار دين الله وأصحاب رسوله، فيسمون بعض أبنائهم وبناتهم بأسماء الخلفاء الراشدين، وأمهات المؤمنين. . .[6] نرجو ذلك.

* قول عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في عمر:

عن حفص بن قيس، قال: سألت عبد الله بن الحسن عن المسح على الخُفَّين، فقال: امسح، فقد مسح عمر بن الخطاب ﷺ ، قال: فقلت: إنما أسألك أنت تمسح؟ قال: ذاك

(1) تاريخ اليعقوبي (2/ 213) الشيعة وأهل البيت، ص 133.
(2) الفصول المهمة، ص 143، الشيعة وأهل البيت، ص 133.
(3) الشيعة وأهل البيت، ص 133.
(4) المصدر السابق نفسه، ص 134.
(5) المصدر السابق نفسه، ص 135.
(6) اذهبوا فأنتم الرافضة، عبد العزيز الزيبري، ص 230.

أعجز لك، أخبرك عن عمر وتسألني عن رأيي، فعمر كان خيراً مني ومن ملء الأرض. فقلت: يا أبا محمد، فإن أناساً يزعمون أن هذا منكم تقية، قال: فقال لي - ونحن بين القبر والمنبر-: اللهم إن هذا قولي في السر والعلانية، فلا تسمعنّ عليَّ قول أحد بعدي. ثم قال: من هذا الذي يزعم أن علياً ﷺ كان مقهوراً، وأن رسول الله ﷺ أمره بأمر ولم ينفذه؟ وكفى بإزراء على علي ومنقصة أن يزعم أن رسول الله ﷺ أمره بأمره ولم ينفذه[1].

ثالثاً: في عهد عثمان بن عفان ﷺ:

كان ذو النورين على صلة وثيقة بالدعوة الإسلامية من سنتها الأولى، فلم يفته من أخبار النُّبوَّة الخاصَّة والعامَّة في حياة النبي ﷺ، ولم يفته شيء بعدها من أخبار الخلافة في حياة الشيخين، ولم يفته بعبارة أخرى شيء مما نسمّيه اليوم بأعمال التأسيس في الدولة الإسلامية، وكان المنهج التربوي الذي تربى عليه عثمان بن عفان وكل الصحابة الكرام: القرآن الكريم، المنزّل من عند رب العالمين، كما أن الرافد القوي الذي أثر في شخصية عثمان بن عفان وصقل مواهبه وفجر طاقته، وهذب نفسه هو مصاحبته لرسول الله ﷺ، وتتلمذه على يديه في مدرسة النبوة، ذلك: أن عثمان ﷺ لازم الرسول ﷺ في مكة بعد إسلامه كما لازمه في المدينة بعد هجرته، فقد نظم عثمان نفسه، وحرص على التلمذة في حلقات مدرسة النبوة في فروع شتى من المعارف والعلوم على يدي معلم البشرية، وهاديها، والذي أدبه ربُّه، فأحسن تأديبه.

ولم يكن عثمان بن عفان ﷺ ممن تخلفوا عن بدر لتقاعس منه أو هروب ينشده، كما يزعم أصحاب الأهواء ممن طعن عليه في تغيبه عن بدر، فهو لم يقصد مخالفة الرسول ﷺ، لأن الفضل الذي حازه أهل بدر في شهود بدر طاعة الرسول ومتابعته، وعثمان ﷺ خرج فيمن خرج مع الرسول ﷺ فرده ﷺ للقيام على ابنته رقية التي اشتد بها المرض وماتت بسبب ذلك، فكان عثمان في أجلّ فرض لطاعته لرسول الله ﷺ، وتخلفه، وقد ضرب له بسهمه، وأجره، وشاركهم في الغنيمة والفضل والأجر لطاعته المولى ﷻ ورسوله، وانقياده لهما.

وفي الحديبية ذكر المحب الطبري اختصاص عثمان بعدة أمور، منها: اختصاصه بإقامة يد النبي ﷺ الكريمة مقام يد عثمان لما بايع الصحابة، وعثمان غائب، واختصاصه بتبليغ رسالة رسول الله ﷺ إلى من بمكة أسيراً من المسلمين، وذكر شهادة النبي ﷺ في عثمان بموافقته في ترك الطواف لما أرسله في تلك الرسالة[2]، وفي فتح مكة قَبِل رسول الله ﷺ

(1) النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب، محمد عبد الواحد المقدسي، ص 57.
(2) المناقب النضرة في المناقب العشرة، ص 490، 491.

شفاعة عثمان بن عفان في عبد الله بن أبي السرح في فتح مكة[1].

ومن حياة عثمان ﷺ الاجتماعية في المدينة: زواجه من أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة رقيّة بنت رسول الله، ووفاة عبد الله بن عثمان، ثم وفاة أمّ كلثوم ﷺ.

ومن مساهمته الاقتصادية في بناء الدولة: شراء بئر رومة بعشرين ألف درهم، وجعلها عثمان ﷺ للغني والفقير وابن السبيل، وتوسعة المسجد النبوي، وإنفاقه الكبير على جيش العسرة، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضله مع غيره، ومنها ما ورد في فضله وحده، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن الفتنة التي يقتل فيها عثمان، وكان ﷺ من الصحابة وأهل الشورى الذين يؤخذ رأيهم في أمهات المسائل في عهد الصديق، فهو ثاني اثنين في الحظوة عند الصديق، فعمر بن الخطاب للحزم والشّدائد، وعثمان للرّفق والأناة، وكان عمر وزير الخلافة الصديقية، وكان عثمان أمينها العام وكاتبها الأكبر، وكان ﷺ ذا مكانة عند عمر، فكانوا إذا أرادوا أن يسألوا عمر عن شيء رموه بعثمان وبعبد الرحمٰن بن عوف، وكان عثمان يسمّى الرّديف - والرّديف بلسان العرب: هو الذي يكون بعد الرّجل - والعرب تقول ذلك للرّجل الذي يرجونه بعد رئيس، وكانوا إذا لم يقدر هذان على عمل شيء، ثلثوا بالعبّاس[2].

وكان الحسن بن علي ﷺ في عهد عثمان في عز الشباب وعنفوانه، فقد كان في سن يسمح لصاحبها أن يستوعب ما يدور حوله ويتعلم من الأحداث ومن سياسة الخليفة الراشد عثمان ومن حوله من أصحاب رسول الله ﷺ.

ومن أهم الدروس التي استوعبها الحسن بن علي هي:

1 - الفقه العمري في الاستخلاف:

استمرّ اهتمام الفاروق ﷺ بوحدة الأمة، ومستقبلها حتّى اللحظات الأخيرة من حياته، رغم ما كان يعانيه من آلام جراحاته البالغة، وهي بلا شك لحظات خالدة، تجلّى فيها إيمان الفاروق العميق، وإخلاصه وإيثاره[3]، وقد استطاع الفاروق في تلك اللحظات الحرجة أن يبتكر طريقة جديدة لم يسبق إليها في اختيار الخليفة الجديد، وكانت دليلاً ملموساً، ومعْلماً واضحاً على فقهه في سياسة الدّولة الإسلامية، لقد مضى قبله الرّسول ﷺ، ولم يستخلف بعده أحداً بنصٍّ صريح، ولقد مضى أبو بكر الصّدّيق، واستخلف الفاروق بعد مشاورة كبار الصّحابة، ولمّا طُلب من الفاروق أن يستخلف وهو على فراش الموت، فكر في الأمر مليًا،

(1) أضواء البيان في تاريخ القرآن، صابر أبو سليمان، ص 79.
(2) تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان للصّلابي، ص 274.
(3) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني، ص 161.

وقرّر أن يسلك مسلكاً آخر يتناسب مع المقام، فرسول الله ﷺ ترك النّاس، وكلهم مقرٌّ بأفضلية أبي بكر وأسبقيته عليهم، فاحتمال الخلاف كان نادراً، وخصوصاً أن النبي ﷺ وجّه الأمة قولاً وفعلاً إلى أن أبا بكر أولى بالأمر من بعده، والصِّدِّيق لما استخلف عمر، كان يعلم: أنّ عند الصحابة أجمعين قناعة بأنّ عمر أقوى، وأفضل من يحمل المسؤولية بعده، فاستخلفه بعد مشاورة كبار الصحابة، ولم يخالف رأيه أحد منهم، وحصل الإجماع على بيعة عمر[1].

وأما طريقة انتخاب الخليفة الجديد، فتعتمد على جعل الشورى في عدد محصور، وقد حصر ستّة من صحابة رسول الله ﷺ كلهم يصلحون لتولّي الأمر، ولو أنهم يتفاوتون، ويحدّد لهم طريقة الانتخاب، ومدّته، وعدد الأصوات الكافية لانتخاب الخليفة، وحدّد الحكم في المجلس، والمرجّح إن تعادلت الأصوات، وأمر مجموعة من جنود الله لمراقبة سير الانتخابات في المجلس، وعقاب من يخالف أمر الجماعة، ومنع الفوضى بحيث لا يسمحون لأحد يدخل، أو يسمع ما يدور في مجلس أهل الحلّ والعقد[2].

وهذا بيان ما أجمل في الفقرات السّابقة:

أ - العدد الذي حدده للشُّورى، وأسماؤهم:

أمّا العدد فهو ستة، وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقّاص، والزبير بن العوّام، وطلحة بن عبيد الله ﷺ جميعاً، وترك سعيد بن زيد، وهو من العشرة المبشّرين بالجنة، ولعله تركه لأنه من قبيلة بني عديّ[3]، وكان عمر ﷺ حريصاً على إبعاد الإمارة عن أقاربه، مع أنّ فيهم من هو أهلٌ لها، فهو يُبعد قريبه سعيد بن زيد عن قائمة المرشّحين للخلافة[4].

ب - طريقة اختيار الخليفة:

أمرهم: أن يجتمعوا في بيت أحدهم ويتشاوروا، وفيهم عبد الله بن عمر يحضر معهم مشيراً فقط، وليس له من الأمر شيء، ويصلّي بالناس أثناء التشاور صهيب الرُّوميُّ، وقال له: أنت أمير الصَّلاة في هذه الأيام الثلاثة. حتى لا يولّي إمامة الصلاة أحداً من السِّتّة، فيصبح هذا ترشيحاً من عمر له بالخلافة[5]، وأمر المقداد بن الأسود، وأبا طلحة الأنصاريَّ أن يرقبا سير الانتخابات[6].

---

(1) أوليات الفاروق للقرشي، ص 122.
(2) أوليّات الفاروق،، ص 124.
(3) البداية والنهاية (7/ 142).
(4) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص 98.
(5) الخلافة والخلفاء الراشدون للبهنساوي، ص 213.
(6) أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، ص 648.

ج - مدّة الانتخابات أو المشاورة:

حدَّدها الفاروق ﷺ بثلاث أيّام، وهي فترة كافية، وإن زادوا عليها فمعنى ذلك أن شقَّة الخلاف ستَّسع، ولذلك قال لهم: لا يأتي اليوم الرّابع إلا وعليكم أمير[1].

د - عدد الأصوات الكافية لاختيار الخليفة:

أخرج ابن سعد بإسنادٍ رجاله ثقات: أنَّ عمر ﷺ قال لصهيب: صلِّ بالناس ثلاثاً، وليخلُ هؤلاء الرَّهط في بيت، فإذا اجتمعوا على رجل فمن خالفهم فاضربوا رأسه[2]، فعمر ﷺ أمر بقتل من يريد أن يخالف هؤلاء الرّهط ويشقَّ عصا المسلمين ويفرِّق بينهم، عملاً بقوله ﷺ: «**من أتاكم وأمركم جميع على رجل منكم يريد أن يشقَّ عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه**»[3]، وما جاء في كتب التَّاريخ من أن عمر ﷺ أمرهم بالاجتماع، والتَّشاور وحدّد لهم أنه إذا اجتمع خمسة منهم على رجل وأبى أحدهم، فليضرب رأسه بالسَّيف، وإن اجتمع أربعة، ورضوا رجلاً منهم، وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما[4]، فهذه من الرِّوايات التي لا تصح سنداً، فهي من الغرائب التي ساقها أبو مخنف - الرَّافضي الشيعي - مخالفاً فيها النصوص الصحيحة وما عرف من سير الصَّحابة ﷺ، فما ذكر أبو مخنف من قول عمر لصهيب: وقم على رؤوسهم - أي: أهل الشورى - فإن اجتمع خمسة، ورضوا رجلاً وأبى واحد، فاشدخ رأسه بالسَّيف، وإن اتَّفق أربعة، فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما[5]: فهذا قول منكر، وكيف يقول عمر ﷺ هذا، وهو يعلم: أنَّهم هم الصَّفوة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو الذي اختارهم لهذا الأمر لعلمه بفضلهم وقدرهم[6].

وقد ورد عن ابن سعد: أن عمر قال للأنصار: «أدخلوهم بيتاً ثلاثة أيام، فإن استقاموا وإلا فادخلوا عليهم فاضربوا أعناقهم»[7]، وهذه الرِّواية منقطعة، وفي إسنادها «سماك بن حرب» وهو ضعيف، وقد تغير بآخره[8].

هـ - الحَكَم في حال الاختلاف:

لقد أوصى بأن يحضر عبد الله بن عمر معهم في المجلس، وأن ليس له من الأمر شيء، ولكن قال لهم: فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم، فحكِّموا عبد الله بن عمر، فأيُّ

---

(1) الطبقات لابن سعد (3/ 364).
(2) المصدر السابق نفسه (3/ 364).
(3) مسلم (3/ 1480).
(4) تاريخ الطبري (5/ 226).
(5) المصدر السابق نفسه.
(6) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطَّبري، د. يحيى، ص 175.
(7) الطبقات لابن سعد (3/ 342).
(8) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص 176.

الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرَّحمن بن عوف، ووصف عبد الرَّحمن بن عوف بأنه مسدَّدٌ رشيدٌ، فقال عنه: ونعم ذو الرأي عبد الرَّحمن بن عوف مسدَّدٌ رشيدٌ، له من الله حافظ، فاسمعوا منه[1].

و - جماعة من جنود الله تراقب الاختيار، وتمنع الفوضى:

طلب عمر أبا طلحة الأنصاريَّ وقال له: يا أبا طلحة: إن الله - عزّ وجلَّ - أعزَّ الإسلام بكم، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار، فاستحثَّ هؤلاء الرَّهط، حتّى يختاروا رجلاً منهم[2]. وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حفرتي، فاجمع هؤلاء الرَّهط في بيت حتَّى يختاروا رجلاً منهم[3].

ز - جواز تولية المفضول مع وجود الأفضل:

ومن فوائد الشُّورى: جواز تولية المفضول مع وجود الأفضل، لأنَّ عمر جعل الشُّورى في ستة أنفس مع علمه: أنَّ بعضهم كان أفضل من بعض، ويؤخذ هذا من سيرة عمر في أمرائه الذين كان يؤمرهم في البلاد، حيث كان لا يراعي الفضل في الدِّين فقط، بل يضمُّ إليه مزيد المعرفة بالسِّياسة مع اجتناب ما يخالف الشَّرع منها، فاستخلف معاوية، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص مع وجود من هو أفضل من كلٍّ منهم في أمر الدِّين والعلم كأبي الدَّرداء في الشَّام، وابن مسعود في الكوفة[4].

ح - جمع عمر بين التعيين، وعدمه:

عرف عمر أن الشُّورى لن تكون بين الستة فقط، وإنّما ستكون في أخذ رأي الناس في المدينة فيمن يتولَّى الخلافة، حيث جعل لهم أمد ثلاثة أيَّام، فيمكنهم من المشاورة والمناظرة لتقع ولاية من يتولى بعده عن اتِّفاق من معظم الموجودين حينئذ ببلده التي هي دار الهجرة، وبها معظم الصَّحابة، وكلُّ من كان ساكناً في بلد غيرها كان تبعاً لهم فيما يتَّفقون عليه، فما زالت المدينة حتى سنة 23هـ مجمع الصَّحابة، بل لأنَّ كبار الصَّحابة فيها حيث استبقاهم عمر بجانبه، ولم يأذن لهم بالهجرة إلى الأقاليم المفتوحة[5].

ط - أهل الشورى أعلى هيئة سياسية:

إنَّ عمر ﷺ أناط بأهل الشُّورى وحدهم اختيار الخليفة من بينهم، ومن المهمِّ أن نشير

(1) تاريخ الطبري (5/ 325).
(2) المصدر السابق نفسه، (5/ 325).
(3) المصدر السابق نفسه.
(4) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (2/ 97).
(5) المصدر السابق نفسه، (2/ 97).

إلى أنَّ أحداً من أهل الشُّورى لم يعارض هذا القرار الذي اتّخذه عمر، كما أنَّ أحداً من الصَّحابة الآخرين لم يثر أيَّ اعتراض عليه، ذلك ما تدلُّ عليه النُّصوص التي بين أيدينا، فنحن لا نعلم: أنَّ اقتراحاً آخر قد صدر عن أحد من النّاس في ذلك العصر، أو أنَّ معارضة ثارت حول أمر عمر خلال السَّاعات الأخيرة من حياته، أو بعد وفاته، وإنّما رضي الناس كافة عن هذا التدبير ورأوا فيه مصلحة لجماعة المسلمين، وفي وسعنا أن نقول: إن عمر قد أحدث هيئة سياسية عليا، مهمَّتها انتخاب رئيس الدَّولة، أو الخليفة، وهذا التنظيم الدُّستوري الجديد، الذي أبدعته عبقرية عمر لا يتعارض مع المبادئ الأساسية التي أقرَّها الإسلام، ولا سيَّما فيما يتعلق بالشُّورى، لأنَّ الغيرة من حيث النتيجة للبيعة العامَّة التي تجري في المسجد الجامع.

وعلى هذا لا يتوجَّه السُّؤال الذي قد يرد على بعض الأذهان، وهو: من أعطى عمر هذا الحقَّ؟ ما هو مستند عمر في هذا التدبير؟ ويكفي أن نعلم أنَّ جماعة من المسلمين قد أقرَّت هذا التدبير ورضيت به، ولم يُسمع صوت اعتراض عليه، حتى نتأكد: أنَّ الإجماع - وهو من مصادر التشريع - قد انعقد على صحته، ونفاذه[1]، ولا ننسى أن عمر خليفة راشد، كما ينبغي أن نؤكِّد: أن أهل الشُّورى أعلى هيئة سياسية قد أقرَّه نظام الحكم في الإسلام في العهد الرَّاشدي، كما أنّ: الهيئة التي سمّاها عمر، تمتّعت بمزايا لم يتمتع بها غيرها من جماعة المسلمين، وهذه المزايا مُنحت لها من الله، وبلَّغها الرسول، فلا يمكن عند المؤمنين أن يبلغ أحد من المسلمين مبلغ هؤلاء العشرة من التّقوى والأمانة.

هكذا ختم عمر ﷺ حياته، ولم يشغله ما نزل به من البلاء ولا سكرات الموت عن تدبير أمر المسلمين، وأرسى نظاماً صالحاً للشّورى لم يسبقه عليه أحد، ولا يُشكُّ: أنّ أصل الشُّورى مقرّرٌ في القرآن الكريم، ، والسُّنّة القوليّة والفعلية، وقد عمل بها رسول الله ﷺ وأبو بكر، ولم يكن عمر مبتدعاً بالنسبة للأصل، ولكنَّ الذي عمله عمر هو تعيين الطّريقة التي يختار بها الخليفة، وحصر عدد معين جعلها فيهم، وهذا لم يفعله الرّسول ﷺ، ولا الصِّدِّيق ﷺ، بل أوَّل من فعل ذلك عمر، ونِعْمَ ما فعل، فقد كانت أفضل الطُّرق المناسبة لحال الصَّحابة في ذلك الوقت[2]، ولا شك بأن هذا التطوير الرائع لفقه الخلافة والوعي السياسي وما تتطلبه المرحلة من اجتهادات عملية، ساهم في تثقيف وتعليم الحسن بن علي ﷺ وأعطاه فهماً واسعاً ونظراً ثاقباً فيما بعد، مما جعله يختار أسلوباً جديداً لم يسبق إليه، ساهم في توحيد الأمة بعد الفرقة والاختلاف، فالشخصيات الفذَّة والعبقريات المبدعة لا تأتي من فراغ وإنما

(1) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ للقاسمي (1/ 227، 228).
(2) أوليّات الفاروق، ص 127.

هي حصيلة لخبرة واسعة، واستفادة كبيرة من جهود من سبقها في البناء الحضاري الرباني الراشدي.

2 - منهج عبد الرحمٰن بن عوف في إدارة الشُّورى:

ومما عاصره الحسن بن علي في أمر بيعة عثمان: منهج عبد الرحمٰن بن عوف في إدارة الشورى والذي تمثل في الخطوات التالية:

أ - اجتماع الرّهط للمشاورة:

لم يكد يفرغ النَّاس من دفن عمر بن الخطاب ﷺ حتَّى أسرع رهط الشُّورى وأعضاء مجلس الدَّولة الأعلى إلى الاجتماع في بيت عائشة أمّ المؤمنين ﷺ وقيل: إنَّهم اجتمعوا في بيت فاطمة بنت قيس الفهْرية أخت الضحاك بن قيس، ليقضوا في أعظم قضيَّة عرضت في حياة المسلمين - بعد وفاة عمر - وقد تكلَّم القوم وبسطوا آراءهم، واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمة سواء، رضيها الخاصَّة والكافة من المسلمين[1].

ب - عبد الرحمٰن يدعو إلى التنازل:

عندما اجتمع أهل الشُّورى قال لهم عبد الرحمٰن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزُّبير: جعلت أمري إلى عليّ. وقال طلحة: جعلت أمري إلى عثمان. وقال سعد: جعلت أمري إلى عبد الرحمٰن بن عوف. وأصبح المرشحون ثلاثة، علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمٰن بن عوف. فقال عبد الرحمٰن: أيكما تبرّأ من هذا الأمر، فنجعله إليه، والله عليه وكذا الإسلام لينظرنَّ أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمٰن بن عوف: أفتجعلونه إليَّ والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم[2].

جـ - تفويض ابن عوف بإدارة عمليَّة الشُّورى:

بدأ عبد الرحمٰن بن عوف ﷺ اتصالاته ومشاوراته فور انتهاء اجتماع المرشَّحين السِّتَّة صباح يوم الأحد، واستمرَّت مشاوراته واتِّصالاته ثلاثة أيام كاملة، حتى فجر يوم الأربعاء الرَّابع من المحرم، وهو موعد انتهاء المهلة التي حدّدها لهم عمر، وبدأ عبد الرحمٰن بن عوف بعليّ بن أبي طالب، فقال له: إن لم أبايعك فأشر عليَّ، فمن ترشح للخلافة؟ فقال عليّ: عثمان بن عفّان، وذهب عبد الرحمٰن إلى عثمان وقال له: إن لم أبايعك، فمن ترشّح للخلافة؟ فقال عثمان: عليّ بن أبي طالب.. وذهب ابن عوف بعد ذلك إلى الصحابة الآخرين

(1) عثمان بن عفان، لصادق عرجون، ص 62، 63.

(2) البخاري، كتاب: فضائل أصحاب النَّبي رقم: 3700.

واستشارهم، وكان يشاور كلَّ من يلقاه في المدينة من كبار الصَّحابة وأشرافهم، ومن أمراء الأجناد، ومن يأتي للمدينة، وشملت مشاوراته النِّساء في خدورهنَّ، وقد أبدين رأيهن، كما شملت الصِّبيان والعبيد في المدينة والمسلمين كانوا يشيرون بعثمان بن عفَّان، ومنهم من كان يشير بعليِّ بن أبي طالب ﷺ.

وفي منتصف ليلة الأربعاء، ذهب عبد الرحمٰن بن عوف إلى بيت ابن أخته: المسور بن مخرمة، فطرق البيت فوجد المسور نائماً، فضرب الباب حتى استيقظ، «فقال: أراك نائماً، فوالله ما اكتحلت هذه الثلاث بكبير نوم، انطلق فادع الزبير وسعداً. فدعوتهما له: فشاورهما ثمّ دعاني، فقال: ادع لي علياً، فدعوته، فناجاه حتَّى ابهارّ[1] الليل، ثم قام عليٌّ من عنده.. ثم قال: ادع لي عثمان، فدعوته فناجاه حتى فرّق بينهما المؤذِّن بالصُّبح[2].

د - الاتفاق على بيعة عثمان ﷺ:

وبعد صلاة صبح يوم البيعة، اليوم الأخير من شهر ذي الحجة 23هـ/ 6 نوفمبر 644م وكان صهيب الرُّومي الإمام، إذ أقبل عبد الرَّحمن بن عوف، وقد اعتمَّ بالعمامة التي عمَّمه بها رسول الله ﷺ، وكان قد اجتمع رجال الشورى عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد، منهم: معاوية أمير الشَّام، وعمير بن سعد أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجَّة مع عمر، وصاحبوه إلى المدينة[3].

وجاء في رواية البخاري: .. فلمَّا صلَّى للنَّاس الصُّبح، واجتمع أولئك الرَّهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجَّة مع عمر، فلمَّا اجتمعوا تشهَّد عبد الرحمٰن ثمّ قال: أمّا بعد: يا عليُّ: إني قد نظرت في أمر النَّاس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلنّ على نفسك سبيلاً. فقال[4]: أبايعك على سُنَّة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه عبد الرحمن، وبايعه الناس: المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد، والمسلمون[5]. وجاء في رواية صاحب التَّمهيد والبيان: أن عليَّ بن أبي طالب أوَّل من بايع بعد عبد الرحمٰن بن عوف[6].

(1) ابهارّ: أي: انتصف.
(2) البخاري، كتاب: الأحكام، رقم: 7207.
(3) شهيد الدَّار، ص 37، وهناك خلاف في تحديد تاريخ البيعة.
(4) فقال: أي عبد الرحمن مخاطباً عثمان.
(5) البخاري، كتاب: الأحكام، رقم: 7207.
(6) التمهيد والبيان، ص 26.

هـ - حكمة عبد الرحمٰن بن عوف في تنفيذ خطة الشُّورى:

نفّذ عبد الرحمٰن بن عوف خطة الشورى بما دلَّ على شرف عقله، ونبل نفسه وإيثاره مصلحة المسلمين العامة على مصلحته الخاصَّة ونفعه الفردي، وترك عن طواعية ورضا أعظم منصب يطمح إليه إنسان في الدنيا، ليجمع كلمة المسلمين، وحقق أوّل مظهر من مظاهر الشورى المنظمة في اختيار من يجلس على عرش الخلافة، ويسوس أمور المسلمين، فهو قد اصطنع من الأناة، والصبر، والحزم، وحسن التدبير ما كفل له النجاح في أداء مهمته العظمى، وقد كانت الخطوط التي اتخذها كالآتي:

* بسط برنامجه في أول جلسة عقدها مجلس الشورى في دائرة الزمن الذي حدّده لهم عمر، وبذلك أمكنه أن يحمل جميع أعضاء مجلس الشورى على أن يدلوا برأيهم، فعرف مذهب كل واحد منهم، فسار في طريقه على بينة من أمره.

* خلع نفسه وتنازل عن حقه في الخلافة، ليدفع الظُّنون ويستمسك بعروة الثِّقة الوثقى.

* أخذ في تعرُّف نهاية ما يصبو إليه كل واحد من أصحابه وشركائه في الشُّورى، فلم يزل يقلِّب وجوه الرَّأي معهم، حتى انتهى إلى شبه انتخاب جزئيٍّ، فاز فيه عثمان برأي سعد بن أبي وقاص، ورأي الزبير بن العوام، فلاحت له أغلبية آراء الأعضاء الحاضرين معه.

* عمد إلى معرفة كلٍّ واحد من الإمامين: عثمان، وعليٍّ في صاحبه بالنِّسبة إلى وزنه من سائر الرَّهط الذين رشَّحهم عمر، فعرف من كل واحد منهما: أنه لا يعدل صاحبه أحداً إذا فاته الأمر.

* أخذ في تعرُّف رأي مَنْ وراء مجلس الشُّورى من خاصَّة الأمَّة وذوي رأيها، ثمَّ من عامّتها وضعفائها، فرأى أنَّ معظم النَّاس لا يعدلون أحداً بعثمان، فبايع له وبايعه عامَّة الناس[1].

لقد تمكَّن عبد الرحمٰن بن عوف بكياسته، وأمانته، واستقامته، ونسيانه نفسه بالتخلِّي عن الطَّمع في الخلافة، والزُّهد بأعلى منصب في الدولة أن يجتاز هذه المحنة، وقاد ركب الشُّورى بمهارة وتجرد، مما جعله يستحقُّ أعظم التَّقدير[2].

قال الذَّهبي: ومن أفضل أعمال عبد الرَّحمن عزله نفسه من الأمر وقت الشُّورى، واختياره للأمَّة ممَّا أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتمَّ نهوض على جمع الأمَّة

(1) عثمان بن عفَّان ﷺ لصادق عرجون، ص 70، 71.

(2) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (10)، ص (255).

على عثمان، ولو كان محابياً فيها لأخذها لنفسه، أو لولّاها ابن عمّه وأقرب الجماعة إليه سعد ابن أبي وقّاص[1].

وبهذا تحقّقت صورة أخرى من صور الشُّورى في عهد الخلفاء الرَّاشدين وهي: الاستخلاف عن طريق مجلس الشُّورى، ليعيّنوا أحدهم بعد أخذ المشورة العامّة، ثمَّ البيعة العامة[2].

فهذا هو الذي تمَّ في عملية الشورى وما عاصره الحسن بن علي ﷺ من أحداث، ولا ينظر للأباطيل الإمامية التي دست في قصة الشورى وشوهت التاريخ الإسلامي والتي تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثر بها الكثير من المؤرخين والمفكرين المحدثين ولم يمحّصوا الرِّوايات، ويحقّقوا في سندها ومتنها، فانتشرت بين المسلمين، لقد اهتم مؤرخو الشيعة الإمامية بقصة الشورى وتولية عثمان بن عفان الخلافة ودسوا فيها الأباطيل والأكاذيب، وألف جماعة منهم كتباً خاصة، فقد ألف أبو مخنف كتاب الشورى، وكذلك ابن عقدة، وابن بابويه[3]، ونقل ابن سعد تسع روايات من طريق الواقدي في خبر الشورى وبيعة عثمان وتاريخ توليه الخلافة[4]، ورواية من طريق عبيد الله بن موسى تضمنت مقتل عمر، وحصره للشورى في السِّتَّة ووصيته لكلٍّ من عليّ وعثمان إذا تولى أحدهما أمر الخلافة، ووصيته لصهيب في هذا الأمر[5].

وقد نقل البلاذري خبر الشورى، وبيعة عثمان عن أبي مخنف[6]، وعن هشام الكلبي، منها ما نقله عن أبي مخنف[7]، ونقل ابن أبي الحديد بعض أحداث قصَّة الشورى من طريق أحمد بن عبد العزيز الجوهري[8]، وأشار إلى نقله عن كتاب (الشُّورى) للواقدي[9]، وقد تضمَّنت الرِّوايات الشيعيَّة عدَّة أمور مدسوسة، ليس لها دليلٌ من الصِّحَّة، وهي:

(1) سير أعلام النبلاء (1/ 86).
(2) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص 278.
(3) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (14/ 246).
(4) الطبقات الكبرى (3/ 63) (3/ 67).
(5) المصدر السابق نفسه (3/ 340).
(6) أنساب الأشراف (5/ 18، 19).
(7) أنساب الأشراف (5/ 18، 19).
(8) شرح نهج البلاغة (9/ 49، 50، 58).
(9) شرح البلاغة (9/ 15)، عثمان بن عفان للصلّابيّ، ص 73.

* اتهام الصَّحابة بالمحاباة في أمر المسلمين:

اتَّهمت الرِّوايات الشِّيعيَّة الصَّحابة بالمحاباة في أمر المسلمين، وعدم رضا عليّ بأن يقوم عبد الرحمٰن بن عوف باختيار الخليفة، فقد ورد عن أبي مخنف وهشام الكلبيّ عن أبيه وأحمد الجوهريّ: أنَّ عمر جعل ترجيح الكفَّتين إذا تساوتا بعبد الرحمٰن بن عوف، وأنَّ علياً أحسَّ بأن الخلافة ذهبت منه، لأنَّ عبد الرحمٰن سيقدِّم عثمان للمصاهرة التي بينهما[1]، وقد نفى ابن تيمية أي ارتباط في النَّسب القريب بين عثمان وعبد الرحمٰن بن عوف فقال: فإنَّ عبد الرحمٰن ليس أخاً لعثمان، ولا ابن عمِّه، ولا من قبيلته أصلاً، بل هذا من بني زهرة وهذا من بني أمية، وبنو زهرة إلى بني هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بني أميَّة، فإن بني زهرة أخوال النَّبيّ ﷺ، ومنهم عبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن أبي وقاص الذي قال له النبي ﷺ: «هذا خالي فليرني امرؤ خاله»[2]، فإنَّ النبي ﷺ لم يؤاخ بين مهاجريٍّ ومهاجريٍّ، ولا بين أنصاريٍّ وأنصاريٍّ، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار، فآخى بين عبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصاري[3]، وحديثه مشهور ثابت في الصِّحاح وغيرها، يعرفه أهل العلم بذلك[4].

وقد بنت الرِّوايات الشيعية محاباة عبد الرحمٰن لعثمان للمصاهرة التي كانت بينهما، متناسية أن قوة النَّسب أقوى من المصاهرة من جهة، ومن جهة أخرى تناسوا طبيعة العلاقة بين المؤمنين في الجيل الأوّل، وأنها لا تقوم على نسب ولا على مصاهرة، وأما كيفية المصاهرة التي كانت بين عبد الرحمٰن وعثمان، فهي أنَّ عبد الرحمٰن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت الوليد[5].

* حزب أمويّ، وحزب هاشمي:

أشارت رواية أبي مخنف إلى وقوع مشادَّةٍ بين بني هاشم، وبني أميَّة أثناء المبايعة، وهذا غير صحيح، ولم يرد ذلك برواية صحيحة ولا ضعيفة[6]، وقد انساق بعض المؤرِّخين خلف الرِّوايات الشِّيعيَّة، وبنوا تحليلاتهم الخاطئة على تلك الرِّوايات، فصوَّر تشاور أصحاب الرَّسول ﷺ من تحديد الخليفة الجديد بصورة الخلاف العشائريّ، وأنَّ الناس قد انقسموا إلى حزبين: حزب أمويٍّ وحزبٍ هاشميٍّ، وهو تصوُّر موهوم، واستنتاج مردود ولا دليل عليه، إذ

(1) أثر التشيع على الرِّوايات التاريخية، ص 322.
(2) صحيح سنن الترمذي (3/ 220) رقم: (4018).
(3) البخاري، كتاب: مناقب الأنصار رقم: 3780.
(4) منهاج السنة النبوية (6/ 271، 272).
(5) الطبقات الكبرى (3/ 127).
(6) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص 177، 178.

أنَّه ليس نابعاً من ذلك الجوِّ الذي كان يعيشه أصحاب رسول الله ﷺ حينما كان يقف المهاجري مع الأنصاري ضدَّ أبيه، وأخيه، وابن عمه وبني عشيرته، وليس نابعاً من تصوُّر هؤلاء الصَّحب وهم يضحُّون بكلِّ شيء من حطام الدنيا في سبيل أن يسلم لهم دينهم، ولا من المعرفة الصحيحة لهؤلاء النخبة من المبشرين بالجنة، فالأحداث الكثيرة التي رويت عن هؤلاء تثبت: أنَّ هؤلاء كانوا أكبر بكثير من أن ينطلقوا من هذه الزَّاوية الضَّيِّقة في معالجة أمورهم، فليست القضيَّة قضيَّة تمثيل عائلي، أو عشائري، فهم أهل شورى لمكانتهم في الإسلام[1].

* أقوال نسبت زوراً وبهتاناً لوالد الحسن رضي الله عنه:

قال ابن كثير: وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون: أنَّ علياً قال لعبد الرَّحمن بن عوف: خدعتني، وإنَّك إنَّما وليته لأنَّه صهرك وليشاورك كلَّ يوم في شأنه، وأنه تلكَّأ حتى قال لعبد الرحمن: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح: 10]، إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصِّحاح، فهي مردودة على قائليها وناقليها، والله أعلم، والمظنون من الصَّحابة خلاف ما يتوهَّم كثير من الرَّافضة وأغبياء القصَّاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها، ومستقيمها وسقيمها، ومبادها وقويمها، والله الموفق للصَّواب[2].

ومن الدروس المهمة التي استفدتها من دراستي لمرحلة السيرة النبوية والخلافة الراشدة: أنه بجانب الرواية الصحيحة التي تظهر حقيقة الصورة المشرقة للصحابة في دينهم وصفائهم ومحبتهم لبعضهم، هناك صورة أخرى مناقضة لها حرص أعداء الإسلام من الكذابين على نشرها حقداً على الإسلام، وروَّج لها المستشرقون وأذنابهم، وتورط فيها بعض الفضلاء عن جهل، وهي بطبيعة الحال تساهم في إضعاف الأمَّة وفقدان الأجيال التالية نموذج الاقتداء في سلفهم الصالح، فيجب على الغيورين من الباحثين في هذه الأمَّة كشف هذا الزيف والأباطيل والتحذير من الكتب التي تروِّج لها وتنشرها، وبيان الروايات الصحيحة والترويج للكتب التي تتبناها دفاعاً عن الصحابة الكرام وابتغاء لمرضاة الله تعالى.

3 - معتقد الحسن بن علي في خلافة عثمان رضي الله عنه:

إن معتقد الحسن بن علي في خلافة عثمان، هو ما ذهب إليه الصحابة، حيث أجمعوا على صحة خلافته بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يخالف أو يعارض في هذا أحد، بل

(1) الخلفاء الرَّاشدون، أمين القضاة، ص 78، 79.

(2) البداية والنهاية (7/ 152).

الجميع سلَّم له بذلك، وقد قال أبو الحسن الأشعري: وثبتت إمامة عثمان ﷺ بعقد من عقد له الإمامة من أصحاب الشُّورى، الذين نصَّ عليهم عمر، فاختاروه ورضوا بإمامته، وأجمعوا على فضله وعدله[1]، وقال عثمان الصَّابوني مبيناً عقيدة أهل السنة، وأصحاب الحديث في ترتيب الخلافة بعد أن ذكر: إنَّهم يقولون أوّلاً بخلافة الصِّدِّيق، ثمّ عمر، قال: ثم خلافة عثمان ﷺ بإجماع أهل الشورى وإجماع الصحابة كافة، ورضاهم حتَّى جعل الأمر إليه[2].

4 - الحسن بن علي في فتح أفريقيا في جيش العبادلة:

كانت خطة عثمان في الفتوحات تتسم بالحسم والعزم، وتمثَّلت في الآتي: إخضاع المتمرِّدين من الفرس والرُّوم وإعادة سلطان الإسلام إلى هذه البلاد، واستمرار الجهاد والفتوحات فيما وراء هذه البلاد لقطع المدد عنهم، وإقامة قواعد ثابتة يرابط فيها المسلمون لحماية البلاد الإسلامية، وإنشاء قوة بحرية عسكرية لافتقار الجيش الإسلامي إلى ذلك، وكانت معسكرات الإسلام ومسالكه (ثغوره) في عهد عثمان هي عواصم أقطاره الكبرى، فمعسكر العراق: الكوفة والبصرة، ومعسكر الشَّام في دمشق بعد أن خلص الشَّام كله لمعاوية ابن أبي سفيان، ومعسكر مصر وكان مركزه الفسطاط، وكانت هذه المعسكرات تقوم بحماية دولة الإسلام، ومواصلة الفتوحات، ونشر الإسلام.

ومن أشهر قادة الفتوحات في عهد عثمان ﷺ: الأحنف بن قيس، وسليمان بن ربيعة، وعبد الرحمٰن بن ربيعة، وحبيب بن مسلمة، وقد استفاد المسلمون من تلك الفتوحات العثمانية دروساً منها: تحقق وعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين والتطور في فنون الحرب والسياسة وركوب البحر والقتال البحري، وجمع المعلومات عن الأعداء، والحرص على وحدة الكلمة في مواجهة العدو.

وعندما أراد أمير المؤمنين عثمان ﷺ أن يفتح أفريقيا استشار الأكابر من أصحاب رسول الله، فقد جاء في رياض النفوس: أن أمير المؤمنين عثمان جاءه من واليه على مصر عبد الله بن سعد: أنَّ المسلمين يغيرون على أطراف أفريقيا فيصيبون من عدوهم وأنهم قريبون من حَوز المسلمين، فأعرب عثمان بن عفان ﷺ - على إثر ذلك - للمسور بن مخرمة عن رغبته في بعث الجيوش لغزو أفريقيا.

جاء في هذا الصدد ما نصه: فما رأيك يا ابن مخرمة؟ قلت: اغزهم. قال: أجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله وأستشيرهم، فما أجمعوا عليه فعلته، أو ما أجمع عليه أكثرهم

(1) الإبانة عن أصول الديانة، ص 68.

(2) عقيدة السَّلف وأصحاب الحديث ضمن الرسائل المنيرية (1/ 139).

فعلته.. إيت علياً، وطلحة والزبير والعباس، وذكر رجالاً، فخلا بكل واحد منهم في المسجد، ثم دعا أبا الأعور سعيد بن زيد. فقال له عثمان: لم كرهت - يا أبا الأعور - من بعثة الجيوش إلى أفريقيا؟ فقال له: سمعت عمر يقول: لا أغزيها أحداً من المسلمين ما حملت عيناي الماء، فلا أرى لك خلاف عمر. فقال له عثمان: والله ما نخافهم وإنهم لراضون أن يقروا في مواضعهم فلا يغزون. فلم يختلف عليه أحد ممن شاوره غيره، ثم خطب الناس، وندبهم إلى الغزو إلى أفريقيا، فخرج بعض الصحابة، منهم عبد الله بن الزبير وأبو ذر الغفاري[1]، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر والحسن والحسين[2] وغيرهم كثير، وقد قدم المسلمون الغالي والرَّخيص في فتوحات أفريقيا، واستشهد منهم الكثير، وممَّن توفي منهم بأفريقيا في خلافة عثمان: أبو ذُؤيب الهُذلي وكان شاعراً مشهوراً، وهو الذي قال:

وإذا المنيةُ أنشبَتْ أظفارَها ألفيْتَ كل تميمةٍ لا تنفعُ
وتجلُّدي للشامتيْن أُريهمُ أني لريبِ الدهرِ لا أتضعضعُ

وبعد انتصارهم الكبير على أعدائهم اتجه الحسن ومعه ثلة مباركة من المسلمين إلى عاصمة الخلافة وقلبه مفعم بالسرور والارتياح لتوسع النفوذ الإسلامي، وانتشار دين رب العالمين.

5 - موقف والد الحسن بن علي والصحابة في فتنة مقتل عثمان ﷺ :

كانت هناك أسباب متنوعة ومتداخلة ساهمت في فتنة مقتل عثمان ﷺ كالرخاء وأثره في المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعي، ومجيء عثمان بعد عمر ﷺ، وخروج كبار الصحابة من المدينة، والعصبية الجاهلية، وتآمر الحاقدين، والتدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، واستخدام الوسائل والأساليب المهيجة للناس، وأثر السبئية في إحداث الفتنة، وقد فصلت وشرحت تلك الأسباب في كتابي: «تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان: شخصيته وعصره».

ولقد استخدم أعداء الإسلام في فتنة مقتل عثمان الأساليب والوسائل المهيجة للناس، من إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيراً، والتحريض والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس والطعن في الولاة واستخدام تزوير الكتب واختلاقها على لسان الصحابة ﷺ : عائشة وعلي وطلحة والزبير، والإشاعة بأن علي بن أبي طالب ﷺ الأحق

(1) رياض النفوس (1/ 8 - 9) الجهاد والقتال لهيكل (1/ 556).
(2) ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية، للدكتور صالح مصطفى، ص 41، الشرف والتسامي بحركة الفتح الإسلامي للصلّابي، ص 19.

بالخلافة، وأنه الوصي بعد رسول الله ﷺ، وتنظيم فرق في كل من البصرة والكوفة ومصر، أربع فرق من كل مصر، مما يدل على التدبير المسبق، وأوهموا أهل المدينة أنهم ما جاؤوا إلا بدعوة الصحابة، وصعَّدوا الأحداث حتى وصلت إلى القتل[1].

وإلى جوار هذه الوسائل، استخدموا مجموعة من الشعارات منها: التكبير، ومنها: أن جهادهم هذا ضد الظالم، ومنها: أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها: المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلى خلع عثمان، إلى أن تمادوا في جرأتهم وطالبوا بل سارعوا إلى مقتل الخليفة وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة، فزاد حماسهم المحموم لتضييق الخناق على الخليفة والتشوق إلى قتله بأية وسيلة[2]. وكان التنظيم السبئي بقيادة عبد الله بن سبأ اليهودي خلف تلك الأحداث والتي بعدها كالجمل والصفين وغيرها، وقد تحدثنا عن حقيقة عبد الله بن سبأ في كتابي «عثمان بن عفان»، وكتابي «أسمى المطالب في سيرة علي بن أبي طالب» ﷺ فمن أراد المزيد فليرجع إليهما، ولقد تعرّضت في كتابي (عثمان بن عفان) للشبهات التي ألصقت بتاريخ عثمان ﷺ وبينت كذبها وبطلانها بالأدلة الدامغة والبراهين الساطعة، فقد كان عثمان ﷺ بحق الخليفة المظلوم الذي افترى عليه خصومه الأوَّلون، ولم ينصفه المتأخِّرون.

* موقف علي ﷺ في بداية الفتنة:

استمر علي ﷺ في طريقته المعهودة مع الخلفاء وهي السمع والطاعة والإدلاء بالمشورة والنصح، وقد عبر بنفسه عن مدى طاعته للخليفة عثمان والتزام أمره ولو كان شاقاً بقوله: لو سيرني عثمان إلى صرار لسمعت وأطعت[3]، وعندما نزل المتمردون في ذي المروة قبل مقتل عثمان بما يقارب شهراً ونصفاً، أرسل إليهم عثمان علياً ورجلاً آخر لم تسمه الروايات والتقى بهم علي ﷺ فقال لهم: تعطون كتاب الله وتعتبون من كل ما سخطتم، فوافقوا على ذلك[4]، وفي رواية: أنهم شاذُّوه وشادهم مرتين أو ثلاثاً، ثم قالوا: ابن عم رسول الله، ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله فقبلوا[5]، فاصطلحوا على خمس: على أن المنفي يقلب، والمحروم يعطى، ويوفر الفيء ويعدل في القسم ويستعمل ذو الأمانة والقوة، وكتبوا ذلك في

(1) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص 401.
(2) المصدر السابق نفسه، ص 402.
(3) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 225) سنده صحيح.
(4) تاريخ دمشق ترجمة عثمان، ص 328، تاريخ خليفة، ص 169.
(5) فتنة مقتل عثمان (1/ 129).

كتاب: أن يرد ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبو موسى على الكوفة[1] وهكذا اصطلح عثمان ﷺ مع كل وفد على حدة ثم انصرفت الوفود إلى ديارها[2].

وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعاً راضين تبين لمشعلي الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقق، لذا خططوا تخطيطاً آخر يذكي الفتنة ويحييها يقتضي تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمصار وعثمان ﷺ، وبرز ذلك فيما يلي: في أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكباً على جمل يتعرض لهم، ويفارقهم، فكأنه يقول: خذوني فقبضوا عليه وقالوا له: ما لك؟ قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله، ففتحوا الكتاب فإذا فيه أمر بصلبهم أو قتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوها[3]، ونفى عثمان ﷺ أن يكون كتب هذا الكتاب،وقال لهم: أنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين، أو يمين بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم، فلم يصدقوه[4] - وهو الصادق البار - لغاية في نفوسهم.

وهذا الكتاب الذي زعم هؤلاء المتمردون البغاة المنحرفون أنه من عثمان وعليه خاتمه يحمله غلامه على واحد من إبل الصدقة إلى عامله بمصر ابن أبي سرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين، هو كتاب مزور مكذوب على لسان عثمان وذلك لعدة أمور منها[5]: كيف علم العراقيون بالأمر وقد اتجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن المصريين - الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم - مسافة شاسعة، فالعراقيون في الشرق والمصريون في الغرب، ومع ذلك عادوا جميعاً في آن واحد، كأنما كانوا على ميعاد؟ لا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوّروا الكتاب واستأجروا راكباً آخر انطلق إلى العراقيين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتاباً بعث فيه عثمان لقتل المنحرفين المصريين، وهذا ما احتج به علي بن أبي طالب ﷺ، فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طوينم نحونا[6]، بل أن علياً يجزم: هذا والله أمر أبرم بالمدينة[7].

---

(1) فتنة مقتل عثمان (1/ 129).
(2) المصدر السابق نفسه (1/ 129).
(3) تاريخ الطبري (5/ 379).
(4) فتنة مقتل عثمان (5/ 132) البداية والنهاية (7/ 191).
(5) تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان للصَّلّابي، ص 410.
(6) تاريخ الطبري (5/ 359).
(7) تاريخ الطبري (5/ 359).

إن هذا الكتاب المشؤوم ليس أول كتاب يزوِّره هؤلاء المجرمون، بل زوَّروا كتباً على لسان أمهات المؤمنين وكذلك على لسان علي وطلحة والزبير، فهذه عائشة ﷺ تُتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان فتنفي وتقول: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي[1] هذا. ويعقب الأعمش فيقول: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها[2]، ويتهم الوافدون علياً بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة، فينكر ذلك عليهم ويقسم: والله ما كتبت إليكم كتاباً[3]، كما ينسب إلى الصحابة بكتابة الكتب إلى أهل الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم، فدين محمد قد فسد وترك، والجهاد في المدينة خير من الرباط في الثغور البعيدة[4]، ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلاً: وهذا كذب على الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، فقد كتب من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج - قتلة عثمان - كُتُبٌ مزورة عليهم أنكروها، وكذلك زوّر هذا الكتاب على عثمان أيضاً، فإنه لم يأمر به، ولم يعلم به[5]، ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبري وخليفة من استنكار كبار الصحابة - علي وعائشة والزبير - أنفسهم لهذه الكتب في أصحِّ الروايات[6].

إن الأيدي المجرمة التي زوَّرت الرسائل الكاذبة على لسان أولئك الصحابة هي نفسها التي أوقدت نار الفتن من أولها إلى آخرها، ورتبت ذلك الفساد العريض، وهي التي زورت وروَّجت على عثمان تلك الأباطيل، وأنه فعل وفعل، ولقنتها للناس حتى قبلها الرعاع، ثم زوَّرت على لسان عثمان ذلك الكتاب، ليذهب عثمان ضحية إلى ربه شهيداً سعيداً، ولم يكن عثمان الشهيد المجني عليه وحده في هذه المؤامرة السبئية اليهودية، بل الإسلام نفسه كان مجنياً عليه قبل ذلك، ثم التاريخ المشوَّه المحرَّف، والأجيال الإسلامية التي تلقت تاريخها مشوَّهاً هي كذلك ممن جنى عليهم الخبيث اليهودي وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحقد الدفين، أما آن للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق، وسير رجالاتها العظام؟ بل ألم يأن لمن يكتب في هذا العصر من المسلمين - أن يخاف الله ولا يتجرأ على تجريح الأبرياء قبل أن يحقق ويدقق حتى لا يسقط كما سقط غيره[7].

---

(1) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 334).
(2) تاريخ خليفة بن خياط، ص 169.
(3) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 335) البداية والنهاية (7/ 191).
(4) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 335) البداية والنهاية (7/ 175).
(5) البداية والنهاية (7/ 175).
(6) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 335).
(7) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، ص 228، 229.

* موقف الحسن بن علي ووالده أثناء الحصار:

اشتد الحصار على عثمان ﷺ، حتى منع من أن يحضر للصلاة في المسجد، وكان صابراً على هذه البلوى التي أصابته كما أمره رسول الله ﷺ بذلك، وكان مع إيمانه القوي بالقضاء والقدر يحاول أن يجد حلاً لهذه المصيبة، فتراه تارة يخطب الناس عن حرمة دم المسلم وإنه لا يحل سفكه إلا بحقه، وتارة يتحدث في الناس ويظهر فضائله وخدماته الجليلة في الإسلام ويستشهد على ذلك ببقية العشرة رضوان الله عليهم[1]، وكأنه يقول: من هذا عمله وفضله هل من الممكن أن يطمع بالدنيا ويقدمها على الآخرة؟ وهل يعقل أن يخون الأمانة ويعبث بأموال الأمة ودمائها وهو يعرف عاقبة ذلك عند الله؟ وهو الذي تربى على عين النبي ﷺ والذي شهد له وزكاه وكذلك أفاضل الصحابة وحتى بعد ما تجاوز السبعين وقارب الثمانين من عمره أهكذا تكون معاملته؟

واشتدت سيطرة المتمردين على المدينة حتى أنهم ليصلون بالناس في أغلب الأوقات[2]، وحينها أدرك الصحابة أن الأمر ليس كما حسبوا، وخشوا من حدوث ما لا يحمد عقباه، وقد بلغهم أن القوم يريدون قتله، فعرضوا عليه أن يدافعوا عنه ويخرجوا الغوغاء عن المدينة، إلا أنه رفض أن يراق دم بسببه[3].

وأرسل كبار الصحابة أبناءهم دون استشارة عثمان ﷺ، ومن هؤلاء: الحسن بن علي ﷺ، وعبد الله بن الزبير، فقد كان عثمان يحب الحسن ويكرمه، فعندما وقعت الفتنة وحوصر عثمان ﷺ أقسم على الحسن ﷺ بالرجوع إلى منزله وذلك خشية عليه أن يصاب بمكروه[4]، وقد قال عثمان للحسن ﷺ: ارجع يا بن أخي حتى يأتي الله بأمره[5]، وقد صحت روايات أن الحسن حمل جريحاً من الدار يوم الدار[6]، كما جرح غير الحسن، عبد الله بن الزبير ومحمد بن حاطب ومروان بن الحكم، كما كان معهم الحسين بن علي وابن عمر ﷺ[7].

وقد كان علي من أدفع الناس عن عثمان ﷺ وشهد له بذلك مروان بن الحكم[8] كما

(1) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص 85.
(2) سير أعلام النبلاء (3/ 515).
(3) فتنة مقتل عثمان (1/ 167)، المسند (1/ 396) تحقيق أحمد شاكر.
(4) تاريخ المدينة لابن شبة (4/ 1208).
(5) الرياض النضرة نقلاً عن الحسن بن علي ودوره السياسي، ص 46.
(6) الطبقات لابن سعد (8/ 128) بسند صحيح.
(7) تاريخ خليفة، ص 174.
(8) تاريخ الإسلام للذهبي، ص 460 - 461 إسناده قوي.

أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله ﷺ : أن علياً أرسل إلى عثمان فقال: إن معي خمسمائة دارع، فأذن لي فأمنعك من القوم فإنك لم تحدث شيئاً يستحل به دمك، فقال: جزيت خيراً، ما أحب أن يهراق دم في سببي[1].

وقد وردت روايات عديدة تفيد وقوفه بجانب عثمان ﷺ أثناء الحصار فمن ذلك: أن الثائرين منعوا عن عثمان الماء حتى كاد أهله أن يموتوا عطشاً، فأرسل علي ﷺ إليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل إليه، وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصلت[2]، ولقد تسارعت الأحداث فوثب الغوغاء على عثمان وقتلوه رضي الله عنه وأرضاه، ووصل الخبر إلى الصحابة وأكثرهم في المسجد، فذهبت عقولهم، وقال علي لأبنائه و أبناء أخيه: كيف قتل عثمان وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن وكان قد جرح[3]، وضرب صدر الحسين، وشتم ابن الزبير وابن طلحة، وخرج غضبان إلى منزله ويقول: تباً لكم سائر الدهر، اللهم إني أبرأ إليك من دمه أن يكون قتلتُ أو مالأتُ على قتله[4].

وهكذا كان موقف علي ﷺ ، نصح وشورى، سمع وطاعة، ووقفة قوية بجانبه أثناء الفتنة، ومن أدفع الناس عنه، ولم يذكره بسوء قط، يحاول الإصلاح وسد الخرق بين الخليفة والخارجين عليه، لكن الأمر فوق طاقته وخارج إرادته، إنها إرادة الله ﷻ أن يفوز أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ بالشهادة[5] ويبوء المفسدين بالإثم.

إن أمير المؤمنين علياً ﷺ أنكر قتل عثمان وتبرأ من دمه، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها: إنه لم يقتله ولا أمر بقتله، ولا مالأ عليه، ولا رضي، وقد ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع[6]، خلافاً لما يزعمه البعض من أنه كان راضياً بقتل عثمان ﷺ [7].

وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة في مقتله ﷺ : فأما الذي ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ، فإنه كذب وزور، فقد تواترت الأخبار بخلافه[8]. وقال ابن تيمية: وهذا كله كذب على علي ﷺ وافتراء عليه، فعلي ﷺ لم

(1) تاريخ دمشق، ص 403.
(2) أنساب الأشراف للبلاذري (5/ 76).
(3) ابن أبي عاصم، الآحاد والثماني (1/ 125) نقلاً عن خلافة علي، ص 87.
(4) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 209) إسناد صحيح.
(5) خلافة علي بن أبي طالب، ص 87، علي عبد الحميد.
(6) البداية والنهاية (7/ 202).
(7) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص 129، حق اليقين، عبد الله شبر، ص 189.
(8) المستدرك (3/ 103).

يشارك في دم عثمان ﷺ ولا أمر ولا رضي، وقد روي عنه ذلك، وهو الصادق البار[1]، وقد قال علي ﷺ : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان[2].

وقد شوهت بعض كتب التاريخ مواقف الصحابة من فتنة مقتل عثمان، وذلك بسبب الروايات الإمامية التي ذكرها كثير من المؤرخين، والمتتبع لأحداث الفتنة في تاريخ الإمام الطبري، وكتب التاريخ الأخرى من خلال روايات أبي مخنف، والواقدي، وابن أعثم وغيرها من الأخبار يتبين ويشعر أن الصحابة هم الذين كانوا يحركون المؤامرة، ويثيرون الفتنة، فأبو مخنف ذو الميول الشيعية لا يتورع في اتهام عثمان بأنه الخليفة الذي كثرت سقطاته، فاستحق ما استحق، ويظهر طلحة في مروياته كواحد من الثائرين على عثمان والمؤلبين ضده، ولا تختلف روايات الواقدي عن روايات أبي مخنف، وقد كثرت الروايات التي تتهم الصحابة بالتآمر ضد عثمان ﷺ وأنهم هم الذين حركوا الفتنة، وأثاروا الناس، وهذا كله كذب وزور[3].

وخلافاً للروايات الإمامية والموضوعة والضعيفة فقد حفظت لنا كتب المحدثين بحمد الله الروايات الصحيحة التي يظهر فيها الصحابة من المؤازرين لعثمان والمنافحين عنه والمتبرئين من قتله، والمطالبين بدمه بعد مقتله، وبذلك يستبعد أي اشتراك لهم في تحريك الفتنة أو إثارتها[4]، إن الصحابة جميعاً ﷺ أبرياء من دم عثمان ﷺ ومن قال خلاف ذلك، فكلامه باطل لا يستطيع أن يقيم عليه أي دليل ينهض إلى مرتبة الصحة، ولذلك أخرج خليفة في تاريخه عن عبد الأعلى بن الهيثم، عن أبيه، قال: قلت للحسن: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين، والأنصار؟ قال: لا، كانوا أعلاجاً[5] من أهل مصر. وقال الإمام النَّووي: ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة، وإنما قتله همج ورعاع من غوغاء القبائل سفلة الأطراف والأراذل، تحزَّبوا وقصدوه من مصر، فعجزت الصَّحابة الحاضرون عن دفعهم، فحصروه حتَّى قتل ﷺ [6].

وقد وصفهم الزبير ﷺ بأنهم غوغاء من الأمصار، ووصفتهم السيِّدة عائشة بأنَّهم نزَّاع

(1) مناهج السنة (4/ 406).
(2) العقيدة في أهل البيت، ص 130، إسناده حسن الطبقات (3/ 3).
(3) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 14 إلى 18).
(4) المصدر السابق نفسه (2/ 14 إلى 18).
(5) العلج: كل جاف شديد من الرّجال
(6) شهيد الدار عثمان بن عفان، ص 148.

القبائل[1]، ووصفهم ابن تيمية بأنهم خوارج مفسدون وضالون، باغون معتدون[2]، ووصفهم الذهبيُّ بأنهم رؤوس شرٍّ وجفاء[3]، ووصفهم ابن العماد الحنبليُّ في الشذرات بأنَّهم أرذال من أوباش القبائل[4]، ويشهد على هذا الوصف تصرُّف هؤلاء الرُّعاع منذ الحصار إلى قتل الخليفة ﷺ ظلماً وعدواناً، فكيف يمنع الماء عنه، والطّعام وهو الذي طالما دفع من ماله الخاص ما يروي ظمأ المسلمين بالمجّان؟[5]، وهو الذي يساهم بأموال كثيرة عندما يلمُّ بالناس مجاعة أو مكروه، وهو الدائم العطاء عندما يصيب النَّاس ضائقة أو شدَّة من الشدائد[6]، حتى إنَّ علياً ﷺ يصف هذا الحال، وهو يؤنب المحاصرين بقوله: يا أيُّها الناس: إن الذي تفعلونه لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، فلا تمنعوا عن هذا الرّجل الماء، ولا المادة - الطعام - فإن الرُّوم وفارس لتأسر، وتطعم وتسقي[7].

لقد صحَّت الأخبار، وأكَّدت حوادث التاريخ على براءة الصَّحابة من التَّحريض على عثمان أو المشاركة في الفتنة ضدّه[8]، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتابي «تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان»[9].

رابعاً: الحسن بن علي في عهد والده ﷺ:

تمت بيعة علي ﷺ بالخلافة بطريقة الاختيار، وذلك بعد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ على أيدي الخارجين المارقين الشذاذ الذين جاؤوا من الآفاق، ومن أمصار مختلفة، وقبائل متباينة لا سابقة لهم، ولا أثر خير في الدين، فبعد أن قتلوه ﷺ ظلماً وزوراً وعدواناً يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين[10]، قام كل من بقي بالمدينة من أصحاب رسول الله بمبايعة علي ﷺ بالخلافة، وذلك لأنه لم يكن أحد أفضل منه على الإطلاق في ذلك الوقت، فلم يدَّعِ الإمامة لنفسه أحد بعد

(1) شرح النَّوويّ على صحيح مسلم (15/ 148).
(2) منهاج السُّنَّة (2/ 189 - 206).
(3) دول الإسلام للذهبي (1/ 12).
(4) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 482)، شذرات الذهب (1/ 40).
(5) تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان للصلّابيّ، ص 450.
(6) التمهيد والبيان، ص 424.
(7) تاريخ الطبري (5/ 400).
(8) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 18).
(9) عثمان بن عفان للصلّابيّ، ص 451 إلى 466.
(10) الطبقات لابن سعد (3/ 31).

عثمان ﷺ ولم يكن أبو السبطين ﷺ حريصاً عليها، ولذلك لم يقبلها إلا بعد إلحاح شديد ممن بقي من الصحابة بالمدينة، وخوفاً من ازدياد الفتن وانتشارها، ومع ذلك لم يسلم من نقد بعض الجهال إثر تلك الفتن كموقعة الجمل وصفين التي أوقد نارها وأنشبها الحاقدون على الإسلام كابن سبأ وأتباعه الذين استخفهم، فأطاعوه لفسقهم ولزيغ قلوبهم عن الحق والهدى.

وقد روى الكيفية التي تم بها اختيار علي ﷺ للخلافة بعض أهل العلم[1]، وقد ذكرت تلك الروايات بالتفصيل في كتابي: «أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» ﷺ وقد انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على أن علياً ﷺ كان متعيناً للخلافة بعد عثمان ﷺ لبيعة المهاجرين والأنصار له، لما رأوا فضله على من بقي من الصحابة، وأنه أقدمهم إسلاماً، وأوفرهم علماً، وأقربهم بالنبي ﷺ نسباً، وأشجعهم نفساً، وأحبهم إلى الله ورسوله، وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجة وأشرفهم منزلة وأشبههم برسول الله ﷺ هدياً وسمتاً، فكان ﷺ متعيناً للخلافة دون غيره، وقد قام من بقي من أصحاب النبي ﷺ بالمدينة بعقد البيعة به بالخلافة بالإجماع، فكان حينئذ إماماً حقاً وجب على سائر الناس طاعته وحرم الخروج عليه ومخالفته.

وقد نقل الإجماع على خلافته كثير من أهل العلم منهم: ابن سعد[2]، وابن قدامة[3]، وأبو الحسن الأشعري[4]، وأبو نعيم الأصبهاني[5]، وأبو منصور البغدادي[6]، والزهري[7]، وعبد الملك الجويني[8]، وأبو عبد الله بن بطة[9]، والغزالي[10]، وأبو بكر بن العربي[11]، وابن تيمية[12]، وابن حجر[13]، والذي نستفيده من هذه النقول المتقدمة للإجماع أن خلافة

(1) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (2/ 677).
(2) الطبقات الكبرى (3/ 31).
(3) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين، ص 77 - 78، نقلاً عن عقيدة أهل السنة في الصحابة (2/ 689).
(4) الإبانة عن أصول الديانة، ص 78، مقالات الإسلاميين (1/ 346).
(5) كتاب الإمامة والرد على الرافضة، ص 360 - 361.
(6) كتاب أصول الدين، ص 286 - 287.
(7) الاعتقاد، ص 193.
(8) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص 362، 363.
(9) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (2/ 246)، عقيدة أهل السنة (2/ 692).
(10) الاقتصاد في الاعتقاد، ص 154.
(11) العواصم من القواصم، ص 142.
(12) الوصية الكبرى، ص 23.
(13) فتح الباري (7/ 72).

علي ﷺ محل إجماع على أحقيتها وصحتها في وقت زمانها، وذلك بعد قتل عثمان ﷺ حيث لم يبق على الأرض أحق بها منه ﷺ، فقد جاءت علي ﷺ على قدر في وقتها ومحلها[1].

1 - خروج أمير المؤمنين علي ﷺ إلى الكوفة:

لم يكن بعض الصحابة ﷺ في المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من المدينة، وقد تبين ذلك حينما همَّ عليٌّ بالنهوض إلى الشام ليزور أهلها وينظر ما هو رأي معاوية في ما هو صانع[2]، فقد كان يرى أن المدينة لم تعد تمتلك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة فقال: إن الرجال والأموال بالعراق[3]، فلما علم أبو أيوب الأنصاري ﷺ بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين، لو أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة، ومهاجر رسول الله ﷺ وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان، وإن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وإن ألجئت حينئذ إلى السير سرت وقد أعذرت...، فأخذ الخليفة بما أشار عليه أبو أيوب وعزم المقامة بالمدينة وبعث العمال على الأمصار[4].

ولكن حصلت كثير من المستجدات السياسية التي أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة، وقرّر الخروج للتوجه إلى الكوفة ليكون قريباً من أهل الشام[5]، وأثناء استعداده للخروج بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة فاستنفر أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته، وحدث تثاقل من بعض أهل المدينة بسبب وجود النوغاء في جيش علي، وطريقة التعامل معهم، فكثير من أهل المدينة يرون أن الفتنة لا زالت مستمرة، فلا بد من التروي حتى تتجلى الأمور أكثر، وهم يقولون: لا والله ما ندري كيف نصنع، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضيء لنا ويسفر، وروى الطبري أن علياً ﷺ خرج في تعبئته التي كانت تعبئ بها إلى الشام وخرج معه النشطة من الكوفيين والبصريين متخفين في سبعمائة رجل[6]، والأدلة على تثاقل الكثير من أهل المدينة عن إجابة دعوة أمير المؤمنين للخروج كثيرةٌ، منها: خطب الخليفة التي شكا فيها من هذا التثاقل[7].

---

(1) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (2/ 693).
(2) الثقات لابن حبان (2/ 283)، الأنصار في العصر الراشدي، ص 161.
(3) الثقات لابن حبان (2/ 283)، الأنصار في العصر الراشدي، ص 161.
(4) الثقات لابن حبان (2/ 283)، الأنصار في العصر الراشدي، ص 161.
(5) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص 183.
(6) المصدر السابق نفسه (5/ 481).
(7) الطبقات (3/ 237)، الأنصار في العصر الراشدي، ص 163.

2 - نصيحة الحسن بن علي لوالده:

خرج أمير المؤمنين من المدينة، وعندما بلغ الربذة[1] عسكر فيها بمن معه، ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المائتين[2]، وفي الربذة قام إليه ابنه الحسن ﷺ وهو باك لا يخفي حزنه وتأثره على ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف، وقال الحسن لوالده: قد أمرتك فعصيتني، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال عليّ: إنك لا تزال تخن خنين الجارية[3]، وما الذي أمرتني فعصيته؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان ﷺ أن تخرج من المدينة، فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل أن لا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله. قال: أي بني، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك: حين خرج طلحة و الزبير، فإن ذلك كان وهناً على أهل الإسلام، والله ما زلت مقهوراً مذ وليت، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي، وأما قولك: اجلس في بيتك، فكيف لي بما قد لزمني أو من تريدني؟ أتريدني أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها، ويقال: دباب دباب[4]، ليست هاهنا حتى يحل عرقوباها ثم تخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه؟ فكف عنك أي بني.

ومن هذه الحادثة نلاحظ حسن تربية أمير المؤمنين علي لابنه، وكيف أعطاه مجالاً ليعبر عن ما في نفسه بدون ضغوط، ثم رد أمير المؤمنين على كل اعتراض، كما تبين ميل الحسن ﷺ المبكر للسلم والابتعاد عن استخدام القوة مهما كلف الأمر، أما أمير المؤمنين علي، فقد كان حازماً - والحق معه - في هذه المشكلة وواضحاً، ولم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه وكان متريثاً في تنفيذ القصاص على قتلة عثمان فقد كان ينتظر حتى يستتب له الأمر، ثم ينظر في شأن قتلة عثمان، فحين طالب الزبير وطلحة ومن معهم بإقامة حد القصاص عليهم اعتذر لهم بأنهم كثير وأنهم قوة لا يستهان بها، وطلب منهم أن يصبروا حتى تستقر الأوضاع وتهدأ الأمور، فتؤخذ الحقوق، لأن الظروف لم تكن مواتية من جلب المصالح، وقد ألمح

(1) شرق المدينة المنورة تبعد 240 كم.
(2) أنساب الأشراف (2/ 45) خلافة علي بن أبي طالب، ص 143.
(3) تاريخ الطبري (5/ 482): خن: أخرج الصوت من خياشيمه.
(4) دباب، كقطام: دعاء الضبع للضبع.

أمير المؤمنين علي ﷺ إلى اختيار أهون الشرين حين قال: هذا الذي تدعوكم إليه من إقرار - قتلة عثمان - وهو خير من شر منه - القتال والفرقة - [1].

لقد رأى أمير المؤمنين أن المصلحة تقتضي تأخير القصاص لا تركه، فأخر القصاص من أجل هذا، وكان ﷺ ينتظر بقتلة عثمان أن يستوثق الأمن وتجتمع الكلمة ويرفع الطلب من أولياء الدم، فيحضر الطالب للدم والمطلوب، وتقع الدعوة ويكون الجواب، وتقوم البينة ويجري القضاء في مجلس الحكم[2]، ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة[3]، وأما ما أثير عن وجود قتلة عثمان في جيش أمير المؤمنين علي ﷺ وكيف يرضى أن يكون هؤلاء في جيشه، فقد أجاب الإمام الطحاوي عن ذلك بقوله: وكان في عسكر علي ﷺ من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه ومن تنتصر له قبيلته ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله[4]، وعلى كل حال، كان موقفه منهم موقف المحتاط منهم، المتبرئ من فعلهم، وكان راغباً في الاستغناء عنهم بل الاقتصاص منهم، لو وجد إلى ذلك سبيلاً. وقد فصلت ذلك في كتابي «أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب».

3 - أثر الحسن بن علي في استنفار أهل الكوفة:

كان أمير المؤمنين علي ﷺ يمارس صلاحياته كخليفة، وكان فيه من العزم والحزم بحيث لا يستطيع أحد أن يثنيه عن عزمه، فأرسل علي ﷺ من الربذة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلى نصرته، وكان الرسولان محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن جعفر، ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما، إذ أن أبا موسى الأشعري والي الكوفة من قبل علي ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال في الفتنة، وأسمعهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من التحذير من الاشتراك في الفتنة[5]، فأرسل علي بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، فقشل في مهمته، لتأثير أبي موسى عليهم[6]، فبعث عبد الله بن عباس فأبطأوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن بن علي، وعزل أبا موسى الأشعري واستعمل قرظة بن كعب بدلاً منه[7].

وكان للقعقاع بن عمرو دور كبير في إقناع أهل الكوفة، قام فيهم وقال: إني لكم ناصح

---

(1) تاريخ الطبري (5/ 460).
(2) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 156).
(3) أحكام القرآن لابن العربي (2/ 1718).
(4) شرح الطحاوية، ص 546.
(5) تاريخ الطبري (5/ 514) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 12) إسناده حسن.
(6) خلافة علي بن أبي طالب عبد الحميد، ص 44، سير أعلام النبلاء (3/ 486).
(7) فتح الباري (13/ 25)، التاريخ الصغير (1/ 109).

وعليكم شفيق، وأحب أن ترشدوا، ولأقولن لكم قولاً هو الحق، والقول الذي هو القول إنه لا بد من إمارة تنظم الناس وتنزع الظالم وتعز المظلوم، وهذا علي يلي ما ولي وقد أنصف في الدعاء، وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا في هذا الأمر بمرأى و مسمع[1].

وكان للحسن بن علي أثر واضح، فقد قام خطيباً في الناس وقال: أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى[2]، أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم[3]، ولبى كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى علي ما بين ستة إلى سبعة آلاف رجل، ثم انضم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس، ثم توافدت عليه القبائل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثني عشر ألف رجل تقريباً[4]، وعندما التقى أهل الكوفة بأمير المؤمنين علي بذي قار قال لهم: يا أهل الكوفة، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم وفضضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم، فأعنتم حوزتكم واغتنم الناس على عودهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فذلك ما نريد، وإن يلجوا داويناهم بالرفق وياياناهم حتى يبدؤونا بظلم، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله[5].

4 - محاولات الصلح:

كان علي ﷺ حريصاً على أن يقضي على هذه الفرقة والفتنة بالوسائل السلمية وتجنيب المسلمين شر القتال والصدام المسلح بكل ما أوتي من قوة وجهد، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير، وقد اشترك في محاولات الصلح عدد من الصحابة وكبار التابعين، وكان من أشهرها محاولة القعقاع بن عمرو، فقد حاور طلحة والزبير والسيدة عائشة، وقد تأثروا بما طرح وسألت السيدة عائشة القعقاع عن رأيه في أمر قتلة عثمان، فقال: هذا أمر دواؤه التمكين، ولا بد من التأني في الاقتصاص من قتلة عثمان، وإن أنتم بايعتم علياً[6] واتفقتم معه كان هذا علامة خير، وتباشير رحمة، وقدرة على الأخذ بثأر عثمان، وإن أنتم أبيتم ذلك وأصررتم على المكابرة والقتال كان هذا علامة شر، وذهاباً لهذا الملك، فآثروا العافية ترزقونها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً، ولا تعرضونا للبلاء فتتعرضوا له، فيصرعنا الله

(1) تاريخ الطبري (5/ 516).
(2) أولو النهى: أصحاب العقول.
(3) تاريخ الطبري (5/ 516).
(4) مصنف عبد الرزاق (5/ 456 - 457) بسند صحيح إلى الزهري.
(5) تاريخ الطبري (5/ 519).
(6) المقصود: الانقياد التام لسياسة أمير المؤمنين علي في التعامل مع قتلة عثمان.

وإياكم، وايم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه، وإني لخائف ألا يتم، حتى يأخذ الله حجته من هذه الأمة التي قل متاعها ونزل بها ما نزل، فإن ما نزل بها أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل ولا قتل النفر الرجل، ولا قتل القبيلة القبيلة. اقتنعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص، ووافقوا على دعوته إلى الصلح، وقالوا له: أحسنت وأصبت المقالة، فارجع فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر إن شاء الله، وعاد القعقاع إلى علي في «ذي قار»، وقد نجح في مهمته، وأخبر علياً بما جرى معهم فأعجب علي بذلك، وأوشك القوم على الصلح، كرهه من كرهه ورضيه من رضيه[1].

5 - دور السبئية في نشوب القتال في معركة الجمل:

لما عاد القعقاع وأخبر أمير المؤمنين علياً بما فعل، أرسل علي ﷺ رسولين[2] إلى عائشة والزبير ومن معه يستوثق فيه مما جاء به القعقاع بن عمرو، فجاءا علياً بأنه على ما فارقنا عليه القعقاع فأقدم، فارتحل علي حتى نزل بحيالهم، فنزلت القبائل إلى قبائلهم: مضر إلى مضر وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح[3].

وكان أمير المؤمنين علي ﷺ لما نوى الرحيل قد أعلم بـ «الخطير: ألا وإني راحل غداً فارتحلوا - يقصد إلى البصرة - ألا ولا يرتحلن غداً أحدٌ أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس[4]، وكان في معسكر علي ﷺ من أولئك الطغاة والخوارج الذي قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة به فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره[5]، وحرص أتباع ابن سبأ على إشعال الفتنة وتأجيج نيرانها حتى يفلتوا من القصاص[6]، فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا، خرج علي وخرج طلحة والزبير، فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح وترك الحرب حين رأوا أن الأمر أخذ في الانقشاع، فافترقوا على ذلك، ورجع علي إلى عسكره، ورجع طلحة والزبير إلى عسكرهما، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه ما عدا أولئك الذين حاصروا عثمان ﷺ، فبات الناس على نية الصلح والعافية وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا ينوون إلا الصلح.

---

(1) البداية والنهاية (7/ 739)، تاريخ الطبري (5/ 521).
(2) تاريخ الطبري (5/ 525).
(3) المصدر السابق نفسه (5/ 539).
(4) المصدر السابق نفسه (5/ 525).
(5) المصدر السابق نفسه (5/ 526).
(6) المصدر السابق نفسه (5/ 527)، تحقيق مواقف الصحابة (2/ 120).

وبات الذين أثاروا الفتنة بشر ليلة باتوها قط، إذ أشرفوا على الهلاك، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلهم، وقال قائلهم: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم، وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا في الغد ولا يرتحل معه أحد أعان على عثمان بشيء - ورأي الناس فينا والله واحد، وأن يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا[1]، وتكلم ابن السوداء - عبد الله بن سبأ وهو المشير فيهم - فقال: إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم وإذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، وإذا أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون[2]، فاجتمعوا على هذا الرأي بإنشاب الحرب في السر، فغدوا في الغلس وعليهم ظلمة، وما يشعر بهم جيرانهم، فخرج مضريهم إلى مضريهم وربيعيهم إلى ربيعيهم، ويمانيهم إلى يمانيهم فوضعوا فيهم السيوف، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه الذين باغتوهم، فخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس واندلع القتال[3]، وقد تحدثتُ عن جولات معركة الجمل بالتفصيل في كتابي: «أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب»، فقد كان أثر السبئية في معركة الجمل مما يكاد يجمع عليه العلماء، سواء أسموهم بالمفسدين أم بأوباش الطائفتين، أو أسماهم البعض بقتلة، أو نبذوهم بالسفهاء أو بالغوغاء، أو أطلقوا عليهم صراحة السبئية[4].

وهذه بعض النصوص التي تؤكد ذلك:

أ - جاء في أخبار البصرة لعمر بن شبة أن الذين نسب إليهم قتل عثمان خشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم، فأنشبوا الحرب بينهم حتى كان ما كان[5].

ب - قال الإمام الطحاوي: فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين[6].

ت - وقال الباقلاني: .. وتم الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم والإحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فرقتين ويبدأوا بالحرب سحراً في المعسكرين ويختلطوا، ويصيح الفريق الذي في معسكر علي: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الذي في طلحة والزبير: غدر علي، فتم لهم ذلك

(1) تاريخ الطبري (5/ 526).
(2) المصدر السابق نفسه (5/ 527).
(3) المصدر السابق نفسه (5/ 541).
(4) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، ص 194.
(5) فتح الباري (13/ 56).
(6) شرح العقيدة الطحاوية، ص 546.

على ما دبروه وتشبث الحرب، فكان كل فريق منهم دافعاً لمكروه عن نفسه ومانعاً من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذا وقع، والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور، وإليه نميل وبه نقول[1].

ث - ونقل القاضي عبد الجبار: أقوال العلماء باتفاق رأي علي وطلحة والزبير وعائشة - رضوان الله عليهم - على الصلح، وترك الحرب، واستقبال النظر في الأمر، وأنّ من كان في المعسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم، فدبّروا في إلقاء ما هو معروف، وتمّ ذلك[2].

ج - ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: وقدم عليّ على البصرة، وتداعوا ليتراؤوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء وبادروا بإراقة الدماء واشتجر الحرب، وكثرت الغوغاء على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان ولا يقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإنّ واحداً في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف[3].

ح - ويقول ابن حزم: وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر عليّ، فدفع أهله عن أنفسهم كل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بدأتها القتال، واختلط الأمر اختلاطاً، لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شنّ الحرب وإضرامها، فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها، مدافعة عن نفسها، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها، وأتى طلحة سهم غارب وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط، فصادف جرحاً في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ فانصرف ومات من وقته - ﷺ - وقتل الزبير بوادي السباع - بعد انسحابه من المعركة - على أقل من يوم من البصرة، فهكذا كان الأمر[4].

خ - ويقول الذهبي.. كانت وقعة الجمل قد أثارها سفهاء الفريقين[5]. ويقول: إن الفريقين اصطلحا وليس لعلي ولا لطلحة قصد القتال، بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة، فترامى أوباش الطائفتين بالنبل وشبت نار الحرب وثارت النفوس[6]. وفي دول الإسلام: والتحم القتال من الغوغاء: وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير[7]. يقول الدكتور سليمان بن حمد

(1) التمهيد، ص 233.
(2) تثبيت دلائل النبوة للهمذاني، ص 299.
(3) العواصم من القواصم، ص 156، 157.
(4) الفصل في الملل والنحل (4/ 157، 158).
(5) العبر (1/ 37)، عبد الله بن سبأ للعودة، ص 195.
(6) دول الإسلام (1/ 15)، عبد الله بن سبأ، للعودة، ص 195.
(7) دول الإسلام (1/ 15)، عبد الله بن سبأ، للعودة، ص 195.

العودة: ولنا بعد ذلك أن نقول: وما المانع أن تكون رواية الطبري المصرّحة بدور السبئية في الجمل، تفسر هذا التعميم وتحدد تلك المسميات التي وردت في نقولات هؤلاء العلماء؟ وحتى ولو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية ولم تكن لها أهداف كأهدافهم، فأي مانع يمنع القول أن هذه شكلت أرضية استغلها ابن سبأ وأعوانه «السبئية» كما هي العادة في بعض الحركات الغوغائية التي تستغل من قبل المفسدين[1].

وقد كان الحسن ﷺ يوم الجمل على الميمنة، وقيل: على الميسرة، وكان يكره القتال ويشير على أبيه بتركه[2].

6 - عدد القتلى في الجمل:

أسفرت هذه الحرب الضروس عن عدد من القتلى اختلفت في تقديره الروايات، وذكر المسعودي أن هذا الاختلاف في تقدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواة[3]، وقد أورد خليفة ابن خياط بياناً بأسماء من حفظ من قتلى يوم الجمل، فكانوا قريباً من المائة[4]، فلو فرضنا أن عددهم كان مائتين وليس مائة، فإن هذا يعني أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المائتين. وهذا هو الرقم الذي ترجح لدى الدكتور خالد بن محمد الغيث في رسالته (استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري، دراسة نقدية)[5]، وأما ما ذكره أبو مخنف في كون القتلى يصل عددهم إلى عشرين ألفاً[6]، فهذا مبالغ فيه، وقد أساء هذا الكذّاب من حيث يظن أنه أحسن، إذ ذكر أن العشرين ألفاً من أهل البصرة فقط[7]، وأما سيف فيذكر أنهم عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي ﷺ ونصفهم من أصحاب عائشة ﷺ، وفي رواية أخرى قال: وقيل خمسة عشرة ألفاً، خمسة آلاف من أهل الكوفة، وعشرة آلاف من أهل البصرة، نصفهم قتل في المعركة الأولى ونصفهم في الجولة الثانية[8]، والروايتان ضعيفتان للانقطاع وفيهما مبالغة أيضاً، ويذكر عمر بن شبة أن القتلى يزيدون على ستة آلاف، إلا أن الرواية ضعيفة سنداً[9]، وأما اليعقوبي، فقد جاوز هؤلاء جميعاً، إذ وضع عدد القتلى نيفاً وثلاثين ألفاً[10]، وهذه الأرقام مبالغ فيها جداً، وقد ذكرت في كتابي «أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» أسباب المبالغة.

---

(1) دول الإسلام (1/ 15)، عبد الله بن سبأ، للعودة، ص 196.
(2) الوافي بالوفيات للصدفي (12/ 109).
(3) مروج الذهب (3/ 367).
(4) تاريخ خليفة، ص 187، 190.
(5) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص 215.
(6) تاريخ خليفة، ص 186، بسند مرسل.
(7) تاريخ خليفة، ص 186.
(8) تاريخ الطبري (5/ 542 إلى 555).
(9) تاريخ خليفة بن خياط، ص 186، إسناده منقطع وهو حسن إلا قتادة.
(10) مصنف ابن أبي شيبة (7/ 546) فتح الباري (13/ 62).

7 - نداء أمير المؤمنين بعد الحرب:

ما إن بدأت الحرب تضع أوزارها، حتى نادى منادي علي: أن لا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا مدبراً، ولا يدخلوا داراً، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وليس لجيشه من غنيمة إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح وكراع وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونادى منادي أمير المؤمنين فيمن حاربه من أهل البصرة: من وجد شيئاً من متاعه عند أحد من جنده، فله أن يأخذه[1].

8 - تفقده للقتلى وترحمه عليهم:

بعد انتهاء المعركة خرج أمير المؤمنين علي ﷺ يتفقد القتلى في نفر من أصحابه، فأبصر محمد بن طلحة السجاد، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله لقد كان شاباً صالحاً، ثم قعد كئيباً حزيناً.. ودعا للقتلى بالمغفرة وترحم عليهم وأثنى على عدد منهم بالخير والصلاح[2].

9 - تأثره من مقتل طلحة ﷺ:

.. وإن علياً لما دار بين القتلى رأى طلحة مقتولاً فجعل يمسح عن وجهه التراب[3] ثم قال: عزيز عليّ أبا محمد أن أراك مُجندلاً في الأودية، ثم قال: إلى الله أشكو عُجري وبُجري[4]، وترحم عليه وقال: ليتني مت قبل هذا بعشرين سنة[5].

10 - موقفه من قاتل الزبير ﷺ:

لما غدر عمرو بن جرموز بالزبير وقتله احتز رأسه وذهب به إلى علي، ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال علي: بشّر قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لكل نبي حواري وحواريّ الزبير»[6]، ولما رأى علي سيف الزبير قال: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله[7]، وفي رواية: منع أمير المؤمنين ابن

---

(1) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص 202.

(2) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 261) المستدرك (3/ 103، 104) والإسناد حسن لغيره، خلافة علي بن أبي طالب، ص 169.

(3) البداية والنهاية (7/ 258).

(4) سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي.

(5) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص 528.

(6) فضائل الصحابة (2/ 920).

(7) البداية والنهاية (7/ 261).

جرموز بالدخول عليه، وقال للآذن: بشر قاتل ابن صفية بالنار[1]، ويقال أنَّ عمرو بن جرموز قتل نفسه في عهد علي، وقيل: بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق فاختفى منه، فقيل لمصعب: إن عمرو بن جرموز هاهنا وهو مختف، فهل لك فيه؟ فقال: مروه فليظهر فهو آمن، والله ما كنت لأقيد[2] للزبير منه فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير[3].

وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرى في مساء يوم الجمل في موضع خاص، فلما صلى الغداة طلب موسى بن طلحة بن عبيد الله، فقربه ورحب به وأجلسه بجواره وسأله عن أحواله وأحوال أخوته، ثم قال له: إنا لم نقبض أرضكم هذه ونحن نريد أن نأخذها إنما أخذناها مخافة أن يتهبها الناس، ودفع له غلتها، وقال: يا ابن أخي وإننا في الحاجة إذا كانت لك، وكذلك فعل مع أخيه عمران بن طلحة فبايعاه، فلما رأى الأسارى ذلك دخلوا على علي ﷺ يبايعونه، فبايعهم وبايع الآخرين على راياتهم قبيلة قبيلة[4].

كما سأل عن مروان بن الحكم وقال: يعطفني عليه رحم ماسة وهو مع ذلك سيد من شباب قريش، وقد أرسل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس ﷺ ليكلموا علياً فقال علي: هو آمن فليتوجه حيث شاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه[5]، كما أن مروان بن الحكم أثنى على فعال أمير المؤمنين علي وقال لابنه الحسن: ما رأيت أكرم غلبة من أبيك، ما كان إلا أن ولينا يوم الجمل حتى ناد مناديه: ألا يتبع مدبر، ولا يذفف على جريح[6].

11 - أمير المؤمنين علي يرد عائشة إلى مأمنها معززة مكرمة:

جهز أمير المؤمنين علي عائشة ﷺ بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد أو متاع، وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد ابن الحنفية، فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس، وودعوها وودعتهم وقالت: يا بني لا يعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، ولا يعتدين أحد على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه

---

(1) الطبقات (3/ 105) إسناده حسن، خلافة علي، ص 164، عبد الحميد.

(2) أقيد: القود: القتل بالقاتل.

(3) البداية والنهاية (7/ 261).

(4) الطبقات (3/ 224) بسند حسن، المستدرك (3/ 376 - 377).

(5) سنن سعيد ابن منصور (2/ 337) بسند حسن.

(6) كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير، للماوردي، ص 111.

عندي على معتبتي من الأخيار، وقال علي: يا أيها الناس، صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها علي أميالاً وسرح بنيه معها يوماً[1].

12 - ندمهم على ما حصل منهم:

قال ابن تيمية: . . وهكذا عامة السابقين، ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[2].

أ - فأمير المؤمنين علي ورد عنه، عندما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من الرجال يتغوّث تغوّثاً ويقول: يا حسن، ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[3].

ب - وروى نعيم بن حماد، بسنده إلى الحسن بن علي، أنه قال لسليمان بن صرد: لقد رأيت علياً حين اشتد القتال وهو يلوذ بي، ويقول: يا حسن: لوددت أنّي مت قبل هذا بعشرين سنة[4].

ت - وعن حسن بن علي قال: أراد أمير المؤمنين علي أمراً، فتابعت الأمور، فلم يجد منزعاً[5].

ث - وعن سليمان بن صرد، عن حسن بن علي سمع علياً يقول - حين نظر إلى السيوف قد أخذت القوم -: يا حسن أكل هذا فينا؟ ليتني مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة[6].

خ - قال ابن تيمية: فإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا تذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها، وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع القتال بغير اختيارهم[7].

د - قال الذهبي: ولا ريب أن عائشة ندمت ندمة كلية على مسيرها إلى البصرة وحضورها يوم الجمل، وما ظنت أن الأمر يبلغ ما بلغ[8].

---

(1) تاريخ الطبري (5/ 581).
(2) المنتقى من منهاج الاعتدال، ص 222.
(3) الفتن، نعيم بن حماد (1/ 80).
(4) المصدر السابق (1/ 80).
(5) الفتن (1/ 81) نعيم بن حماد.
(6) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص 217.
(7) المنتقى من منهاج الاعتدال، ص 222، 223.
(8) سير أعلام النبلاء (2/ 177).

ومن أراد التوسع والمزيد من معركة الجمل التي حضرها الحسن بن علي ﷺ فليراجع كتابي «أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب».

س - وقبل أن نودع الأحداث المؤلمة في الجمل نقف عند درس مهم نستخلصه منها وهو: أننا لا بد أن نعمل حساباً لكيد الأعداء ومكرهم في سبيل إفشال أي جهد مخلص لتوحيد الصف أو فيه خطر على مصالحهم، فيجب في مثل هذه الحالة - إذا اتفقنا على الأفكار العامة - أن نرسم الخطط ونضع التدابير اللازمة لتنفيذ ما اتفقنا عليه، وتفويت الفرصة على الأعداء في إفشاله، وألا نترك الفرحة بجمع الكلمة تنسينا خطر الأعداء وما يمكن أن يقوموا به للإضرار بالإسلام والمسلمين، وقد استفاد الحسن من هذا الدرس وطبقه في مشروعه الإصلاحي الذي سيأتي تفصيله بإذن الله.

* معركة صفين:

ومن الأحداث الكبيرة التي شاهدها الحسن بن علي في عهد والده: معركة صفين، كما كان على اطلاع مفصل بالعلاقة بين أمير المؤمنين علي ومعاوية ﷺ، فقد كان معاوية ﷺ والياً على الشام في عهدي عمر وعثمان ﷺ، ولما تولى علي الخلافة أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر، فأبى عليه عبد الله بن عمر قبول ولاية الشام واعتذر في ذلك وذكر له القرابة والمصاهرة التي بينهم[1]، ولم يلزمه أمير المؤمنين علي وقبل منه طلبه بعدم الذهاب إلى الشام، وأما الروايات التي تزعم أن علياً قام بالتهجم على عبد الله بن عمر ﷺ لاعتزاله وعدم الوقوف بجانبه، ففي ذلك الخبر تحريف وكذب[2].

وأقصى ما وصل إليه الأمر في قضية عبد الله بن عمر وولاية الشام ما رواه الذهبي من طريق سفيان بن عيينة، عن عمر بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال: بعث إلي علي قال: يا أبا عبد الرحمٰن إنك رجل مطاع في أهل الشام، فسر فقد أمرتك عليهم، فقلت: اذكر الله وقرابتي من رسول الله وصحبتي إياه إلا ما أعفيتني، فأبى علي فاستعنت بحفصة، فأبى، فخرجت ليلاً إلى مكة[3]. وهذا دليل قاطع على مبايعة ابن عمر، ودخوله في الطاعة، إذ كيف يوليه علي وهو لم يبايع؟

وبعد اعتذار ابن عمر من قبول ولاية الشام أرسل أمير المؤمنين علي سهل بن حنيف بدلاً منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام حتى أخذته خيل معاوية وقالوا له: إن كان بعثك عثمان

(1) المصنف لابن أبي شيبة (7/ 472) إسناده صحيح.
(2) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، خالد الغيث، ص 160.
(3) سير أعلام النبلاء (3/ 224) رجاله ثقات.

فحيهلا بك، وإن كان بعثك غيره فارجع[1]. وكانت بلاد الشام تغلي غضباً على مقتل عثمان ظلماً وعدواناً، فقد وصلهم قميصه مخضباً بدمائه وبأصابع نائلة زوجه التي قطعت وهي تدافع عنه، وكانت قصة استشهاده أليمة فظيعة اهتزت لها المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها الدموع، كما وصلتهم أخبار المدينة وسيطرة الغوغاء عليها، وهروب بني أمية إلى مكة، كل هذه الأمور وغيرها من الأحداث والعوامل كان لها تأثير على أهل الشام وعلى رأسهم معاوية ﷺ، فقد كان يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه فهو ولي دمه والله ﷻ يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: 33].

ولذلك جمع معاوية الناس وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل ظلماً وعدواناً على يد سفهاء منافقين لم يقدّروا الدم الحرام إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس، واستذكروا وعلت الأصوات، وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام أحدهم واسمه مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت: وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع في ثوب، فقال: «**هذا يومئذ على الهدى**»، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: «**نعم**»[2].

وهناك حديث آخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قتلة عثمان ومنشطاً ودافعاً قوياً للتصميم على تحقيق الهدف، وهو عن النعمان بن بشير عن عائشة ﷺ قالت: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان، فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه فقال: «**يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني**» ثلاث، فقلت لها: يا أم المؤمنين، فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته، قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرضَ بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبي إليّ به، فكتبت إليه به كتاب[3].

فقد كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيس في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب بالخلافة، وليست لأطماع معاوية في ولاية الشام، أو طلبه ما ليس بحق إذ كان يدرك إدراكاً تاماً أن هذا الأمر في بقية الستة من أهل الشورى وأن علياً أفضل منه وأولى بالأمر[4]، ودليل ذلك ما أخرجه يحيى بن سليمان

(1) تهذيب تاريخ دمشق (4/ 39) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 110.
(2) صحيح سنن ابن ماجه (1/ 24).
(3) مسند الإمام أحمد باقي مسند الأنصار رقم: 24045، حديث صحيح.
(4) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 112.

الجعفي بسند جيد، عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً، أم أنت مثله؟ فقال: لا والله إني لأعلم أنه لأعلم مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمه، والطالب بدمه، فأتوه فقولوا له: فليدفع إليّ قتلة عثمان وأسلم لهم، وأتوا علياً فكلموه، فلم يدفعهم إليه[1]، وفي رواية: فأتوه فكلموه فقال: يدخل في البيعة ويحاكمهم إليّ، فامتنع معاوية[2].

1 - هل خروج معاوية على علي ﷺ بسبب أطماع دنيوية؟

إن الروايات التي تصور معاوية في خروجه عن طاعة علي بسبب أطماع ذاتية وأطماع دنيوية، بسبب التنافس والعداء الجاهلي القديم بين بني هاشم وبني أمية وغير ذلك من القذف والافتراءات والطعن على أصحاب رسول الله ﷺ مما اعتمد عليها الكتّاب المعاصرين - كالعقاد في عبقرية علي، وعبد العزيز الدوري في مقدمته في تاريخ صدر الإسلام، وبنوا عليها تحليلاتهم الباطلة - هي روايات متروكة مطعون في رواتها عدلاً وضبطاً[3].

مما قد شاع بين الناس قديماً وحديثاً: أن الخلاف بين علي ومعاوية ﷺ - كان سببه طمع معاوية في الخلافة وأن خروج هذا الأخير على عليّ وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عن ولاية الشام، ذكرها مؤرخو الشيعة الإمامية أو كتاب «الإمامة والسياسة» المنسوب زوراً وبهتاناً لابن قتيبة الدينوري، فهذا الكتاب لا يثبت لابن قتيبة، وهذه مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذباً وزوراً، ومن هذه الأدلة:

- إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتاباً في التاريخ يدعى الإمامة والسياسة، ولا تعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب المعارف.

- إن المتصفح للكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغداد إلّا إلى الدينور.

- إن المنهج والأسلوب الذي سار عليه مؤلف «الإمامة والسياسة» يختلف تماماً عن منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا، فإن منهج ابن قتيبة أن يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه، وعلى خلاف ذلك يسير صاحب الإمامة والسياسة، فمقدمته قصيرة جداً لا تزيد عن ثلاثة أسطر، هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب، ومثل هذا النهج لم تعهده في مؤلفات ابن قتيبة.

(1) فتح الباري (13/ 92)، البداية والنهاية (8/ 129).
(2) المصدر السابق نفسه (13/ 92) استشهاد عثمان، ص 160.
(3) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص 112.

- يروي مؤلف الكتاب عن ابن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى الفقيه: قاضي الكوفة، توفي سنة 148هـ والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة 213هـ أي بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عاماً.

- إن قسماً كبيراً من رواياته جاءت بصيغة التمريض، فكثيراً ما يجيء فيه: ذكروا عن بعض المصريين، وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر، وحدثنا بعض مشايخ أهل المغرب، وذكروا عن بعض المشيخة، وحدثنا بعض المشيخة. ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبة ولم ترد في كتبه[1].

- ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء فهو عندهم من أهل السنة، وثقة في علمه ودينه، يقول السَّلفي: كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة، ويقول ابن حزم: كان ثقة في دينه وعلمه، وتبعه في ذلك الخطيب البغدادي، ويقول عنه ابن تيمية: وإن ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب أهل السنة المشهورة[2]. ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم المحققين هل من المعقول أن يكون مؤلف كتاب الإمامة والسياسة الذي شوه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم[3]؟

إن مؤلف الإمامة والسياسة قدح في صحابة رسول الله قدحاً عظيماً فصور ابن عمر ﷺ جباناً، وسعد بن أبي وقاص حسوداً، وذكر محمد بن مسلمة بأنه غضب على علي بن أبي طالب لأنه قتل مرحباً اليهودي بخيبر، وأن عائشة ﷺ أمرت بقتل عثمان[4]، والقدح في الصحابة من أظهر خصائص الرافضة وإن شاركهم الخوارج إلّا أنّ الخوارج لا يقدحون في عموم الصحابة[5].

- إن مؤلف الإمامة والسياسة كتب عن الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان خمساً وعشرين صفحة فقط وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة مائتي صفحة، فقام المؤلف باختصار التاريخ الناصع المشرق وسوّد الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلا القليل، وهذا من أخلاق الإمامية المعهودة، نعوذ بالله من الضلال والخذلان.

- يقول محمود شكري الألوسي في مختصر الاثني عشرية: ومن مكايدهم - يعني الإمامية - أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة، فمن وجدوه موافقاً لأحد

(1) عقيدة الإمام ابن قتيبة، علي العلياني، ص 90.
(2) لسان الميزان (3/ 357)، تحقيق مواقف الصحابة (2/ 144).
(3) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 144).
(4) الإمامة والسياسة (1/ 54 - 55).
(5) عقيدة الإمام ابن قتيبة، العلياني، ص 91.

منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته، كالسدي فإنهما رجلان: أحدهما السدي الكبير والثاني السدي الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة، والصغير من الوضاعين الكذابين. وعبد الله بن قتيبة رافضيّ غالٍ وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة، وقد صنف كتاباً سماه بالمعارف، فصنف عبد الله بن قتيبة كتاباً سماه بالمعارف أيضاً قصداً للإضلال[1]، وهذا ما يرجح أن كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الرافضي ليس لابن قتيبة السني الثقة، وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء[2].

وقد اعتمد كثير من المعاصرين على هذا الكتاب وساهموا في تشويه كثير من الصحابة الكرام، ولذلك وجب التحذير منه بطريقة علمية تعتمد على التحقيق والتوثيق والدليل والبرهان. وقد ذكر صاحب كتاب الإمامة والسياسة: أن معاوية ادّعى الخلافة، وذلك من خلال الرواية التي ورد فيها ما قاله ابن الكواء لأبي موسى الأشعري ﷺ: اعلم أن معاوية طليق الإسلام، وأن أباه رأس الأحزاب، وأنه ادعى الخلافة من غير مشورة، فإن صدقك فقد حلّ خلعه، وإن كذبك فقد حرم عليك كلامه[3]، وهذا كلام لا يثبت عن أمير المؤمنين علي وإنما هو من كلام الروافض، وقد امتلأت كتب التاريخ والأدب بالروايات الموضوعة والضعيفة التي تزعم أن معاوية اختلف مع علي من أجل الملك والزعامة والإمارة[4].

والصحيح أن الخلاف بين عليّ ومعاوية ﷺ كان حول مدى وجوب بيعة معاوية وأصحابه لعلي قبل توقيع القصاص على قتلة عثمان أو بعده، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء، فقد كان رأي معاوية ﷺ ومن حوله من أهل الشام أن يقتص عليّ - ﷺ - من قتلة عثمان ثم يدخلون بعد ذلك البيعة[5].

ويقول القاضي ابن العربي أن سبب القتال بين أهل الشام وأهل العراق يرجع إلى تباين المواقف بينهما: فهؤلاء - أي أهل العراق - يدعون إلى عليّ بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام، وهؤلاء - أي أهل الشام - يرجعون إلى التمكين من قتلة عثمان، ويقولون: لا نبايع من يأوي القتلة[6].

---

(1) مختصر التحفة الاثنا عشرية للألوسي، ص 32.

(2) عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص 93.

(3) الإمامة والسياسة (1/ 113).

(4) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (2/ 145).

(5) العواصم من القواصم، ص 162.

(6) المصدر السابق نفسه.

ويقول إمام الحرمين الجويني في لمع الأدلّة: إن معاوية وإن قاتل علياً، فإنه لا ينكر إمامته ولا يدعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظاناً منه أنه مصيب، وكان مخطئاً[1].

ويقول الهيتمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة: أنّ ما جرى بين معاوية وعليّ ﷺ من الحروب، فلم يكن لمنازعة معاوية لعليّ في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعليّ.. فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية طالب دم ابن عمّه فامتنع علي[2].

لقد تضافرت الروايات وأشارت إلى أنّ معاوية ﷺ اتخذ موقفه للمطالبة بدم عثمان، وأنه صرح بدخوله في طاعة علي ﷺ إذا أقيم الحد على قتلة عثمان. ولو افترض أنه اتخذ قضية القصاص والثأر لعثمان ذريعة لقتال علي طمعاً في السلطان، فماذا سيحدث لو تمكن علي من إقامة الحد على قتلة عثمان؟ حتماً ستكون النتيجة خضوع معاوية لعلي ومبايعته له، لأنه التزم بذلك في موقفه من تلك الفتنة، كما أن كل من حارب معه كانوا يقاتلون على أساس إقامة الحد على قتلة عثمان، على أن معاوية إذا كان يخفي في نفسه شيئاً آخر لم يعلن عنه، سيكون هذا الموقف بالتالي مغامرة، ولا يمكن أن يقدم عليها إذا كان ذا أطماع[3].

إن معاوية ﷺ كان من كتّاب الوحي ومن سادة المسلمين المشهورين بالحلم ويكفيه شرف الصحبة، فكيف يعتقد أن يقاتل الخليفة الشرعي ويهرق دماء المسلمين من أجل مُلْك زائل، وهو القائل: والله لا أخير بين أمرين: بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه[4]، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال فيه: «**اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به**»[5]، وقال: «**اللهم علمه الكتاب وقِهِ العذاب**»[6].

أما وجه الخطأ في موقفه في مقتل عثمان ﷺ فيظهر في رفضه أن يبايع لعليّ ﷺ قبل مبادرته إلى الاقتصاص من قتلة عثمان، ويضاف إلى ذلك خوف معاوية على نفسه لمواقفه السابقة من هؤلاء الغوغاء وحرصهم على قتله، بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم، مع العلم أن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، بل يدخل في الطاعة، ويرفع دعواه إلى الحاكم، ويطلب الحق عنده[7]، وقد اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتصّ من أحد ويأخذ حقه

(1) لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة، ص 115.
(2) الصواعق المحرقة (2/ 622).
(3) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 150).
(4) سير أعلام النبلاء (3/ 151).
(5) صحيح سنن الترمذي للألباني رقم: 3018 (3/ 236).
(6) فضائل الصحابة (2/ 913) إسناده صحيح.
(7) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 151).

دون السلطان، أو من نصبه السلطان لهذا الأمر، لأن ذلك يفضي إلى الفتنة وإشاعة الفوضى[1].

ويمكن القول إن معاوية ﷺ كان مجتهداً متأولاً يغلب ظنه أن الحق معه، فقد قام خطيباً في أهل الشام بعد أن جمعهم وذكّرهم أنه ولي عثمان - ابن عمه - وقد قتل مظلوماً، وقرأ عليهم الآية الكريمة: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: 33]. ثم قال: أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم أو يفني الله أرواحهم[2].

هذه الأحداث الجسام عاصرها الحسن بن علي ﷺ وعرف موقف كل صحابي من الفتنة، وكان ميالاً للصلح والسلم ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

2 -- نهي أمير المؤمنين علي عن شتم معاوية ولعن أهل الشام بعد معركة صفين:

نشبت الحرب بين علي ومعاوية ﷺ في صفين، وقد فصلت تلك الأحداث في كتابي «أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» وقد اشتد القتال وتوجّه النصر فيها لأهل العراق على أهل الشام، وتفرقت صفوفهم، وكادوا أن ينهزموا، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح وقالوا: هذا بيننا وبينكم، قد فني الناس، فمن لثغور أهل الشام بعد أهل الشام، ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟ فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت، قالوا: نجيب إلى كتاب الله ﷻ ونتيب إليه[3].

فالدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاوية وقبول التحكيم دون التأكيد على دخول معاوية في طاعة علي والبيعة له، تطور فرضته أحداث حرب صفين، إذ إن الحرب التي أودت بحياة الكثير من المسلمين، أبرزت اتجاهاً جماعياً رأى أن وقف القتال وحقن الدماء ضرورة تقتضيها حماية شوكة الأمة وصيانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيها وأثرها في اتخاذ القرارات[4]، فقد قبل أمير المؤمنين علي ﷺ وقف القتال في صفين ورضي التحكيم، وعد ذلك فتحاً ورجع إلى الكوفة، وعلق على التحكيم آمالاً في إزالة الخلاف وجمع الكلمة ووحدة الصف، وتقوية الدولة، وإعادة حركة الفتوح من جديد،

(1) تفسير القرطبي (2/ 256).

(2) صفين لابن مزاحم، ص 32، تحقيق مواقف الصحابة (2/ 152).

(3) تنزيه خال المؤمنين معاوية، ص 36، نقلاً عن: تاريخ الطبري.

(4) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 38.

وكان أمير المؤمنين بعد نهاية الجولات الحربية في صفين يتفقد القتلى، وقد وقف على قتلاه وقتلى معاوية فقال: غفر الله لكم، غفر الله لكم، للفريقين جميعاً[1].

وعن يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين علي ومعاوية، خرج علي فمشى في قتلاه فقال: هؤلاء في الجنة، ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال: هؤلاء في الجنة، وليصير الأمر إلى وإلى معاوية[2].

وكان يقول عنهم: هم المؤمنون[3]، وقوله ﷺ في صفين لا يكاد يختلف عن قوله في أهل الجمل[4]، وروي: أن علياً ﷺ لمّا بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم ولعن أهل الشام أرسل إليهما: أن كفّا عما يبلغني عنكما، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى ورب الكعبة، قالا: فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي من لج به[5].

وأما ما قيل من أن علياً كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن علياً وابن عباس والحسن والحسين لا تثبت من ناحية السند حيث فيها أبو مخنف لوط بن يحيى الرافضي الذي لا يوثق في رواياته، كما أن في أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهي عن سب الصحابة، فقد أنكر على من يسب معاوية ومن معه فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم[6]، فهذا السب والتكفير لم يكن من هدي أمير المؤمنين علي باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة[7].

كما أن الحسن ﷺ كان معاصراً للأحداث وسمع ورأى موقف والده من أهل الشام، وهذه النظرة السليمة لأصحاب معاوية ساعدت الحسن بن علي في هندسته لمشروع الإصلاح الذي تقدم به لوحدة الأمة والذي تحقق بفضل الله ثم فقهه العميق لمقاصد الإسلام ومعرفته الدقيقة لعلم المصالح والمفاسد.

---

(1) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 250.
(2) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 303) سند حسن.
(3) تاريخ دمشق (1/ 331، 329) خلافة علي، ص 251.
(4) خلافة علي، عبد الحميد، ص 251، تنزيه خال المؤمنين، ص 169.
(5) الأخبار الطوال، ص 165، نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة (2/ 232).
(6) نهج البلاغة، ص 323.
(7) أصول مذهب الشيعة (2/ 934).

3 - مقتل عمّار بن ياسر ﷺ بصفين وأثره على المسلمين:

يعد حديث رسول الله ﷺ لعمّار ﷺ: «تقتلك الفئة الباغية»[1] من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وقد كان لمقتل عمّار ﷺ أثر في معركة صفين، فقد كان علماً لأصحاب رسول الله يتبعونه حيث سار، وكان خزيمة بن ثابت حضر صفين وكان كافاً سلاحه، فلما رأى مقتل عمار سل سيفه وقاتل أهل الشام، وذلك لأنه سمع حديث رسول الله عن عمار: «تقتله الفئة الباغية»[2] واستمر في القتال حتى قتل[3]، وكان لمقتل عمّار أثر في قادة معسكر معاوية مثل عمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو، وأبو الأعور السلمي، عند شرعة الماء يسقون، وكانت هي شريعة الماء الوحيدة التي يستقي منها الفريقان، وكان حديثهم عن مقتل عمّار بن ياسر، إذ قال عبد الله بن عمرو لوالده: لقد قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «تقتله الفئة الباغية». فقال عمرو لمعاوية: لقد قتلنا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، فقال معاوية: اسكت، فوالله ما تزال تدحض[4] في بولك، أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاء به[5].

فانتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار في الهشيم، وجاء في رواية صحيحة أن عمرو بن حزم دخل على عمرو بن العاص فقال: قتل عمّار وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «تقتله الفئة الباغية». فقام عمرو بن العاص فزعاً يرجّع حتى دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما شأنك؟ فقال: قتل عمار قال: فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «تقتلك الفئة الباغية» فقال له معاوية: دحضت في بولك، أو نحن قتلناه؟ إنما قتله علي وأصحابه، جاؤوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا[6].

وفي رواية صحيحة أيضاً: جاء رجلان عند معاوية يختصمان في رأس عمار يقول كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية» قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله فقال: «أطع أباك مادام حياً ولا تعصه»، فأنا معكم ولست أقاتل[7].

من الروايات السابقة نلاحظ أن الصحابي الفقيه عبد الله بن عمرو ﷺ حريص على قول

---

(1) مسلم رقم: 2916.
(2) المصدر السابق نفسه: 2916.
(3) خلافة علي، ص 211، مجمع الزوائد (7242) وقال فيه: ورواه الطبراني وفيه معشر وهو لين.
(4) الدحض: الزلق، والداحض من لا ثبات له ولا عزيمة في الأمور.
(5) مصنف عبد الرزاق (11/ 240) بسند صحيح.
(6) مصنف عبد الرزاق (11/ 240) بسند صحيح.
(7) مسند أحمد (11/ 138 - 139).

الحق، والنصح، فقد رأى أن معاوية وجنده هم الفرقة الباغية لقتلهم عماراً، فقد تكرر منه هذا الاستنكار في مناسبات مختلفة، ولا شك أن مقتل عمار ﷺ قد أثر في أهل الشام بسبب هذا الحديث، إلا أن معاوية ﷺ أوّل الحديث تأويلاً غير مستساغ، ولا يصح في أن الذين قتلوا عماراً هم الذين جاؤوا به إلى القتال[1]، وقد رد علي ﷺ على قول معاوية بأن قال: فرسول الله ﷺ إذن قتل حمزة حين أخرجه، وهذا من علي إلزام لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها[2].

وقد أثر مقتل عمار كذلك على عمرو بن العاص، بل كان استشهاد عمار دافعاً لعمرو بن العاص للسعي لإنهاء الحرب[3]، وقد قال ﷺ: وددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[4].

وقد جاء في البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ فنفض التراب عنه وقال: «**ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**». قال عمار: أعوذ بالله من الفتن[5].

وقال ابن عبد البر: تواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال: «**تقتل عمار الفئة الباغية**»، وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته ﷺ، وهو من أصح الأحاديث[6]، وقال الذهبي بعد ما ذكر الحديث: وفي الباب عن عدة من الصحابة، فهو متواتر[7].

4 - فهم العلماء لحديث رسول الله ﷺ في عمار: «تقتلك الفئة الباغية»[8].

أ - **قال ابن حجر**: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لعلي وعمار، ورد على النواصب[9] الزاعمين: أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه[10]، وقال أيضاً: دل

(1) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 325.
(2) التذكرة (2/ 223).
(3) معاوية بن أبي سفيان، الغضبان، ص 215.
(4) أنساب الأشراف (1/ 170)، عمرو بن العاص للغضبان، ص 603.
(5) البخاري رقم: 447.
(6) الاستيعاب (3/ 1140).
(7) سير أعلام النبلاء (1/ 421).
(8) مسلم رقم: 5916.
(9) والمقصود بالنواصب هي أحد طوائف أهل البدع التي أصيبت في معتقدها بعدم التوفيق للاعتقاد السديد في الصحابة، فقد زين لهم الشيطان اعتقاد عدم محبة رابع الخلفاء الراشدين وأحد الأئمة المهديين علي بن أبي طالب ﷺ وحملهم على التدين ببغضه وعداوته والقول فيه بما هو بريء منه، كما تعدى بغضهم إلى غيره من أهل البيت كابنه الحسين بن علي وغيره.
(10) فتح الباري (1/ 646).

الحديث: «تقتل عماراً الفئة الباغية»، على أن علياً كان المصيب في تلك الحروب، لأن أصحاب معاوية قتلوه[1].

ب - يقول النووي: وكانت الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة لهذا الحديث[2].

جـ - قال ابن كثير: كان علي وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري، قال: حدثني من هو خير مني - يعني أبا قتادة - أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[3]، وقال أيضاً: وهذا مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قتله أهل الشام، وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية، وبان بذلك أن علياً محق، وأن معاوية باغ، وما في ذلك من دلائل النبوة[4].

د - وقال الذهبي: هي طائفة من المؤمنين، بغت على الإمام علي، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[5].

هـ - قال القاضي أبو بكر العربي: في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ. . .﴾ هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عول الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من هذه الأمة، وإياها عنى النبي ﷺ بقوله: «تقتل عمار الفئة الباغية»[6].

و - وقال ابن تيمية: وهذا يدل لصحة إمامة علي ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار - وإن كان متأولاً - وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي، وعلى هذا فمقاتله مخطئ - وإن كان متأولاً - أو باغ - بلا تأويل - وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين[7]، وقال أيضاً: مع أن علياً أولى بالحق ممن فارقه، ومع أن عماراً قتلته الفئة الباغية - كما جاءت به النصوص - وعلينا أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقر بالحق كله، ولا يكون لنا هوى، ولا نتكلم بغير علم، بل نسلك سبل العلم والعدل، ذلك هو اتباع الكتاب والسنة، وأما من تمسك ببعض الحق دون بعض، فهذا منشأ الفرقة والاختلاف[8].

---

(1) فتح الباري (13/ 92).
(2) تهذيب الأسماء واللغات (2/ 38).
(3) البداية والنهاية (6/ 220).
(4) المصدر السابق نفسه (7/ 277).
(5) سير أعلام النبلاء (8/ 209).
(6) أحكام القرآن (4/ 1717).
(7) مجموع الفتاوى (4/ 437).
(8) المصدر السابق نفسه (4/ 449 - 450).

ز - وقال عبد العزيز بن باز: وقال ﷺ في حديث عمار: «تقتل عماراً الفئة الباغية». فقتله معاوية وأصحابه في موقعة صفين، فمعاوية وأصحابه بغاة، لكن مجتهدون ظنوا أنهم مصيبون في المطالبة بدم عثمان[1].

ح - وقال سعيد حوى: بعد أن قتل عمار الذي وردت النصوص مبينة أنه تقتله الفئة الباغية، تبين للمترددين أن علياً كان على حق وأن القتال معه كان واجباً؛ ولذا عبر ابن عمر عن تخلفه بأنه يأسى بسبب هذا التخلف، وما ذلك إلا أنه ترك واجباً وهو نصرة الإمام الحق على الخارجين عليه بغير حق، كما أفتى بذلك الفقهاء[2].

لقد كان الحسن بن علي ﷺ على يقين راسخ ومعرفة متينة بأن والده كان على الحق.

5 - موقف الحسن بن علي من تلك الحروب:

كان موقف الحسن بن علي ﷺ هو موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام ﷺ وهو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم ﷺ لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين، وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويترضى عنهم ويترحم عليهم ويحفظ لهم فضائلهم، ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم، وأن الذي حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد والجميع مثابون في حالتي الصواب والخطأ، غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ في اجتهاده، وأن القاتل والمقتول من الصحابة في الجنة، ولم يجوّز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم، وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التي تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة، أذكر بعض النصوص التي فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال وبما وصفوا به فيها وتلك النصوص هي[3]:

أ - قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۚ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9]. ففي هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال، لأنهم إخوة، وهذا الاقتتال لا يخرجهم عن وصف الإيمان، وإذا كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين لم يخرجهم ذلك من الإيمان، لأن الله ذكر في الآية التي بعدها: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، فأصحاب الرسول الله الذين اقتتلوا في موقعة الجمل وبعدها أول من

(1) فتاوى ومقالات متنوعة (6/ 87).
(2) الأساس في السنة (4/ 1710).
(3) عقيدة أهل السنة في الصحابة (2/ 727).

يدخل في اسم الإيمان الذي ذكر في هذه الآية، فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيماناً حقيقياً، ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار في إيمانهم بحال، لأنه كان عن اجتهاد[1].

ب - وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق**»[2]. والفرقة المشار إليها في الحديث ما كان من الاختلاف بين علي ومعاوية ﷺ، وقد وصف ﷺ الطائفتين معاً بأنهما مسلمتان وأنهما متعلقتان بالحق، والحديث علم من أعلام النبوة: إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة والذي عليه الحسن بن علي ابن أبي طالب ﷺ أن علياً هو المصيب، و ن كان معاوية مجتهداً وهو مأجور إن شاء الله، ولكن علياً هو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**»[3].

جـ - وعن أبي بكرة قال: بينما النبي ﷺ يخطب جاء الحسن فقال النبي ﷺ: «**ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[4]. ففي هذا الحديث شهادة النبي ﷺ بإسلام الطائفتين أهل العراق وأهل الشام، والحديث فيه رد واضح على الخوارج الذين كفروا علياً ومن معه ومعاوية ومن معه بما تضمنه الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام، ولذا كان يقول سفيان بن عيينة: قوله «**فئتين من المسلمين**» يعجبنا جداً. قال البيهقي: وإنما أعجبهم لأن النبي ﷺ سماهم جميعاً مسلمين، وهذا خبر من رسول الله بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة علي في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان[5]، فهذه الأحاديث المتقدم ذكرها فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع علي و لى أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبي سفيان، وقد وصفهم النبي ﷺ بأنهم من أمته[6]، كما وصفهم بأنهم جميعاً متعلقون بالحق لم يخرجوا عنه كما شهد لهم ﷺ بأنهم مستمرون على الإيمان ولم يخرجوا عنه بسبب القتال الذي حصل بينهم، وقد دخلوا تحت عموم قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 9]، وقد قدمنا أن مدلول الآية ينتظمهم ﷺ أجمعين فلم يكفروا

(1) العواصم من القواصم، ص 169 - 170، أحكام القرآن (4/ 1717).
(2) مسلم (2/ 745).
(3) البخاري مع شرحه في فتح الباري (13/ 318).
(4) البخاري، كتاب: الفتن رقم: 7109.
(5) الاعتقاد للبيهقي، ص 198، فتح الباري (13/ 66).
(6) مسلم (2/ 746).

ولم يفسقوا بقتالهم بل هم متأولون مجتهدون. وقد بين الحكم في قتالهم ذلك علي بن أبي طالب ﷺ كما مر معنا، فالواجب على المسلم ومن زعم أنه محب لأهل البيت أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام مسلك الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة والذين من أئمتهم وسادتهم أمير المؤمنين علي وابنيه الحسن والحسين، وهو الإمساك عما حصل بينهم ﷺ ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم.

6 - استشهاد أمير المؤمنين علي ﷺ :

تركت معركة النهروان في نفوس الخوارج جرحاً غائراً لم تزده الأيام والليالي إلا إيلاماً وحسرة، فاتفق نفر منهم على أن يفتكوا بعلي ﷺ ويثأروا لمن قتل من إخوانهم في النهروان، واستطاع عبد الرحمٰن بن ملجم أن يقتل أمير المؤمنين علي بالغدر، وهذا محمد بن الحنفية يروي لنا قصة مقتل أمير المؤمنين، فقد قال:

كنت والله إني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم في رجال كثير من أهل المصر، يصلون قريباً من السدة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره، إذ خرج علي لصلاة الغداة، فجعل ينادي: أيها الناس، الصلاة الصلاة، فما أدري أخرج من السدة، فتكلم بهذه الكلمات أم لا؟، فنظرت إلى بريق، وسمعت: الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفاً، ثم رأيت ثانياً، ثم سمعت علياً يقول: لا يفوتنكم الرجل وشد الناس عليه من كل جانب، قال: فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على علي، فدخلت فيما دخل من الناس، فسمعت علياً يقول: النفس بالنفس، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي[1].

وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر علي، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه، إذ نادته أم كلثوم بنت علي وهي تبكي: أي عدو الله لا بأس على أبي، والله مخزيك، قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد[2].

وقد جمع الأطباء لعلي ﷺ يوم جرح وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمر السكوني، وكان صاحب كسرى يتطبب، فأخذ أثير رئة شاة حارة، فتتبع عرقاً منها، فاستخرجه، فأدخله في جراحة علي، ثم نفخ العرق واستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ وإذا الضربة قد وصلت إلى أم رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين! اعهد عهدك فإنك ميت[3]، وذكر أن جندب بن عبد الله

(1) تاريخ الطبري (6/ 62).
(2) المصدر السابق نفسه (6/ 62).
(3) الاستيعاب (3/ 1128).

دخل على علي فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين إن فقدناك - ولا نفقدك - فنبايع الحسن؟ قال: ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر[1]، ومن هذا الأثر يظهر إيمان أمير المؤمنين علي بحق الأمة في اختيار خليفتها.

7 - وصية أمير المؤمنين علي للحسن والحسين ﷺ:

دعا أمير المؤمنين حسناً وحسيناً، فقال: أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زُوِي عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم وأغيثا الملهوف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في الكتاب، ولا تأخذكما في الله لومة لائم، ثم نظر إلى محمد بن الحنفية، فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك[2]، قال: نعم، قال: فإني أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك، لعظيم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، فلا تقطع أمراً دونهما، ثم قال: أوصيكما به، فإنه ابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه، وقال للحسن: أوصيك أي بني بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش[3]. فلما حضرته الوفاة أوصى فكانت وصيته: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون. ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، ثم أوصيك يا حسن وجميع أهلي وولدي وأهلي بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون فاعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا، فإني سمعت أبا القاسم يقول: «إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام» انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب، الله الله في الأيتام، فلا تعنوا أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم، الله الله في جيرانكم، فإنهم وصية نبيكم ﷺ ما زال يوصي به حتى ظننا أنه سيورثه، الله الله في القرآن، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم فلا تخلّوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم يناظر، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذمة

(1) تاريخ الطبري (6/ 62).
(2) المصدر السابق نفسه (6/ 63).
(3) المصدر السابق نفسه (6/ 63).

نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم فإن الله أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معايشكم، والله الله في ما ملكت أيمانكم. الصلاة الصلاة، لا تخافن في الله لومة لائم، يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى الأمر شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم. وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيكم. أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله... ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض رضي الله عنه [1].

وجاء في رواية أخرى: .. يا بُنَيَّ: أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر والعدل على الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل، والرضى عن الله في الشدة والرخاء، يا بني ما شر بعده الجنة بشر، ولا خير بعده نار بخير، وكل نعيم دون الجنة حقير، وكل بلاء دون النار عافية، يا بني من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره، ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته، ومن سل سيف بغي قتل به، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها، ومن هتك حجاب أخيه كشف عورات نفسه، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذلّ، ومن خالط الأنذال احتقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن جالس العلماء وقّر، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر خطأه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار. يا بني، الأدب خير ميراث، وحسن الخلق خير قرين، يا بني العافية عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت إلا من ذكر الله، وواحدة في ترك مجالسة السفهاء، يا بني زينة الفقر الصبر، وزينة الغنى الشكر، يا بني لا شرف أعلى من الإسلام، ولا كرم أعز من التقوى، ولا معقل أحرز من الورع، ولا شفيع أنجح من التوبة، ولا لباس أجمل من العافية، الحرص مفتاح التعب ومطية النصب، التدبير قبل العمل يؤمنك الندم، فبئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد، طوبى لمن أخلص لله علمه وعمله وحبه وبغضه وأخذه وتركه، وكلامه وصمته وقوله وفعله [2].

8 - نهي أمير المؤمنين علي عن المثلة بقاتله:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: احبسوا الرجل فإن مت فاقتلوه، وإن أعش فالجروح

(1) تاريخ الطبري (6/64).

(2) الشُهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان، ص 632، 633.

قصاص[1]. وفي رواية أخرى قال: أطعموه واسقوه وأحسنوا إساره، فإن صححت فأنا ولي دمي أعفو إن شئت وإن شئت استقدت[2]، وفي رواية أخرى زيادة، وهي قوله: إن مت فاقتلوه قتلتي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[3]، وقد كان علي نهى الحسن عن المُثْلة، وقال: يا بني عبد المطلب، لا ألفيتكم تخوضون في دماء المسلمين، تقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقتَلَنَّ. انظر يا حسن، إن من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور**»[4].

وقد جاء في شأن وصية أمير المؤمنين بأمر قاتله روايات كثيرة تتفاوت، منها الصحيح ومنها الضعيف، فالرواية التي فيها أمر علي ﷺ بإحراق الشقي بعد قتله إسنادها ضعيف، والروايات الأخرى تسير في اتجاه واحد فكلها فيها أمر علي ﷺ بقتل الرجل إن مات من ضربته ونهاهم عما سوى ذلك، فهذه الروايات يعضد بعضها بعضاً، وتنهض للاحتجاج بها هذا من جهة، كما أن أمير المؤمنين لم يجعله مرتداً، فيأمر بقتله، بل نهاهم عن ذلك لما همّ بعض المسلمين بقتله وقال: لا تقتلوا الرجل، فإن برئت فالجروح قصاص، وإن مت فاقتلوه[5].

وتذكر الرواية التاريخية المشهورة: فلما قبض علي ﷺ بعث الحسن إلى ابن ملجم، فقال للحسن: هل لك في خصلة؟ إني والله ما أعطيت الله عهداً إلا وفيت به، إني كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه، ولك الله علي إن لم أقتله - أو قتلته - ثم بقيت، أن آتيك حتى أضع يدي في يدك. فقال له الحسن: أما والله حتى تعاين النار، ثم قدمه فقتله[6] ثم إن الناس أخذوه، فأحرقوه بالنار، ولكن هذه الرواية منقطعة[7].

والصحيح من الروايات والذي يليق بالحسن والحسين وأبناء أهل البيت أنهم التزموا بوصية أمير المؤمنين علي في معاملة عبد الرحمٰن بن مُلْجم، وفيها يظهر خلق الإسلام العظيم في النهي عن المثلة والالتزام بالقصاص الشرعي. ولا تثبت الرواية التي تقول: فلما دفن أحضروا ابن ملجم، فاجتمع الناس، وجاؤوا بالنفط والبواري، فقال محمد ابن الحنفية، والحسين، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب: دعُونا نشتفّ منه، فقطع عبد الله يديه ورجليه،

---

(1) فضائل الصحابة (2/ 560) بسند حسن.
(2) المحن لابن أبي العرب، ص 94، خلافة علي، ص 439، عبد الحميد.
(3) الطبقات (3/ 35).
(4) تاريخ الطبري (6/ 64).
(5) منهاج السنة (5/ 245).
(6) تاريخ الطبري (6/ 64).
(7) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 440.

فلم يجزع ولم يتكلّم، فكحَلَ عينيه، فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحُل عيني عمّك وجعل يقرأ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1] حتى ختمها، وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليُقْطع فجزع، فقيل له في ذلك. فقال: ما ذاك بجزع ولكنّي أكره أن أبقى في الدنيا فُواقاً لا أذكر الله، فقطعوا لسانه، ثمّ أحرقوه، وكان أسمر، حسن الوجه، أفلج، شعره من شحمة أذنيه، وفي جبهته أثر السجود[1].

وابن ملجم عند الإمامية أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النّار، لا كما يقول الخوارج فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمّار، وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله ﷻ [2].

9 - خطبة الحسن بن علي ﷺ بعد مقتل أبيه:

عن عمر بن حُبشي قال: خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي ﷺ، فقال: لقد فارقكم رجل أمس ما سبقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله ﷺ ليبعثه ويعطيه الراية فلا ينصرف[3] حتى يُفتح له، ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله[4].

10 - استقبال معاوية خبر مقتل علي ﷺ:

ولما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم[5]، وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له علي بن أبي طالب ﷺ عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك[6].

ولنتعرف على شخصية علي عندما طلب معاوية ﷺ في خلافته من ضرار الصُّدائي أن يصف له علياً، فقال اعفني يا أمير المؤمنين، قال: لتصفنَّه، قال: أما إذ لا بد من وصفه فكان

(1) طبقات ابن سعد (3/ 39) الأخبار الطوال، ص 215.
(2) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص 654.
(3) فضائل الصحابة (2/ 737) إسناده صحيح. فلا ينصرف: يرجع.
(4) فضائل الصحابة (2/ 737) إسناده صحيح.
(5) البداية والنهاية (8/ 133).
(6) الاستيعاب (3/ 1108).

والله بعيد المدى، شديد القُوى، يقول فُصلاً[1] ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصُر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحَدِنا، يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه ونحن والله - مع تقريبه إيانا وقربه منا - لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظِّم أهل الدين ويُقرِّب المساكين، ولا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف في عدله، وأشهد أنه قد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سُدُولَه[2] وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم[3]، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غُرِّي غيري، إليّ تعرّضت أم إليّ تشوَّفتِ: هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثاً لا رجع فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد وبُعد السفر، ووحشة الطريق، فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها[4].

وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليه وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتي بعلي ومعاوية فأدخلا بيتاً وأجيف[5] الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول: قضي لي ورب الكعبة، ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة[6].

وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل: إني أبغض معاوية، فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل علياً، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فإيش دخولك أنت بينهما؟ [7].

(1) الاستيعاب (3/ 1107).
(2) سدوله: سدله.
(3) تململ السليم: يعني الملدوغ، كانت العرب تسميه كذلك للتفاؤل ببرئه.
(4) الاستيعاب (3/ 1108).
(5) أجيف الباب: رُد وأغلق.
(6) البداية والنهاية (8/ 133).
(7) المصدر السابق نفسه (8/ 133).